

وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ فَرَّاهُ كَرِيمٌ

الاعتصام بالاسلام

عمر العرّباوي

بسم الله الرحمن الرحيم

الاعتصام بالاسلام

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا
واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء
ذألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا
وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم
منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم
تهتدون .

صدق الله العظيم

قرآن كريم .

اهدي هذا الكتاب

الى ارواح الشهداء الذين سقطوا في ميدان معركة
التحرير تحت قنابل الطائرات والمدافع ، وأزير
الرصاص الذي كان يحصد النفوس حصدا ، وعلى
أعواد المشانق ، وشفرات المقاصل .

والى أرواح المجاهدين الابرار الذين لا زالوا
يعانون من الام الممترك الضارية والى الشعب
الجزائرى الذى صبر على أشد العذاب وأقساء ، والى
المسلمين الذين عاونوا الجزائر على استقلالها في كل
مكان .

تصدير الكتاب

يشتمل هذا الكتاب على جزئين : الجزء الأول يتكلم على التدهور الذى أصاب المسلمين من بعد سقوط الخلافة الشرعية ، منذ ذاك الوقت لم ينعم المسلمون بالوحدة التى أمرهم بها القرآن ، والتى كان عليها أسلافهم الميامين الى الآن .

— هذا هو السبب فى ضعفهم وفشلهم فى جميع المحاولات حتى أفلتت زمام قيادة العالم من أيديهم ، وأصبحوا تابعين لا متبوعين مقلدين لأمة الكفر ، غير مستقلين ، بما آتاهم الله من الهدى والفرقان وكانت رحمة الله مفتحة لهم الأبواب دائماً فما عليهم الا أن يلجوها ، وعنايته محيطة بهم فما عليهم الا أن يطلبوها فاذا مدوا أيديهم اليها فسرعان ما تعود اليهم عزتهم وكرامتهم .

والجزء الثانى يتكلم على الثورة الجزائرية حين خاضت الحرب باسم الاسلام ، فكان لها نصر مؤزر رغم انها لا تملك من السلاح الا الشىء التافه ولكن الجزائريين تسلحوا فى هذه الحرب — بسلاح قوى لا يقهر ولا يغلب ألا وهو سلاح الايمان بالله عز وجل والوحدة المتينة واستطاعوا بهذا السلاح ان يقهروا قوة الغرب الطاغية ، وان يطردوا الغزاة من هذه الأرض الطيبة . هذا هو طريق النصر اذا اراد المسلمون .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتفرد بالبقاء والقهر الواحد الأحد الفرد الصمد ذى العزة والجبروت ، والجلال والكمال ، الذى لا ندله فيبارى ولا معارض له فيند عن حكمه ، ولا شريك له فيمارى ، كتب الفناء على خلقه وجمل ثواب اتدين اتقوا الجنة وعقبي الكافرين النار .

أحمده على حلو القضاء ومره ، وأعوذه من سطوته ومكره ، وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الهالم يزل عظيما جبارا قهارا قويا جل عن الشبيه والنظير ، وتعالى عن الشريك والظهير وتقدس عن التعطيل وتنزه عن المثيل .

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله الذى أرسله الله رحمة للمالين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات وسلم تسليما كثيرا متصلا ما تعاقب الليل والنهار .

وبعد لم يشهد التاريخ عصرا كهذا العصر الذى نعيش فيه من حيث الهياج الفكرى الذى استبد بالناس حول الدين ، فكان في كل عقل بليال ووسوسة ، وفي كل مجتمع تدافع وجذب ، فدخل سلطان العقل على كل قضية من قضايا الدين ، فلم يدع واجبا ولا خاطرا يمر في كيان الانسان الا أمسك به وعالجه معالجة الكيمائى ، ونقده نقد الصيرفي حتى المسلمات التى رضى الناس بها وأطمأنوا اليها فأدخل عليها الشك .

وقد كان للدين الاسلامى النصيب الأوفر من هذه الثورة الملحدة عليه ، فأصبح الناس ينظرون اليه كافة مزعج مقلق عائق عن التقدم ، لأن هؤلاء (الملحدين) يقولون (الله خرافة ، والدين وهم وخداع وعملية تغدير لسقام العقول ، وضمفاء الأحلام ، والمتدينون به جهلاء أغبياء واقعون تحت تأثير هذا المخدر) هذا بعض ما يقولون عن الدين ، ولا يزالون يقولون الى الآن والى

الغد ، انه لقول يدير الرؤوس ويزعج مواطن السكينة في قلوب المؤمنين .

أما العلماء المفكرون المنصفون من الأجانب فبحثوه بحثا دقيقا يخيث وضعوه تحت المجاهر الفاحصة ، فوجدوه ميزانا عادلا في الأخلاق والاستقامة والأحكام ، والمساواة بين الناس مؤيدا للعقل سائرا على الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها .

الدين مبناه وأساسه على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد وهو عدل كله ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ، فكل مسألة خرجت من العدل الى الجور ، وعن الرحمة الى القسوة وعن المصلحة الى المفسدة وعن الحكمة الى العبث فليست من الدين في شيء وان أدخلت فيها التأويلات ، الدين عدل الله بين عباده ورحمته بين خلقه ، وظله في أرضه وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلى الله عليه . وآله وسلم أتم دلالة وأصدقها ، وهو نوره الذي أبصر به المبصرون ، وهداه الذي أهتدى به المهتدون ، وشفأؤه العام الذي هو دواء لكل عليل ، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل فهو قرة العيون وحياة القلوب ولذة الأرواح ، به الحياة والغذاء ، والدواء والنور والشفاء والعصية ، وكل خير في الوجود فانه مستفاد منه وخاص به ، وكل نقص في الوجود فبعدم الأخذ به ولو لا رسم قد بقي منه لحربت الدنيا وطوى العالم ، وبه يمسك الله السموات والأرض أن تزولا ، فاذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطى العالم رفع الله ما بقي من رسمه فالدين هو الذي بعث به رسوله الكريم وهو قطب الفلاح والسعادة في الدنيا والأخرى .

القانون الطبيعي للأمم هو كل أمة تستعمل ما أتاها الله من قوى الفكر والعقل الا العالم الاسلامي فانه اليوم خليط من بقايا موروثه من عصور الضلام بسبب جلب ثقافات حديثة من تيار حركة أوربية ، وهى خليط لم تصدر - كما رأينا - عن توجيه ، علمي مدروس مبنى على أسس أخلاقنا وعوائدنا ، وانما هى مجموعة من زواجب قديمة لم تصف من طابع القدم ،

ومستحدثات لم تتم تنقيتها ، هذا التلفيق لعناصر من عصور مختلفة ومن ثقافات متتانية من أدنى غير ربط طبعي أو منطقي يربط بينهما عالم متضارب منطوي على ألوان من التناقض والتنافر التي تجمعت وتراكت في المسلمين اليوم لا هم شرقيون ولا هم غربيون ، فهضم العناصر المستوردة يقتضى تميزا دقيقا وفكرا ناقدا يقظا محدد الشروط التي يلزم توافرها في الاستعمالات الضرورية أعنى شروط توافقها وتفهمها ولياقتها ، لقد وجد المجتمع الاسلامي الأول نفسه مرات كثيرة في مواجهة مشكلات من هذا النوع فحلها في كل مرة بطريقة واعية موفقة لا سيما حين حاول اختيار طريقة الدعوة الى الصلاة ، ففكر بعض الصحابة رضى الله عنهم . في الجرس ، أو البوق ، أو اشعال النار عند وقت الصلاة ، ولكن النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته قد اختاروا بعد تفكير وتأمل طريقة أصيلة في النداء وهو صوت الانسان فنشأت حينئذ وظيفة المؤذن وبذلك تحاشوا مشكلة استيراد الأجراس وغيرها (1) .

وهناك عادات وتقاليد كثيرة أخذها العالم الاسلامي الأول ، كانت بعد اختيار مشدد ، واختيار بين وسيلة وأخرى وبين الطرق والأفكار ، فالخطأ الذي وقع فيه المحدثون ودعاة الإصلاح اليوم ناتج على أن كليهما لم يتجه الى مصدر الهامه الحق ، فالاصلاحيون لم يتجهوا حقيقة الى أصول الفكر الاسلامي كما أن المحدثين لم يعمدوا الى أصول الفكر الغربي . يجب على العالم الاسلامي في هذا العصر أن يوفق بين العلم والضمير وبين الأخلاق والصناعة وبين الطبيعة وما وراء الطبيعة ولو أنه سائر في الطريق اليها يجب على المسلمين اليوم أن يمضوا قدما في طريق البحث والتحقيق والاكتشاف حتى يصلوا الى جانب رقيهم الفكري والمادى وكل أمة تتقاعد عن السباق في حلبة الفكر والتعمق في العلم تعصب مع انحطاطها العقلي بالتقهقر والاضمحلال المادى كذلك ولما كانت الغلبة نتيجة القوى ، والهزيمة عاقبة الضعف فان الأمم المتخلفة من الجهتين المعنوية والمادية كلها تهبط في دركات

الضعف والفتور ، وتصبح صالحة للعبودية وأكثرها استعدادا للخنوع ، ان المسلمين يعانون اليوم من هذه العبودية المضاعفة ، فبعضهم توجد فيهم العبودية بنوعيتها جميعا ، وفي البعض الآخر يقل فيه جانب العبودية السياسية وتوجد فيه جانب العبودية المعنوية ، ومن سوء الحظ أنه ليست لهم على ظهر الأرض رقعة اسلامية واحدة مستقلة تمام الاستقلال من الوجهتين السياسية والمعنوية (١).

ويعتبر المسلمون اليوم أن الحق هو ما عند الغرب ، والباطل ما يعمده الغرب باطلا ، والقياس الصحيح للحق والصدق والآداب والأخلاق والانسانية والتهديب هو ما يقرره الغرب ، ولذلك أصبحوا يقيسون العقيدة الاسلامية والايمان بالله عز وجل ، وأحكام الاسلام بمقياس الغرب ، فكل ما يطابق منها مقياس الغرب يطمئنون اليه ، أما ما لا يطابقه فيظنونه خطأ وباطلا .

وان الغلبة والاستيلاء يقوم بنيانه في الحقيقة على الاجتهاد والتحقيق العلمي فكل أمة تسبق غيرها اليه تتولى قيادة العالم وزعامة الأمم وتستولى أفكارها على العقول ، وأما الأمة التي تتخلف في هذا الطريق فلا تجد مناصا من اتباع الغير وتقليده اذ لا تبقى في أفكارها ومعتقداتها من القوة والأصالة ما يكسبها السيطرة على الأذهان فيجر فيها تيار الأفكار القوية والمعتقدات الراسخة التي تتقدم بها الأمة الباحثة المجتهدة ، كان الفكر الاسلامي غالبا على أفكار النوع الانساني بأجمعه وكل ما اتخذه الاسلام من المقياس للخير والشر والحسن والقبيح والخطأ والصحيح يكون مقياسا صحيحا عند جميع أهل الأرض .

كل الحضارات التي كانت على وجه الأرض ذابت بكل سهولة في الحضارة الغربية وتلونت بلونها بدون أن يقع بين هذه وتلك كبير احتكاك ، ولكن المسلمين كانت حالهم غير حال تلك الأمم جميعا لأنهم حاملوا حضارة مستقلة ذات دستور واضح متكامل شامل لجميع شعب الحياة الانسانية من ناحيتي الفكر والعمل ،

تختلف اختلافا كلياً عن مبادئ الحضارة الغربية فكانت بطبيعة الحال — أن هاتين الحضارتين تتزاحمان في كل مجال .

وتصطدمان على كل صعيد ، ولا يزال هذا الصدام قائماً بين القوتين الى هذا اليوم ، يؤثر في كل شعبة من شعب حياة المسلمين العلمية والعقائدية أسوأ الآثار .

من القواعد الكلية التي أثبتها القرآن ، ان الله تعالى (ليس بظلام للمبيد) حتى يهلك أمة بلا سبب ، وهى تعمل صالحاً (وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون)^(١) وليس المراد بهذا الهلاك أن تنقلب الأرض على أهلها ، بل تتشتت الأمم وتكسر قوتها الاجتماعية ، وتضرب عليها الذلة والعبودية والحزى ، وحسب القاعدة القرآنية لا يصيب هذا العذاب أمة من الأمم الا اذا تركت منهج الخير والصلاح ، وأخذت تسلك مناهج الشر والفساد ، والعتو والطغيان وبذلك ظلمت نفسها بنفسها ، وان الله ما ذكر أمة أصيبت بعذاب الا وذكر جريمتها ثباتاً لتلك القاعدة القرآنية حتى يتبين لمناس أن وبال أعمالهم السيئة هو الذى يفسد دنياهم وأخرتهم (فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ، ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسقنا به الأرض ، ومنهم من أغرقنا) سورة المنكبون ، ولا يكون هو الفساد الفردى بل هو الفساد الجماعى فالعناية الالهية هى التى تتصرف فى هذه الأمة ، ويبدأ المجتمع الفاسد فى الهبوط من علياء عزه الى درك الهوان حتى تحين الساعة التى يهيج فيها غضب الله فيدمرها تدميراً هذا هو سبب الهلاك ، اذا أراد المسلمون أن يكون لهم نصر مؤزر وغير هزيل ، ومصحوب بالدوام والاستمرار فيحافظوا على الاسلام ، وعلى ما جاء به من الوحدة وغيرها ، لأن توجيهات القرآن وارشاداته صريحة فى هذا المعنى ، ومن خلال انتصار المسلمين فى الماضى كانت موافقة لما أمر به القرآن الكريم رغم نقصهم فى العدة والعدد ، لأن هذه الانتصارات الرائعة التى وقعت للمسلمين على أعدائهم سواء كانت فى الماضى

أو الحاضر فهي ، وعد من الله للمسلمين ان هم داموا سائرين على خط الاسلام ، فلا بد من تحقيق هذا الوعد قال : الله عز وجل : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون به شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)^(١) فما بال المسلمين لم ينتصروا عدة قرون وهم منهزمون ، أترى أن الله يخلف وعده كلا .

... فالله سبحانه وتعالى يقول : (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين)^(٢) وانما المسلمون نقضوا الشرط الذي شرطه الله عليهم في الآية المتقدمة .

إذا تركت الشعوب الاسلامية الدين بعيداً عن حياتها ، كما هو الآن - في أوطان المسلمين ، ولم تجعله أساساً لشؤونها ، فانها لن تستطيع أن تقوم بنهضة قوية وعندئذ لا يقدر أى مبدأ من المبادئ المستوردة أن يوحد بينها ، فتتنا بها عوامل الضعف والتخاذل والتفرقة ، وهذا ما وقع في الماضي ، وكان السبب في سقوطها فريسة بين أيدي أعدائها ، ولازال هذا التفرق الى الآن بكل أسف .

الأمة الاسلامية - في تاريخها الطويل العريض - لم تحارب أعداءها باسم أى مبدأ من المبادئ الوضعية ، وانما حاربت باسم الاسلام ولهذا كانت تخرج من المعارك ظافرة ومنتصرة .

ونأتى بمثال واحد - من بين الأمثلة الكثيرة - شاهداً على ذلك يللمسه كل من باشر ثورة الجزائر الكبرى ، حين وصل الايمان بالله عز وجل الى قلوب الشباب عن طريق الدعوة فسرعان ما تناسى حظوظه الشخصية واتحد ، وبرز يكافح ويناضل ، ويجاهد في سبيل الله في كل مكان لاسترجاع كرامته المهدورة وحقوقه المهضومة ، وسيادته المغصوبة ولو دعى باسم مبدأ آخر خلاف الاسلام لما لبى النداء أبداً ، ولهذا ضرب

(١) سورة النور

(٢) - الروم

الأمثال الرائعة في الشجاعة والتضحية والفداء ، فصمد في وجه أكبر قوة غاشمة ، وهى قوة الغرب الطاغية المستبدة على شعوب العالم كما صمد أجداده من قبل في وجه الفرس والرومان .

ما هى الا لحظات من لحظات الدهر الحاسمة ، صبر فيها المجاهدون الأبرار حتى نزل النصر من عند الله ، وتغيرت الأوضاع والمعاليم ، ولاذ لفاصبون بالفرار ، ولم تغن عنهم قوتهم ، ولا سلاحهم المتطور ، بهذه العقيدة الربانية انتهى عهد الظلام بطلوع فجر صادق تتلا لا أشعته في الآفاق ، كم كان يحمل جسم الأمة الاسلامية المثخن بالجراح من حصانة ومناعة ومقاومة على مر الأزمان والأحقاب ، ولو لا الاسلام لانقرضت هذه الأمة من الوجود كما انقرضت عادو ثمود في الزمن الغابر ، وكيف تتقرض وهى من بقيت السلف الصالح ، ومن حملة العقائد الصحيحة والمبادئ السامية

كان قادة الثورة الجزائرية أيام حرب التحرير يحثون الشعب بصفة عامة والمجاهدين بصفة خاصة على تطبيق أوامر الاسلام والعمل بها واجتناب نواهيها ، وكانوا يعاقبون كل من يتعد حدوده .

لقد أثار كفاح الجزائريين الهامدين ونيه النائمين والغافلين ، فكان المجاهد الجزائري حاضرا للعمل مهيا للبذل والعطاء مستعدا للفداء مدربا على خوض المعارك معتزما الاستشهاد في سبيل الله حمل السلاح ومضى الى ميادين القتال ، فبدأ هجوماته على العدو بكلمة (الله أكبر) فكان النصر حليفه ، لم يشهد العالم الاعسلامى ثورة مسلمة مسلحة مثلها في العصور الأخيرة من عصور المسلمين أكثر ضحايا وأطول مدة لم تقتصر هذه الثورة على الجزائريين وحدهم ، بل فتحت الطريق لشعوب آسيا وافريقيا لمحاربة الاستعمار الذى كان جائما على صدرها ومنذ اندلاع الثورة في الجزائر ، وهذه الشعوب تكافح وتناضل حتى تحررت نهائيا ، ولما دعى الشعب الجزائري الى الثورة ، لم يعد كفاحهم هتافا

وتصفيقا بل كان عملا وتضحية ولم يعد جهادهم دعاية وتهريجا ، بل كان فداء واستشهادا . وتمذيبا وتنكيلا ، هذه الثورة كلفت الشعب الجزائري ثمنا باهضا من التضحيات الجسيمة فسقط ما يربو عن مليون شهيد في الاشتباكات على مستوى الوطن ، تحت قنابل المدافع والنبالم والطائرات وأزيز الرصاص وعلى أعواد المشايق وشفرات المقاصل وتحت الهدم ، أما العذاب الذى أنزل على رأس الأمة الغالب لم ينجو منه أحد ، والتخريب ودك الدور والمنازل وهتك الاعراض والشرف فحدث عن ذلك ولا حرج .

وامتازت مقاومة الجزائر لجيش الاحتلال الفرنسى ببطولة نادرة لم يكن هذا الاحتلال نزهة عسكرية كما يقولون ، بل اصطدم بأناس أقوياء في ايمانهم صلب في عزائمهم لا كما كان يظن الاستعمار أنهم أناس متأخرون وهذا ماشهد به قائد الاحتلال (الجنرال بيجو) قال : (ان العرب كلهم أهل حرب وبأس يخوضون غمار الحروب من الشيخ الهرم البالغ من العمر ثمانين سنة الى الطفل البالغ خمسة عشرة سنة) واعترف المؤرخون الفرنسيون بشخصية الجزائر المسلمة كوحدة قومية تنتمى الى المجموعة الاسلامية ، وهذا ما شهد به المؤرخ الفرنسى (لورد ليو) في كتابه الجزائر وتونس قال : (ان فرنسا استولت سنة 1930 على قطر عامر غنى زرعا وذرعا يذود عن حوضه سكان عديدون يحبون الحرب ولا يعرفون للفشل ولا للملل معنى ، ان هؤلاء السكان من جنس عريق استوطنوا افريقيا منذ زمن عتيق ، توالى عليهم في هذا القطر قرون وأجيال ، فهم أصحاب مدينة رائعة ، يكونون هيئة اجتماعية منظمة ، تتوفر فيها شروط الحياة والقوة ، تعتز بوطنيتها كل اعتزاز ، وبفضل أخلاقها وعاداتها ودياناتها ، كانت تنفر من الاندماج الى أى جنس ما ، ومما يزيد في الطين بلة ، هو دين هذا الجنس دين عزيز لا يغلب ولا يقهر ، قوة دافعة جبارة يستمدّها من بساطة مبادئه ووضوحها الى غير ذلك من شهادة المؤرخين الأجانب .

كتبت عدة كتب عن الثورة الجزائرية ، كان أكثر الكتاب
غربيين من صحافيين ومؤلفين ، تناولت بعض الأحداث الظاهرة
في الثورة التي نجمت عنها ، وعلى الحرب المدمرة وابتادة السكان
وعلى العذاب والتنكيل ، والقتل الجماعي الذي كان يستعمله
الجيش الفرنسي ، واندفاع الشعب الجزائري ومغامرته بحياته في
هذه الحرب القذرة ، وعلى المؤتمرات التي كانت تعقد في الشرق
والغرب من أجل انتهائها ، وعلى المناضل الجزائري وما كان يحمل
بين طياته من شجاعة وعبقريّة فذة ، وصور انسانية حية سليقة
فيه ، هذا كله تكلموا عنه لكنهم أهملوا العنصر الأساسي الذي
قامت عليه الثورة ، والذي أمدّها بقوة غلبة وقادها حتى النصر
النهائي ، وسواء أكان ذلك عن قصد أم عن غير قصد ؟ فالدين
هو الذي كان سببا في جميع كلمة الأمة ، وبعث فيها روح
المجاهد والتضحية ، وقادة الثورة جعلوه دستوراً لها سارت عليه
من بدايتها الى نهايتها ، ولولاه لما اجتمعت الأمة على مقاومة
الاستعمار ، والعالم كله يشهد بذلك ، أفبعد هذا الانتصار
الرائع يتنكر الشعب من بعد الاستقلال للاسلام ويتهمه
بالرجعية وعدم مساييرته للتطور الحضاري ؟ اللهم فاعنها لاتعمى
الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ، ولما رأيت أن
الكتاب عن الثورة لم يشيروا الى الدين الذي هو عنصر فعال
فيها لامن قريب ولامن بعيد ، عزمت على أن أكتب على هذا
الجانب الروحي الذي سرى تياره في هذه الأمة منذ زمن بعيد
وماكادت تسمع صوته من الدعاة حتى صارت تتسابق الى ميادين
المجاهد - واني أثبت الحقائق الناصعة في هذا الكتاب وأرفع
الالتباس والعموض تحقيقا للواقع التاريخي ، مبينا في ذلك
للشعوب الاسلاميّة عامة وللشعوب العربيّة خاصّة وموضحا
للأجيال الصاعدة أنهم اذا حادوا عن الاسلام ، ولم يجعلوه
أساسا لحياتهم لم يكتب لهم النصر والتوفيق أبدا في هذا الوجود ،
ويبقوا تابعين لا متبوعين ...

أشرت في هذا الكتاب الى الخلاف المستحكم الحلقات بين المسلمين — والأنانية الطاغية في بعض الأفراد — ولا سيما الحكام — حتى عصفت بما كان لهم من تسامح وعدالة ووحدة .

وبدا هذا الخلاف من بعد ما التحق صاحب الرسالة — صلى الله عليه وسلم — بالرفيق الأعلى .

ومن بعد ذلك قامت الأحزاب والفرق التي نجمت من بعد حياة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين — والكوارث التي أصابت المسلمين — سواء كانت داخلية أو خارجية هي التي كانت سببا في سقوط الخلافة الشرعية ومن بعدها هبت المحن على العالم الاسلامي ، فتفرق شر مذر لأنه ترك الجبل الذي كان يربطه ومن ذلك الحين لم يكن للمسلمين وحدة الى الآن ، وأصبحوا يخرجون من سىء الى أسوأ .

وأشرت الى حرب الأمير عبد القادر مع الجيش الفرنسي والثورات التي وقعت في عهد الاستعمار الى ثورة 1954م ، وكذلك ثورة العالم الاسلامي اشارة عابرة ، لأن الذي يكتب عن الثورة الجزائرية لا يستطيع أن يفصلها عنه بحكم الروابط الدينية والتاريخية والمصرية والحضارية .

وأشرت الى الأسباب التي قامت عليها ثورة الجزائر الكبرى ، وهي : الأحزاب الوطنية ، والهيئات الدينية ، كانت تبث الوعي الديني والوطني فاستجاب الشعب الى هذا الوعي ، وصمد في وجه قوة الغرب ، وغالب الجزء الأول من هذا الكتاب عرض تاريخي للحوادث الكبرى التي انتابت المسلمين وجعلتهم طوائف متناحرة ودولا متحاربة حتى ضعفوا وفشلوا ، فطمع فيهم أعداؤهم فأصبحوا تحت رحمتهم بسبب تفكك وحدتهم وتفرق كلمتهم لأنهم خالفوا الاسلام الذي يأمرهم بالاعتصام بجبل الله جميعا ولا يتفرقوا .

من هنا يجب أن يعتبر المسلمون بالماضى القريب والبعيد ليتداركوا أخطاءهم ، ويلطفوا من أنانيتهم وعداوتهم لبعضهم بعضا ويلتفوا حول الدين الحنيف حتى يصبحوا أمة قوية مرهوبة الجانب تقف في وجه أعدائها المتكالبين عليها من كل ناحية (ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) (١).

لأن المسلمين عندما يتنكرون للاسلام ، ويتحللون من أوامره وأخلاقه يفشوا فيهم الضعف عن المقاومة والتخاذل فيما بينهم والترف الممقوب ، فيعرضون أنفسهم وشعوبهم الى احتلال أوطانهم من طرف أعدائهم .

وذكرت بعض التعاليم الاسلامية لتكون حجة للمناوئين لها فكل من يعارض الاسلام لا يعرف مبادئه ، ولا درسه دراسة واسعة حتى يتمكن من معرفة حقائقه، وسميته (الاعتصام بالاسلام).

الايمان بالله عز وجل صنع رجالا كانوا اغمارا في الجاهلية فاصبحوا سادة العالم

بعث محمد صلى الله عليه وسلم ، والعالم مبعر ومشتت كل شيء فيه ، فهو في غير محله ، نظر محمد صلى الله عليه وسلم الى الناس فرأى كل واحد هانت عليه نفسه رآه يسجد للحجر والشجر والنهر ، وكل ما لا يملك لنفسه النفع والضرر ، كان الناس يتحاكمون الى قانون الغاب ، رأى مجتمعا كل شيء فيه في غير شكله ، أصبح المجرم فيه سعيدا ، والصالح شقيا ، لا أنكر في هذا المجتمع من المعروف ، ولا أعرف من المنكر ، ورأى عادات فاسدة تستعجل فناء البشرية وتسوقها الى هوة الهلاك ورأى معاقرة الحمر الى حد الادمان ، والخلاعة ، والفجور الى حد الاستهتار ، وتماطى الربا الى حد الاغتصاب ، واستلاب الأموال ، ورأى الطمع وشهوة المال الى حد الجشع والنهامة ورأى القسوة والظلم الى حد الواد وقتل الاولاد ، ورأى ملوكا اتخذوا بلاد الله دولا ، وعباد الله خولا ، ورأى أحبارا ورهبانا أصبحوا أربابا من دون الله يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله .

رأى المواهب البشرية ضائعة لم ينتفع بها أحد ، ولم توجد التوجيه الصحيح ، فعادت وبالا على الانسانية ، فقد تحولت الشجاعة فتكا وهمجية ، والجود تبذيرا واسرافا ، والانفة حمية جاهلية والذكاء شطارة وخديعة والعقل وسيلة لابتكار الجنائيات ، والابداع في ارضاء الشهوات رأى هذا كله وأكثر منه في بيئته الخاصة وفي العالم ، ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم رجلا اقليميا أو زعيما وطنيا ، أو مصلحا لناحية من نواحي المجتمع اذ مجال العمل في بلاد العرب فسيح ، لو كان رجلا اقليميا لسار في قومه سيرة القادة السياسيين والزعماء الوطنيين ، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يبعث لينسخ باطلا بباطل ويبدل عدوانا بعدوان ، ويحرم شيئا في مكان ويحل في مكان آخر ، لم يبعث زعيما وطنيا ، أو قائدا سياسيا ، وانما أرسل الى الناس كافة بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا وأرسل ليخرج عباد الله جميعا

من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ويخرج الناس جميعا من ضيق الدنيا الى سعتها ومن جور الأديان الى عدل الاسلام (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم)^(١) فلم يكن خطابه لأمة دون أمة ووطن دون وطن ، ولكن كان خطابه للنفس البشرية والمصير الانساني ، وكانت أم القرى لموقعها الجغرافي واستقلالها السياسي خير مركز لرسالته وكانت الأمة العربية بخصائصها النفسية ومزاياها الأدبية خير محل لدعوته وخير داعية لرسالته .

لم يكن صلى الله عليه وسلم من عامة المصلحين فحسب ، بل أتى بالاصلاح الشامل لجميع نواحي الانسانية ، أتى بالايمان بالله وحده ، ورفض الأوثان والشرك والكفر والطاغوت والظلم والبغى بكل معاني الكلمة ، وقام في القوم ينادى (أيها الناس قولوا لا اله الا الله تفلحوا) ودعاهم الى الايمان برسالته والايمان باليوم الآخر .

أدرك عباد الاوثان والشهوة والمادة عندما قرع أسماعهم صوت النبي صلى الله عليه وسلم أن دعوته الى الايمان بالله وحده سهم مسدد الى كبد الجاهلية ، فقامت قيامتها ودافعت عن تراثها ، وقاتلت في سبيلها قتال المستميت (وأنطلق الملاء منهم أن أمشوا واصبروا عن آلهتكم أن لهذا الشيء يراذ)^(٢) ووجد كل واحد من هذا المجتمع الجاهلي نفسه مهددة ، وحياته في خطر ، وهنا وقع ما تحدث عنه التاريخ من حوادث الاضطهاد والتعذيب ، وكان ذلك آية للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه أصاب الغرض ، وضرب على الوتر الحساس ، وأصاب الكفر في صميمه ، وثبت النبي صلى الله عليه وسلم على دعوته ثبوتا دونه ثبوت الراسيات لا يشنيه أذى ولا يلويه كيد ولا يلتفت الى اغراء مكث صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر حجة يدعو الى الله وحده ، والايمان برسالته واليوم الآخر لا يكنى ولا يلوح ولا يلين ، ولا يستكين ، ولا يعابى ، ولا يدهن ويرى في ذلك دواء لكل داء .

فكان الايمان بالله والانحياز اليه جد المجد لا يتقدم اليه الا جاد مخلص هانت عليه نفسه ، وعزم على أن يقتحم خط النيران ويمشى اليه ولو على حسك السعدان ، فتقدم اليه فتية لا يستخفهم طيش الشباب ، ولا يستهويهم مطمح من مطامح الدنيا وانما همهم الآخرة وبغيتهم الجنة .

سمعوا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم ، فضاقت عليهم الحياة الجاهلية بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم فراوا أنهم لا يسعهم الا الايمان بالله ورسوله فأمنوا وتقدموا الى النبي صلى الله عليه وسلم ووضعوا أيديهم في يديه ، وأسلموا أنفسهم وأرواحهم اليه ، وهم من حياتهم على خطر ، ومن البلاء والمحنة على يقين ، سمعوا القرآن يقول (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) (١) وسمعوا قوله تعالى (أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب) (٢) فما كان من قریش الا ما توقعوه ، قد نثروا كنانتهم وأطلقوا عليهم كل سهم من سهامها فما زادهم كل ذلك الا ثقة وتجلدا وقالوا : (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم الا ايمانا وتسليما) (٣) ، ولم يزدهم هذا البلاء والاضطهاد في الدين الا متانة في عقيدتهم وحمية لدينهم ومقتا للكفر وأهله واشتعالا لعاطفتهم وتمحيصا لنفوسهم فأصبحوا كالتبر المسبوك واللجين الصافي ، وخرجوا من كل محنة وبلاء خروج السيف بعد الجلاء .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يغذى أرواحهم بالقرآن ويربى نفوسهم بالايمان ويحثهم على الخضوع أمام رب العالمين خمس مرات في اليوم عن طهارة بدن وخشوع قلب وخضوع جسم وحضور عقل فيزدادون كل يوم سمو روح ونقاء قلب ونظافة

(٨) - ص

(١) سورة التوبة

(٢) البقرة (٣) - الاحزاب

خلق وتحررا من سلطان الماديات ، ومقاومة الشهوات نزوعا الى رب الأرض والسموات ، فكان يأخذهم بالصبر على الاذى والصفح الجميل ، وقهر النفس لقد رضعوا حب الحرب ، وكأنهم ولدوا مع السيف ، وكيف لا ؟ وهم من أمة اشتهرت بالهمة والشجاعة والفصاحة والنبل وحسن الشيم ، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقهر همتهم الحربية ، ويكبح نخوتهم العربية ويقول لهم : (كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة) فأنقهروا لأمره وكفوا أيديهم وتحملوا من قریش ما تسبيل به النفوس في غير حين وفي غير عجز ، ولم يسجل التاريخ حادثة دفع فيها مسلم في مكة عن نفسه بالسيف مع كثرة الدواعى الى أن أذن الله لرسوله بالهجرة مع أصحابه .

التقى أهل مكة بأهل يثرب لا يجمع بينهما الا الدين الجديد ، فكان أروع منظر لسلطان هذه التاريخ فألف الاسلام بين قلوبهم ، ولو أنفق أحد ما في الأرض جميعا ما ألف بين قلوبهم ، ثم أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم وبين المهاجرين ، فكانت تزرى بأخوة الأشقاء .

كانت هذه الجماعة نواة للأمة الاسلامية الكبيرة التي أخرجت للناس ومادة للاسلام في كل زمان ومكان ، وكانت وقاية للعالم من الانحلال الذي كان يهددها وعصمة للانسانية من الغش والاختار لذا قال الله سبحانه وتعالى : (في حق هذه الجماعة) الا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير (١) .

لم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يريهم تربية عميقة ، ولم يزل القرآن يسمو بأنفسهم ويذكرى جمرة قلوبهم ، ولم تزل مجالس الرسول صلى الله عليه وسلم تزيدهم رسوخا في الدين وعزوفاً عن الشهوات وتفانيا في سبيل مرضاة الله ، وحنينا الى الجنة ، وحرصا على العلم وفقها في الدين ، ومحاسبة للنفس يطيعون الرسول في المنشط والمكروه ، وينفرون في سبيل الله خفافا وثقالا ، قد خرجوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم للقتال سبعا وعشرين مرة في ظرف عشر سنين ، وخرجوا بأمره لقتال

العدو أكثر من مائة مرة فهان عليهم التخلي عن الدنيا ، وهانت عليهم رزئة أولادهم ونسائهم في نفوسهم ، ونزلت الآيات التي تأمر بأنفاق الأموال والجهد بالنفس والولد والعشيرة ، فنشطوا وخضعوا لامثال أمرها .

انحلت العقدة الكبرى — عقدة الشرك والكفر — فانحلت جميع العقد فانتصر الاسلام فكانوا لا يشاقون الرسول . من بعد ما تبين لهم الهدى ولا يجدون في أنفسهم حرجا مما قضى ، ولا تكون لهم الخيرة من بعد ما أمر ونهى حدثوا الرسول عما اختانوا به أنفسهم وعرضوا أجسادهم للعذاب الشديد اذا فرطت منهم زلة استوجبت الحد وأنصفوا من نفوسهم انصافهم من غيرهم وأصبحوا في الدنيا رجال الآخرة لا تجزعههم مصيبة ولا تبطرهم نعمة ، ولا يشغلهم فقر ، ولا يطفهم غنى ولا تلهيهم تجارة ، ولا تستخفهم قوة ، ولا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا ، وأصبحوا للناس القسطاس المستقيم قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين ، وطأ لهم أكناف الأرض وأصبحوا عصمة للبشرية ، ووقاية للعالم ، وداعية الى دين الله ، وأستخلفهم رسول الله في عمله ، ولحق بالرفيق الأعلى قرير العينى من أمته ورسالته .

أنتقل العرب والذين أسلموا عن معرفة الجاهلية العليلة الفامضة الميتة الى معرفة عميقة واضحة روحية ذات سلطان على الروح والنفس والقلب والجوارح ذات تأثير في الأخلاق والاجتماع ذات سيطرة على الحياة وما يتصل بها .

آمنوا بالله الذى له الأسماء الحسنى والمثل الأعلى ، آمنوا برب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور العزيز الحكيم الغفور الودود الرؤف الرحيم ، له الخلق والأمر بيده ملكوت كل شيء ، يجير ولا يجار عليه الى آخر ماجاء في القرآن من وصفه يثيت بالجنة ويعذب بالنار ، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر . يعلم الخب في السموات والأرض ويعلم خائنة العيون وما تخفى الصدور الى آخر ماجاء في القرآن من قدرته وتصرفه وعمله ، فأنقلبت أنفسهم بهذا الايمان الواسع انقلابا عجيبا ، فاذا آمن

أحد بالله وشهد أن لا إله إلا الله انقلبت حياته ظهرا لبطن ،
وتغلغل الاعميان في أحشائه ، وتسرب الى جميع عروقه ومشاعره
وجرى منه مجرى الروح والدم ، وغمر العقل والقلب بفيضانه
وجعل منه رجلا غير الرجل الأول وأظهر من روائع الايمان
واليقين والصبر والشجاعة ومن خوارق الأفعال والأخلاق ما
جبر العقل والفلسفة وتاريخ الأخلاق ولا يزال موضع الحيرة
والدهشة منه الى الأبد .

ظهر المسلمون وتزعموا العالم ، وعزلوا الطفافة عن الأمم ،
وساروا بالانسانية سيرا حثيثا متزنا عدلا ، وقد توفرت فيهم
الصفات لقيادة الأمم ، لأنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة الهية
فلا يشرعون من عند أنفسهم لأن ذلك منبع الجهل والخطأ والظلم ،
قد جعل الله لهم نورا يمشون به في الناس وشريعة يحكمون بها
بين الناس (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في
الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) (١) .

وقد قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء
بالقسط ولا يجز منكم شئان قوم غلى الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب
للتقوى وأتقوا الله ان الله خير بما تعلمون) (٢) .

لأنهم لم يتولوا الحكم والقيادة بدون تربية خلقية وتزكية
نفس بل مكثوا زمنا طويلا تحت تربية محمد صلى الله عليه وسلم
واشرافه الدقيق يزكيهم ويؤديهم ويأخذهم بالزهد والورع
والعفاف والأمانة والايثار على النفس وخشية الله وعدم
الاستشراف للأمانة والحرص عليها يقول (انا والله لا تولى هذا
العمل أحدا سألته ، أو أحدا حرص عليه) حديث متفق عليه
ويجعلون دائما نصب أعينهم قوله عز وجل (تلك الدار الآخرة
نجعلها للذين لا يريدون علو في الأرض ولا فسادا) فكانوا لا
يتهافتون على الوظائف والمناصب تهافت الفراش على الضوء ،
بل كانوا يتدافعون في قبولها ، ويتخرجون من تقليدها .

بهذا الايمان الواسع والتعليم النبوى المتقن وبهذه التربية الحكيمة الدقيقة وبشخصيته الفذة ، وبفضل هذا الكتاب السماوى المعجز الذى لا تنقضى عجائبه ولا تخلق جدته ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانسانية المحتضرة حياة جديدة فأوجد فيها - باذن الله - الايمان والعقيدة وبعث فيها روحا جديدة وأثار من دقاتها وأشعل مواهبها ، ثم وضع كل واحد منهم في محله فكأنما خلق له ، وكأنما كان المكان شاغرا لم يزل ينتظره ، فما لبث العالم أن رأى منهم نوابغ كانوا من عجائب الدهر وسوانح التاريخ ، فأصبح عمر الذى كان يرعى الابل لأبيه الخطاب وينتهره ، وكان من أوسط قريش جلادة وصرامة اذا به يفتح العالم بعبقريته وعصاميته ، ويدحر كسرى وقيصر عن عروشهما ويؤسس دولة اسلامية تجمع بين تفوقها في الادارة وحسن النظام فضلا عن التقوى والورع والعدل الذى لا يزال فيه المثل السائر .

وهذا ابن الوليد كان أحد فرسان قريش اذا به يلمع سيفا الهيا في الاسلام لا يقوم له شىء الا حصده وينزل كصاعقة على الروم ويترك ذكرا خالدا في التاريخ وهذا أبو عبيدة كان موصوفا بالصلاح والأمانة والرفق اذا به يتولى القيادة العليا للمسلمين ويطرد هرقل من ربوع الشام ومروجها الخضراء ويلقى عليها نظرة الوداع ويقول : (سلام على سريا سلاما لالقاء بعده) الى غير ذلك من الأفذاذ الذين تلقوا معلوماتهم وتكوينهم في مدرسة الايمان ، ولا زالت هذه المدرسة تخرج لنا من لمباقرة والشخصيات العظيمة البارزة في كل ميدان من ميادين الحياة الى الآن وإلى الغد ان شاء الله .

تعاليم الاسلام قوة روحية ومادية معا وعدالة اجتماعية ورحمة لجميع الناس

ما أعظم نعم الله على المسلم الذى هداه الى الطريق المستقيم والوصول به الى معرفة الخالق جل وعلا ، ولما فتح هذا المخلوق عينيه على الكون العجيب الصنع والاتقان ابهر عقله ، وحرك ذهنه في كل ما يحيط به من الأشياء الدالة على عظم قدرة الله فاذ عن له ، وأقر لرؤيته بالكمال المطلق .

ولقد كرم الله الانسان بنعم لا تعد ولا تحصى ، وفضله على كثير من المخلوقات قال تعالى : «ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا» (١) .

الايمان بالله سبحانه وتعالى هو المبدأ الوحيد في هذا العالم أخذ به المؤمنون قديما وحديثا ، وفي جميع الأزمنة والأمكنة واعتصموا بحبله جميعا فهداهم الى ما فيه خيرهم وسعادتهم .

الايمان بالله هو التصديق بالحقيقة الكبرى ، والاعتراف بالوجود الأعلى بواسطة مخلوقاته الكثيرة العجيبة الصنع والابداع ، الايمان بالله هو شعور الانسان بمنزلته المحدودة أمام رب عظيم بيده ملكوت السماوات والأرض ، وكل شىء في هذا الوجود .

الايمان بالله هو القوة الباعثة على العمل الصالح القوة التى توجه الانسان الى الله فيما يفعل وفيما يترك في جميع شؤون الحياة كلها .

الاسلام مبدأ الهى عام لا يفرق بين جنس وجنس ، ولا بين لون ولون ولا بين وطن ووطن ، بل هو هداية من الله الى الخلق

أجمعين ، وهو قوة روحية دافعة ، ودعوة عامة ، هو نظام كامل يقدم للإنسانية فكرة شاملة عن الكون والحياة ، ويجعل المنصر الأخلاقي أصيلاً في بناء المجتمع ليكون عقلية متشعبة بالروح لتنبعث الحياة من داخل النفس ، الإسلام دين تعاوني في جميع مظاهره أعلن حقوق الإنسان منذ أربعة عشر قرناً ، وإذا كانت المذاهب المختلفة في العالم تدعو إلى سلام الإنسان مع الإنسان وسلام الإنسان مع الحيوان ، وسلامه مع النبات حتى مع الجملد لأنه حث على عمارة الأرض ، ونشر المعاني والقيم الإلهية فيها فهذه الأشياء مخلوقات لله ، والإنسان خلقه الله ليكون خليفة له في الأرض ، وقد سخر له الأرض وما عليها ، ومن هنا وجدنا الحقوق ليست قاصرة على الإنسان وإذا كانت الدول المتحضرة في العصر الحديث تحاول أن تثبت حقوق الإنسان فإن الإسلام قد فرغ منها منذ زمن بعيد ...

الإسلام حين يرفع حقوق الإنسان ، يرفع أولاً حقوق الضعفاء .

يقول الرسول الكريم : (أبغوني الضعفاء فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم) (١) ، والله سبحانه وتعالى يطلب الدفاع عنهم ، والقتال في سبيل حمايتهم فقال : (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والوالدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها) (٢) .

ويحذر الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه (من أن يقف أحد المسلمين موقفاً يضرب فيه رجل ظلماً بأن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدافعوا عنه) كما يحذر من الظلم بصفة عامة ، فيقول : (اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) (٣) ، وينذر القرآن الكريم الظالمين بأنه لن يكون لهم يوم القيامة حميم ولا شفيع يطاع ، وينذر الرسول الكريم صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأعلى صوته في حجة الوداع (ألا إن دماءكم

(١) رواه أبو داود

(٢) سورة النساء

(٣) رواه مسلم (3) رواه البخاري

وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا) (٣).

ويقول أيضا (في كل ذات كبد رطبة صدقة) وما حديث المرأة التي عذبت هرة لها فحبستها ، ليست ببعيدة عنا وكذلك حديث الرجل الذي سقى الكلب من البئر وجده عطشان فغفر الله له ، والاباحة في ذبح الحيوان انما هي مرهونة بمصلحة الانسان ، فالاسلام يمنع من عقر الحيوان الا للأكل ، ومن هنا كان النحر باسم الله الذي أباح لنا هذه الحيوانات ، والتعذيب للحيوان أو للطير غير جائز ، والاسلام يحرم على أن يطأ بقدميه كسرة خبز أو ما يؤكل مما يفيد الانسان أو غيره من مخلوقات الله ، لأن في ذلك امتهاننا للنعمة التي حماها الله فاحترامها والمحافظة عليها من الآداب السامية لأنها مخلوقة من مخلوقات الله وقد انتفع بها المخلوقون ، ومنع الاسراف والفساد فيها ، والاسلام حين يعلن هذه الحقوق ، فانما يعلنها بأسلوبه الخاص ، ثم يطبقها التطبيق السليم ، لأن هذا الاعلان صادر من رب العالمين ، وهو أدري بهم ، وما يصلح لهم لأنه خالقهم وليس بينه وبين أحدهم صلة الا العمل الصالح ، والمسلمون حين يطبقون أوامر الاسلام يبدأون من داخل النفس ليتقربوا بها الى الله ، وهو أعلم بما يسرون وما يعلنون .

الاسلام ينطلق من وحدانية الله تعالى الذي خلق البشر جميعا ، ورسم لهم الدين منهجا يسرون عليه لتحقيق رسالتهم في هذه الحياة ، والفوز والنجاة في الدار الأخرى ، وطلب منهم أن يطيعوا الله ورسوله وأولى الأمر منهم في الحدود التي رسمها لهم ، قال الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) (١).

فأساس التفاضل في الاسلام هو العمل الصالح لا الفنى ، ولا الوطن ، ولا الحسب والنسب الى غير ذلك من معانى الجاهلية ، لأن هذه الأخلاق الفاضلة بها تظهر طبيعة الانسان الكامل ، فالقرآن حث عليها لأنه كتاب تربية وتثقيف ، وليس كل ما فيه

كلاما عن الفرائض والشعائر ، وأن الفضائل التى يحث عليها من أجمل الفضائل وأرجحها في موازين الأخلاق وتتجلى هداية الاسلام في نواحيه .

والمسلمون في الوقت الحاضر متأثرون بالمفاهيم القومية البعيدة عن تعاليم الاسلام وعن تربية القرآن وهذا التأثير جزء من الثقافة والحضارة المستوردة ، وكل انسان مسؤول عن عمله (كل نفس بما كسبت رهينة) (ولا تزر وازرة وزر أخرى هكذا يكون المسلم في ظلال القرآن .

الاسلام يعلن حرية العقيدة للناس جميعا ، فيها بواعث الروعة والجمال ، وما تحدثه في الخواطر من دواعى الشعور والتأثير ، فيقول الله في كتابه الكريم : (لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ، فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) (2) .

ويبين مهمة الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : «ان أنت الا نذير» .

ويطلب منه ألا يحزن على الذين يسارعون في الكفر بقوله عز وجل : (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم) (3) .

ويعاتبه لشدة حرصه على ايمان الناس فيقول : (لعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) (1) ، ثم يقول له بعد ذلك : (وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) (2) ، ثم طلب منه أن يعلن للناس جميعا أنه بشر مثلهم يوحى اليه : (قل انما أنا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (3) .

الاسلام مع المجتمعات الأخرى يدعو الى الحوار الهادى الخالى من الأغراض والمعادنة قال تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا

(2) - الحجرات (3) - المائدة
(1) سورة الكهف (2) - الكهف (3) - الكهف

يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فاعن تولوا فقولوا أشهدوا
بأننا مسلمون» (4) .

طلب الاسلام من كل داعية أن يكون هادئ الطبع لين
العريكة ، فيقول الله لنبيه الكريم : «ولو كنت فضا غليظ القلب
لأنفضوا من حولك» .

وقد حرم الاسلام القتال من أجل الاكراه في الدين ضمانا
لحرية الاعتقاد ، ولكنه أعلن الجهاد من أجل حرية عمل الخير
وكلمة الحق ، والاسلام يطلب من المسلم أن يصدع بكلمة الحق
أين ما كان وفي كل وقت ، وجعلها الرسول عليه الصلاة والسلام
أفضل الجهاد عند سلطان جائر فيقول عليه الصلاة والسلام :
(أفضل الجهاد كلمة الحق عند سلطان جائر) أخرجه أبوا دواود .
ويجب أن تكون كلمة الحق في اطارها الصحيح الذي يبنى ولا
يهدم ويخدم الانسانية من حيث هي قال تعالى : (يا أيها الذين
آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم
ذنوبكم) (5) . ويجب أن يكون الأمر في أحسن لفظ
وأعصاب هادئة ، فالمسلم ليس بالسباب ولا باللعان ، ولا بالفاحش
البدئ ، كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : (المؤمنون
الذين يرضى الله عنهم من صفاتهم أنهم يقولون قولا طيبا) قال
تعالى : (وهدوا الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد) (1) ،
والكلمة الطيبة تؤثر في القلوب وتلين المشاعر .

المساواة في الاسلام مشكلة حار الناس فيها ، ولكن الاسلام
حلها بكل سهولة وطبقها بين الناس جميعا ، وبين لهم أنهم من أب
واحد ، وأم واحدة ، واذا جعلهم شعوبا وقبائل فذلك للتعاون
لا ليطغى بعضهم على بعض ولا يستعبد بعضهم بعضا ، وهذا
يقتضى المساواة التامة في الحقوق والواجبات بين الناس قال
تعالى : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) (2)

(4) سورة آل عمران (5) - الاحزاب

(1) سورة الحج

(2) - البقرة

وفي فتح مكة المكرمة نادى النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
(يا معشر قريش ان الله قد اذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها
بالأباء) وقال أبو ذر الغفاري رضى الله عنه لرجل يا ابن السوداء
فقال له النبي الكريم : (طف الصاع طف الصاع ليس لابن
البيضاء على ابن السوداء فضل الا بالعمل الصالح ...).

والشعائر الاسلامية كلها تعمق هذه المعانى في نفوس
المسلمين جميعا فصلاة الجماعة والصيام والحج كلها تعمل عملها
في تعميق المساواة بين أفراد المجتمع الاسلامي ، وبلغت المساواة
ذروتها عندما يقول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه :
(سلمان منا أهل البيت) ويقول عمر بن الخطاب رضى الله عنه :
(أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا) ويقصد بذلك بلال رضى الله عنه .
كما يقول أيضا عندما حضرته الوفاة : (لو كان سالم مولى أبي
حذيفة حيا لأستخلفه) .

العدل في الاسلام واجب على الجماعة والفرد ، ويقول الله
سبحانه وتعالى : (ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات الى أهلها وإذا
حكمتكم بين الناس أن تحكموا بالعدل) (3).

ويخاطب الله سبحانه وتعالى المؤمنين جميعا بقوله : (يا أيها
الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يحرمنكم شأن
قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله ان الله
خبير بما تعملون) (1).

العدالة الاسلامية لا تعرف العواطف حتى ولو كان الخصم
قريبا أو صاحباً أو والداً أو غنياً أو فقيراً ، فالقاضي والشاهد
لا شأن لهما بذلك ، والله أولى بالجميع : (يا أيها الذين آمنوا
كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين
والأقربين ان يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى
أن تعدلوا ، وان تولوا أو تعرضوا فاعن الله كان بما تعملون
خبيراً) (2) .

(3) - النساء

(1) سورة المائدة

(2) - النساء

العدالة من أسس المجتمع الاسلامى ، ولقد طبقت تطبيقاً رائعاً في الصدر الأول من الاسلام ، فالنبي صلى الله عليه وسلم رهن درعه عند يهودى وحين طالبه اليهودى طلبه في غلظة قائلاً : انكم يا بنى عبد المطلب قوم مظل فهم عمر بأن يؤدبه على هذا التجرع على الرسول فقال له النبي عليه السلام في هدوء : (يا عمر أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك تأمرنى بحسن الأداء وتأمره بحسن الاقتضاء) ويسير المؤمنون على هذا النهج رافعين راية العدل المطلقة .

الاسلام نظام عالمى ، وهذا النظام ليس مستعماراً ولا خليطاً ، بل هو نظام ربانى قائم بداته مستقل بروحه أنفد أمماً عظيمة في الماضى كانت تترجح تحت قوانين جائرة ونظم فاسدة ، وسيتمنذ ان شاء الله أمماً عظيمة في المستقبل لأن قوانينه لا زالت مطمح أنظار العالم في حل المشكلات العويصة ، لأنه القانون الوحيد الذى يساير طبيعة البشر وميولاتهم الفطرية .

الاسلام جاء بينى مجتمعا لا يعرف الطبقات ، ولا الطوائف والأحزاب الا حزب الله لأنه قد أتى بقوانين عادلة لتطهير المجتمع من الأمراض الفاسدة وهذه القوانين تناولت حياة المجتمع كلها .

التعليم في الاسلام هو الأساس الأول لبناء المجتمع ، وتكوين الفرد ، وهو النور الذى يسير الانسان على هديه في شؤون دنياه وآخرته ، ولذا أمر الاسلام به في أول آية نزلت من السماء ، (اقرأ باسم ربك الذى خلق خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) (١) ، هذه الدعوة ليست مقصورة على الرسول صلى الله عليه وسلم بل تتفداه الى الانسانية جمعاء ...

ولقد أهاب الاسلام بالانسان أن يسعى في مناكب الأرض طلباً للعلم والمعرفة بقوله عز وجل : (أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ، أو آذان يسمعون بها ، فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى في الصدور) (٢) .

(١) سورة العلق

(٢) - الحج

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم (العالم والمتعلم شريكان في الأجر ، ولا خير في سائر الناس بعد) وقد أمر صلى الله عليه وسلم كل أسير كاتب في غزوة بدر الكبرى من المشركين أن يعلم عشرة من أصحابه الكتابة والقراءة ، وجعل ذلك سبيل تحرره ، وأخبر بأن العلم أفضل أنواع العبادات فقال (قليل العلم خير من كثير العبادة) وقال : (فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم) وهكذا شمل ميدان العلم والمعرفة في الاسلام كل شؤون الحياة كلها .

الحكم في الاسلام: الأمة الاسلامية تستمد نظمها وتشريعاتها من أربعة مصادر : اثنان أصليان وهما الكتاب والسنة واثنان فرعيان وهما الاجماع والقياس فعلى هذه المصادر قام المجتمع الاسلامي .

ان قواعد الحكم كلها منصوص عليها في القرآن والحديث وإذا لم يكن ثم نص يأتي الاجماع والقياس ويصبحان حجة ، الشريعة الاسلامية هي جملة الأوامر الالهية وأنها معصومة من الأخطاء ترسم للمسلم أحكام سلوكه في حياته كلها دينيا وسياسيا واجتماعيا .

فرض الاسلام أن يقوم الحكم على أساس الشورى وأن يقوم التشريع على أساس الكتاب والسنة واتفاق الامام والرعية ، ولا خير بعد ذلك أن يتبعوا هذا النظام أو ذلك من نظم الانتخابية أو يعملوا بهذا الدستور أو ذاك من دساتير الحياة النيابية فكل نظام صالح ما دام قائما على الشورى مؤيدا بسند من مشيئة الامام وأولى الرأي وحقوق الجماعة .

ان قوانين الاسلام تقوم على القرآن والسنة وعلى القياس وفتوى أهل الذكر ومشيئة الاجماع ، وأن القرآن الكريم يقول للمسلمين : (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) يسلك كل مسلم طريقه على حسب المنهاج المبين فهو أمين على ضميره فيما يختاره من أحكام الدين التي شرعها الكتاب اجمالا ، ولم يذكر تمثيل الأمثلة عليها ، ولكن اذا رجعنا الى السنة نجد أن أول ما ينهى الاسلام عنه هو أن يقوم الحكم على أساس العصبية ومن أحاديث

النبي صلى الله عليه وسلم : (ليس منا من دعا الى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية والقرآن يقول : (وأمرهم شورى) والرسول يقول : (ان الله لا يجمع أمتى على ضلالة) ويقول : (من أطاعنى فقد أطاع الله ومن عصانى فقد عصى الله ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ، ومن يعص الأمير فقد عصانى) ويقول : (اتبعوا السواد الأعظم) فهذه جملة قواعد الحكم في الاسلام ، السلطان لا يقوم على عصبية بل على الشورى ، يغلب فيها اجماع السواد الأعظم وتجب فيها الطاعة لمن يتولى الأمر كما تجب لله ورسوله .

ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن معنى العزم في قوله عز وجل (وشاورهم في الأمر فاذا عزمتم فتوكل على الله) قال : (مشاورة أهل الرأى ثم اتباعهم) وأنه صلى الله عليه وسلم قال مرة لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما لو اجتمعتما في مشورة ما خالفتكما ، ووضح عمل الوزير مع الأمير فقال : (إذا أراد الله بالأمير خيراً جعل له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر أعانه واذا أراد به غير ذلك جعل له وزير سوء اذا نسى لم يذكره واذا ذكر لم يعنه) .

أما الواجب بين الأمير والرعية فقد قال عليه الصلاة والسلام : (من خلع يدا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية) وقوله : (لا طاعة في معصية وانما الطاعة في المعروف) وقوله : (من رأى من أميره شيئاً فكرهه فليصر ، فانه ليس أحد يفارق الجماعة فيموت الا مات ميتة جاهلية) .

وزبدة الأوامر والنواهي جميعا في هذا الواجب بين الراعى والرعية انه الأمر والطاعة في المعروف والحذر عند الخلاف من تفريق الجماعة ، وعصمة الجميع أن يسمع الراعى والرعية الى النصيحة من القادرين عليها (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون)^(١)

أو كما قال عليه الصلاة والسلام : (والذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذاباً من عنده ثم لتدعونه ولا يستجيب لكم) وعلى الأمة أن تغير ما تكره من شأنها فانه (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصى ثم يقدرن على أن يغيروا ، ثم لا يغيرون الا يوشك أن يعمهم الله بعذاب) وعلى الأمير ألا يبتغى الريبة في الرعية لأن الأمير اذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم ، والخير كل الخير في الجماعة المفلحة تتساند وتتعاون ، انما المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى عينه اشتكى كله وان اشتكى رأسه اشتكى كله ، ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو الواحد تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .



الاقتصاد في الاسلام

يؤاخذ علماء الاقتصاد الغربيون الدين الاسلامى على عدم تنظيمه يقولون : انه لم يأت بنظام مفصل للناس .

وأحوال المعيشة الاقتصادية ، والنظم السياسية تتقلب من زمن الى زمن وتختلف بين أمة وأخرى ، فيصلح لهذا الزمن ما لم يكن صالحا قبل خمسين أو ستين سنة وما ليس بصالح بعد خمسين أو ستين سنة أخرى فكيف يتقيد الناس فيها على اختلاف الأزمنة . والدين فريضة من الفرائض يدين بها الناس مآت السنين ، وتثبت مع الدين ثبوت العقيدة التى لا تتزعزع مع الأيام ولا تساوى شيئا في موازين الأديان ان لم يكن لها هذا الثبوت وهذا الدوام . انما يناسب أن يبين الدين للناس قواعده التى يستقر عليها كل نظام صالح يأتى به الزمن ولا عليه بعد ذلك أن تختلف هذه النظم بين أمة وأخرى في العصر الواحد ، أو تختلف في الأمة الواحدة بين عصرين ومن الأمثلة التى يحسن أن نذكرها كلها نذكر الدين ونذكر النظم الاقتصادية . ان الحياة الاقتصادية التى قامت في الغرب زمنا قامت على رؤوس الأموال وفوائدها التى يدور عليها عمل المصاريف والشركات متطورة ومتناقضة ورؤوس الأموال قائمة على الربا المحرم عند الاسلام .

فهل على الاسلام أن يبدل عقائده بين المذاهب الاقتصادية المتطورة خلال جيلين متعاقبين أو أكثر كلا ، وليس عليه أن يبدل هذه العقائد اذا تبدلت المذاهب وجاء بعدها مذهب آخر غير الذى يقدر رؤوس الأموال وغير الذى يحرمها وانما أقام الاسلام قواعد الاقتصاد التى يقام عليها نظام صالح ولا يتصور أنها تناقض نظاما منها كان بالامس أو يكون بعد زمن طويل أو قصير ...

قرر الاسلام أن يمنع الاحتكار وكنز الأموال وقرر أن يمنع الاستغلال بغير عمل ، وقرر أن يتداول الجميع الثروة ولا تكون

دولة بين الأغنياء ، وقرر أن تكون للضعفاء والمحرومين حصة سنوية ، وقد يزداد عليها بأمر الامام واحسان المحسنين واذا تقرر هذا في مجتمع انساني فلا حرج عليه أن يتخذ له نظاما من نظم المعيشة الاقتصادية كيفما كان ، ولا خوف على مجتمع قط يمتنع فيه الاحتكار والاستغلال وأهمال العاجزين عن الكسب والعمل ومن شاء فليتهم . هذا النظام بما شاء من الأسماء الملكية كان نظام الطبقات هو السائد في الجاهلية ، فجام الاسلام فعالج هذا النظام معالجة حكيمة لاحظ فيها مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة معا وكان بين ذلك قواما ، فأباح للفرد أن يملك وأن يتصرف في ماله من بيع وشراء وهبة كيف شاء ، وأن يتمتع بماله لكن في دائرة الحدود المعقولة وينهاه عن التزمت والحرمان من الطيبات قال تعالى : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة) (١) .

فحفظ له هذا الحق وصاته ، غير أنه لا يطلق له حرية التصرف مطلقة بلا قيد ، فيقيد له بعض تصرفاته كالتبذير والاسراف ، واجباره على دفع الحقوق والواجبات كالزكاة وحته على الانفاق لأن مال الفرد في الاسلام هو مال الجماعة قال تعالى : (ولا توتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قيما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا) (٢) .

والجماعة هي تخلفه في هذا المال وهذا ما أشار اليه القرآن الكريم بقوله عز وجل : (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) (٣) . ويقول الرسول صلوات الله عليه وسلامه (أيما عرضة أصبح فيهم أمرؤ جائعا فقد برئت منهم ذمة الله ومن كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له ، ومن كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث وأن أربع فخامس أو سادس) ويقول عمر رضى الله عنه (لو استقبلت

(١) سورة الاعراف

(٢) - النساء (٣) - الحديد

من أمرى ما أستدبرت لأخذت فضول أموال الأغنياء ولرودتها على
الفقراء) .

ليس هذا تقريراً لمبدأ الشيوعية ، الملكية في الاسلام حق
مقدس جارى به العمل ، فالمسلم له أن ينمى ماله ويتركه من بعده
لورثته الا أنه لا يفسد ولا يتعامل مع الناس بالربا ، ولا يمنع المال
من مستحقه ولا يظلم العمال في أجورهم ، ولا يحتكر البضائع
يتربص بها الغلاء والناس في أشد الحاجة اليها ...



الدفاع

الاسلام لا يأمر بالحرب وانما يلتزم الدفاع عن العقيدة وحماية الدعوة ولذا يقول الله عز وجل : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير)^(١) ، لا يقدم المسلمون على الحرب حتى يستعملوا جميع الوسائل من مفاهمة وصلاح ، فاذا لم يستطيعوا الوصول الى ذلك فعندئذ يخوضونها لأنهم مضطرون اليها .

الاسلام يأمر المسلمين بالاستعداد وايجاد القوة اللازمة لصد كل عدوان ، يقول الله سبحانه وتعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم)^(٢) .

اذا اشتبك المسلمون في الحرب مع أعدائهم ، وكانت قوة الدولة غير كافية فلها أن تجند جميع القادرين على حمل السلاح ، وتأخذ من الأموال ما تحتاج اليه واذا دخل العدو الى أرض المسلمين فيجب على الأمة الاسلامية أن تهب - سواء كانت في الشرق أو في الغرب - لتحمل السلاح للدفاع عن حوزة المسلمين بما فيها شبابها وشيوخها ضعفاؤها وأصحاؤها رجالا ونساء وهذا معنى قوله تعالى : (انفرو خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم)^(٣) .

يفرض الاسلام على المسلمين - في هذه الحالة - أن يقفوا صفا واحدا في وجه العدو ، وكل من يفر من هذه الحرب يعد عاصيا قال تعالى : (ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال أو متحيزا الى فئة فقد بام بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير)^(٤) .

(١) سورة الحج (٢) - الانفال

(٣) - برائة (٤) سورة الانفال

ومما شرع الاسلام في الحرب الحث على الوفاء بالمهد ، والميل الى الصلح وأن لا يقتلوا وليدا ولا شيخا هرما ولا امرأة اللهم الا اذا قاتلت فتقتل والعبث بكرامة الانسان ممنوع كالتمثيل بالجثث وغيره .

العقيدة الاسلامية مؤسسة على دعائم الحق والخير والرحمة ، والصبر والحرية فهي باقية مع الزمن تقدم للأجيال الصاعدة رصيда من اشراق القلوب ونفحات من اتصال الأرواح ، (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرء هو عليهم عمنى) (١) فاذا وثق المسلم بالخير والفضيلة وثابر على العمل والمجاهد زاد من رصيده العلمى والأخوى ، فتتألف القلوب من حوله فيحظى بسعادة الاستقرار . (والذين جاهدوا فينا لنهديم سبلنا وان الله مع المحسنين) (٢) ...

ومتى يثق الانسان بهذا الدين وتطمئن نفسه اليه يصبح سيذا كاملا موفور الكرامة قويا بايمانه وعمله ، فيتضائل عنده الناس ، ولا يسعهم الا أن يجلوه ويحترموه لأن المسلم لا بد أن يكون اماما في أعمال الخير ولا يرضى بغير القيادة والسبق الى العلم والتضحية والفداء في سبيل الله .

عوائدنا وأخلاقنا هى موضع اجلا لنا واحتراماتنا مادامت متفقة مع مثل الاسلام العليا ، وهذه المثل هى التى نريدها كعقيدة للمسلمين لأنها دين الحق الذى دعا اليه جميع الرسل والانبياء عليهم السلام .

(١) سورة فصلت
(٢) - النكبات

اسباب تدهور المجتمع الاسلامى الاول

جاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بدين الاسلام الذى هو من عند الله ، ولم يجيء بنظريات علمية معقدة ، أو آراء فلسفية شائكة تبعث في النفوس شبهة وحيرة وفي العقول شكوكا وريباً ، وانما جاء بدين سماوى معالمة واضحة كوضوح الشمس في رابعة النهار ، ومبادئه في غاية السهولة والبساطة ، جاء بدستور ربانى ينظم علاقة الانسان بربه وبان الواجب على المخلوق نحو خالقه ، ثم يربط علاقة الانسان بالمجتمع الذى يعيش فيه .

ومن أجل هذا بعث الله رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الى الناس كافة موجهها اهتمامه لاصلاحهم اصلاً جديراً على مقتضى الدين الحنيف ومحذراً لهم من العوائد السيئة والمعتقدات الفاسدة التى كانت مسيطرة عليهم حينذاك ، وأمرهم بالتمسك بهذا الدين ، وترك الجدل والخوض في الآيات المتشابهة ، ويفوضون علمها الى الله لأن عقول الناس قصيرة ، ولا علم لهم بالغيب ، فربما يؤولون آية على غير مقتضى ما أراد الله فيهلكون ، لهذا كان يحث صلى الله عليه وآله وسلم على الأخذ بالآيات المحكمات من الكتاب ، وبين لهم أن الجدل في الدين تنشأ عنه المذاهب المتطرفة التى لا طائل تحتها ، والدين من عند الله لا اختلاف فيه وما هلك الأمم السابقة الا بهذا الجدل العقيم فانهم اشتغلوا بالآراء والنظريات القصيرة البعيدة عن المقصود ، وتركوا ما ترشدهم اليه الكتب السماوية فتفرقوا أوزاعاً ومذاهباً واختلفوا طوائف وأما وتقطعوا أحزاباً وشيعاً كل حزب بما لديهم فرحون .

فضلوا طريق الهدى التى رسمها لهم الأنبياء عليهم السلام فضعفوا وذهبت ريحهم وتشتتوا وعجزوا عن أداء رسالتهم السماوية ، وأصبحوا هم والأمم المشتركة على سواء ولما دخل الناس في هذا الدين واطمأنت نفوسهم اليه تهذبت أخلاقهم واستقام سلوكهم ، وذهبت السلبات التى كانت سائدة على

المجتمع الجاهلي وكونوا مجتمعا راقيا تظله راية التوحيد ، ورائده الكتاب والسنة ، تسوده العدالة والمحبة والأخاء ، والمساواة ، فتحلى بالعلم والعرفان ، وكان هدفه التقوى ونشر الدعوى الإسلامية بين الأمم والجهاد في سبيلها ، لهذا سبقوا غيرهم في التقدم الحضارة وملكوا أعظم دولتى العالم لذلك الوقت ، وبقي على ذلك هذا المجتمع زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وزمن خلفائه الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين .

ولكن ماكاد يلتحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حتى بدأ الخلاف بين المسلمين أول ما بدأ في أمور اجتهادية كالاخلاف الذى وقع في سقيفة بنى ساعدة في تولية من يخلف الرسول في الحكم بعد وفاته ، لأنه لم يوص الى أحد الى غير ذلك من الخلافات التى وقعت بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على المسائل التى طرأت على المجتمع الإسلامى من بعد وفاة الرسول الأعظم لكنها لم تكن خطيرة ينجم عنها التفرق أو وقوع الفتنة .

كان اختلاف في السياسة ، واختلاف على الشخص المتولى ، واختلاف في بعض المسائل الاجتهادية لكن هذا الاختلاف لم يتجاوز الرأى المحمود الى الرأى المذموم الذى لا يتفق وقواعد الشرع .

ظل الأمر على ذلك الى أن قامت الأحزاب السياسية ، وظهرت الأغراض الشخصية والطموح الى السيادة هنا بدأ المسلمون يتفرقون أحزابا متعادية بعد ما كان يجمعهم حزب واحد الا وهو حزب الله الا أن حزب الله هم المفلحون .

ومن هناك بدأ الخلاف يخرج عن دائرة الرأى المحمود الى دائرة الرأى المذموم ، واستفحل في هذه الأونة ، وتغصب كل فريق الى حزبه ، والدعاية له والدفاع عنه ولا يستطيع أى حزب أن يسلم للأخر فتصدعت الوحدة الإسلامية الى أحزاب مختلفة وفرق متناحرة التى بناها الرسول صلى الله عليه وسلم وشاهاها الخلفاء الراشدون من بعده .

لم يظهر هذا التفرق بكل ما فيه من خطر على المسلمين الا في عصر الدولة العباسية ، أما قبل ذلك فقد كان المسلمون يدا

واحدة ، وعقيدة واحدة اذا استثنينا ما كان من المنافقين الذين ينتسبون الى الاسلام وهم يضمرون الكفر ولأهله العداوة .

أما ما وقع بين سيدنا على كرم الله وجهه وبين معاوية رضى الله عنه من خلاف لم يكن له مثل هذا الخطر الذى وقع المسلمون فيه من القرون المتأخرة من حياة المسلمين وان كان النواة التى قام عليها التحزب ، ونبت عنها التفرق والاختلاف .

بعد ما انتهى عصر الخلفاء الراشدين استقرت السلطة العامة في أيدي بنى أمية وأصبح التنافس عليها بين حزبين كبيرين وهما بنو هاشم وبنو أمية ولكل منهما أتباع ومن بعد آلت الى بنى هاشم ولكن كان الدين مسيطرا على الجميع الا في الحكم فانه انحصر في هذين الحزبين ولم يعد المسلمون هم الذين يعينون خليفتهم وانما أصبح القوى من الحزبين هو الذى يتولى على السلطة ومن ثم يبايعه المسلمون بيعة عامة ، لم يكن الحكم شورى كما نص عليه القرآن وكما كان في زمن الخلفاء الراشدين ، تفرق المسلمون الى أحزاب متعادية بعد ما كان يجمعهم حزب واحد ألا وهو حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون ، وذلك بسبب العناصر التى انشقت عن الخلافة العباسية في بغداد واستلاء العنصر التركى على وظائف جيش الخلافة والذى فعل ذلك هو ، الخليفة المعتصم وهو ثامن خلفاء العباسيين ، لأنه واجه حروبا كثيرة في الداخل والخارج ، فاتخذ جيشا من الترك خوفا من الجيش العربى ونفوذ العنصر الفارسى ، فعين قادة الجيش منهم ليضمن لنفسه التفوق والنصر ، ونسى المعتصم أنه بعمله هذا وضع السلاح في يد مجرم مافون عاث في الأرض فسادا بعد ما تمكن هؤلاء الأتراك من الجيش بدأوا يتصرفون في الخلفاء أنفسهم بتولية هذا ونزع هذا حسب مصلحتهم وأهوائهم ، ومن بعد أصبحوا يتكلمون بهم تنكيلا شنيعا ، يقول الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله : (فلم يكن بين عشية أو ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء ، واستبدوا بالسلطان دونهم وصارت الدولة في قبضتهم ، ولم يكن لهم ذلك العقل الذى راضه الاسلام والقلب الذى هدبه الدين بل جاء الى الاسلام بخشونة الجهل ، يحملون أوية الظلم لبسوا الاسلام على أبدانهم ولم ينفذ منه شىء الى

وجدانهم ، وكثير منهم كان يعمل الهه معه — يعبده في خلوته ويصلى مع الجماعة لتمكين سلطانه) وقد كان لهذه الحالة التي سيطرت على الخلافة في بغداد أثر خطير في العالم الاسلامى كله فان كثيرا من ولاه الأقاليم أدركو أن الخلافة فقدت سلطانها ، ولم تكن لها الهيبة التي كانت من قبل .

أصبح الأمراء في قبضة قادة الجيش فانف ولاه الأقاليم من هذه الحالة التي صارت اليها الخلافة ، فكثرت حركة الاستقلال في أجزاء كثيرة من العالم الاسلامى ، وأعلنوا استقلالهم اللهم الا ما كان من صلة تربطهم بالخليفة لأنه أصبح رمزا ليس له من النفوذ شيء .

وبهذا الاستقلال والخروج عن الخلافة الشرعية تصدعت الوحدة الاسلامية ، وتشتت المسلمون شرقا وغربا .

انثلمت وحدة الخلافة وانقسمت على نفسها : خلافة عباسية في بغداد وكانت هذه الخلافة في آخر عهدها تقنع بالاسم فقط ، وليس لها من النفوذ شيء ، وخلافة فاطمية في المغرب العربى ومصر ، وخلافة أموية في أطراف الأندلس ، تفرقت بهذه الخلافات كلمة المسلمين ، وانحطت رتبة الخلافة الى وظيفة ملكية فسقطت هيبتها من النفوس ، فتفرق العالم الاسلامى الى دويلات ، فتغلب بنوبويه على فارس ، ومحمد بن الياش على كرمان ، ونصر بن أحمد السلطانى على خراسان ، والبريديون على واصل والبصرة والديلم ، وأبو طاهر القرمطى على اليمامة والبحرين ، ومحمد بن ظفج الاخشيدي على مصر والشام ، كما كان المغرب العربى في أيدي الفاطميين ، والأندلس في أيدي عبد الرحمان الناصر ، ولم يكن هذا التقسيم ليضير المسلمين فقد بقيت هناك وحدة اسلامية لا تعترف بالحدود السياسية ، وقد كان المسلم من أى قطر كان يستطيع أن ينتقل من مكان الى مكان آخر دون أن يجد أية صعوبة أو عنت .

أصبح طلاب الملك والرياسة يعتمدون في الوصول الى الحكم على قوتهم وحدها معولين في ذلك على عصبيتهم الخاصة وبطانتهم وحاشيتهم ، لا على المحبة والمشاورة من جماعة المسلمين ، سن هؤلاء

الملوك والأمراء دساتير للحكم مغالطين بذلك أوامر الاسلام تبيخ لهم ولأسرتهم وحاشيتهم الحكم المطلق الأبدى ، وتجعل البلاد والعباد ملكا للجالس على العرش يتصرف فيها كيف يشاء ، ولا يسأل عما يفعل ، ولا يحب الانتقاد في شخصيته ولا في كلامه ولا في سلوكه ، ولا يستطيع أحد من رعيته أن يحاسبه على أموال الرعية التي تتدفق عليه وعلى من يلود به من الأمراء وحاشيتهم ضارين بذلك أوامر الاسلام عرض الحائط تطورت الأحزاب السياسية التي نشأت في صدر الاسلام الى فرق دينية متمصبة لآرائها متطرفة متنازعة مع بعضها بعضا من شيعة ، وخوارج ، ومعتزلة وباطنية ، ومرجئة ، وقرامطة وغيرهم .

غرق العالم الاسلامى — حينذاك — في طوفان جامع غصوب من الجدل والحصام والثورات الدامية ، ومحاربة بعضهم لبعض ، فقضت هذه الفتن الداخلية على وحدته وأذهبت بقوته فكانت السبب الأكبر في انهيار أممه ، وسقوط دوله وجمود مجتمعه وتخلفها عن الحياة الحرة الكريمة ، وعزلها عن التقدم في العلوم والصناعات .

الحقيقة أن العالم الاسلامى لم يستقر منذ سقوط الخلافة العباسية ، من ذلك الوقت ، وهو في أخذ ورد ، فدولة تسقط ، وأخرى تطلع ، وشعب ينفجر وآخر يجمد ويستكين ، ودولة تسعى لجمع شتات المسلمين فتجد المقاومة الشديدة منهم ويرفون راية العصيان في وجهها ، ودولة تبرز لمحاربة دولة أخرى تستولى عليها بالقوة وتنكل برؤسائها وأمرائها ، وأخرى تعقد حلقا مع دولة أجنبية على محاربة المسلمين ، وكل هذه الدول تزعم الاسلام .

الحياة الاقتصادية — في هذا العصر — كانت تعبيرا عن الفساد المنتشر فكانت هناك ثلاثة أنظمة مستعملة ، أولا : نظام الالتزام أو الضمان ، ثانيا مصادرة الأموال ، ثالثا اقطاع الأراضي للتجار الاثرياء .

أما نظام الالتزام أو الضمان : هو أن يدفع شخص ما خراج ناحية الى الخليفة وهو يأخذه من سكان هذه الناحية ، أو الاقليم ، أكثر مما أعطى ، أما مصادرة الأموال فقد أصبحت من الأمور المألوفة فشملت كافة رجال الدولة ، فكل مسؤول يصادر

من هو دونه ، ووصف المقديسى ضرائب فارس فقال : (لا تسال عن ثقل الضرائب وكثرتها ، وأهل فارس هم أنجع الناس بطاعة السلطان ، وأصبرهم على الظلم وأنقلهم خراجا وأذلهم نفوسا ، وهم لم يعرفوا عدلا قط) .

ووصف أيضا خراب بغداد فقال : (فأما المدينة فخراب ، وهى في كل يوم الى الوراء مع كثرة الفساد والفسق ، وجور السلطان ، ويلخص حال العراق وفارس تحت حكم البوهبيين بهذا القول البالغ الدلالة) فقال : (الرعية هالكون والدور خراب والاقوات معدومة والجند متهاوجون) .

أما اقطاع الاراضى للتجار الأثرياء فالدافع اليها حاجة الدولة الى المال وفد أقطعت للتجار أراضيتها لقاء دفع قسط من غلتها اليها .

لقد كان هذا النظام الاقطاعى مع أن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد سن قاعدة تقول : (سواد العراق ملك مشترك بين المسلمين) ، لم يكن الخلل في النظام الاجتماعى يقل عن الخلل الذى رأيناه في الحياة السياسية والاقتصادية ، ولم يكن للمسلمين وحدة اجتماعية متماسكة في هذا العصر ، أو على الأقل شىء من التجانس ، بل كانوا منقسمين الى أحزاب وفرق وشيع يكره بعضهم بعضا ، فقواد الجيش يقفون في القمة مطلقى التضرف في العباد والبلاد ، وبلاط الملوك يعج بالنساء التى أوجدن كثيرا من الاضطرابات في توجيه السياسة ويأتى بعد هذا طبقة الاقطاعيين الذين عنوا بالزراعة واسترقوا المزارعين الصغار ، ثم تأتى طبقة التجار الأغنياء ، وأخيرا طبقة العامة التى يستثمرها كل الطبقات السابقة ، وهكذا كانت البلاد في حالة استبداد سياسى ، وخراب اقتصادى ، وتفكك اجتماعى .

لقد دخل المسلمون العظماء وهم في أوج حضارتهم في عصر جاهلى تموج بهم الشهوات القاهرة، وتعصف بهم الأنانية الجامحة، امتلأت قلوبهم بالمقد والكراهية لبعضهم بعضا .

هذه العوامل وغيرها كانت سببا في انحرافهم عن الدين ، والبعد عن تعاليمه السمحاء ، فزادتهم تخاذلا وضعفا ، فمن ذلك

الوقت الى الآن لم يستطيعوا أن يتعاملوا بالاسلام فيما بينهم ، وأن يحققوا الاتحاد والأخوة والمحبة المتشودة ليكونوا لهم كيانا ، حتى يقوموا بشؤونهم وجمع شملهم وشتاتهم لينقذوا أنفسهم مما تردوا فيه من الفوضى ، والاضطرابات الخطيرة .

فبسبب خروجهم عن تعاليم الدين الحنيف بدأوا يفقدون الحياة الاجتماعية فأصبحوا فارغين من جميع النظم الراقية ، ولم يبق لهم من مقومات الحياة الا تقليد المجتمعات الجاهلية التي لا تؤمن بدين فصاروا يعملون بمقتضاها ، ولم يدروا أنهم بذلك تنكروا للبقية الباقية من الاسلام .

بهذا الاعراض عن تعاليم القرآن أخذت عوامل الفساد والتحلل من أوامر الدين تعظم وتستشري حتى كادت تقضى على العقيدة الاسلامية من النفوس ، وكان الفساد ينتشر بسرعة في هذه المجتمعات المائعة الماجنة ، حتى قضى على الخلافة الشرعية التتار المتبربرون وتركوا وراءها أما مبعثرة من دويلات صغيرة تتوق الى الوحدة وتتوئب الى النهوض .

سبب هذا التدهور هي الخلافات السياسية والدينية وتنازع الرئاسة والانصراف عن العقيدة الى ألفاظ ميتة لا روح فيها والانغماس في أنواع الترف والتعيم ، والاقبال على لذائذ الشهوات وإهمال العلوم العلمية ، والمعارف الكونية وإضاعة الوقت فيما لا ينفع ولا يفيد ، وتضييع الجهود في اللهو والعبث والحياة الماجنة ، والغرور بسلطانهم ، والانخداع بقوتهم ، وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم حتى أخذت في الاستعداد والأهبة فباغتتهم على غرة ، وقد أمرهم القرآن الكريم باليقظة ، وحذرهم من مغبة الغفلة والفرقة .

كان القرن الرابع الهجرى مثلاً واضحاً على التغيرات الظاهرية والخفية التي عبثت بمقومات الأمة الاسلامية في هذا القرن .

هذا القرن كان هو العصر الذهبي الذي نضجت فيه الثقافة الاسلامية ، وكان في الوقت نفسه قرن زوال مجد الخلافة ، وانقسام الدولة الكبرى المترامية الاطراف الى دويلات متعددة .

توالت على المسلمين ظلم الحكام وبطشهم الشديد بالعلماء الأحرار ، ومحاربتهم للعلم ، وعدم تقيدهم بالكتاب والسنة ، فضعف أمر الدين ، وانطفأت مصابيح الهداية ، وبالتالي فصل الدين عن السياسة وعدم صلاته بها ، وكان هذا الخطأ في الفهم والسلوك في التطبيق كارثة المسلمين التاريخية .

كان الخليفة في صدر الاسلام رئيس الدولة ، والمهيمن على شؤونها الادارية والسياسية والاقتصادية لكن في دائرة الدين الحنيف ، وتطبيق المشورى ولما ضعف أمر المسلمين نشأت فكرة الخضوع للحاكم وان كان مخافا للعدالة القانونية الاسلامية .

ترك الملوك والرؤساء التشريع الاسلامى الذى هو روح الامة وقلبها النابض ومكون شخصيتها ومجدد أخلاقها ومجدها ومنظم شؤونها ، والموجه لها .

ولم يدر هؤلاء الحكام أن تحطيم التشريع الاسلامى هو تحطيم كامل لحياة الأمة ولجميع معنوياتها ، وانهيار شامل لأخلاقيها وتاريخها ومجدها كأمة بارزة لها كتاب سماوى ، ودين هو خاتم الأديان ، وعقيدة صحيحة سليمة من البدع والخرافات الوثنية .

المؤمنون الذين يقولون آمنا بالله وبرسوله ويكتفون بهذا الايمان . فاذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم تولوا وهم معرضون ، فما أولئك بالمؤمنين ، بل في قلوبهم مرض لأنهم ارتابوا أو خافوا من أن يظلمهم الله ورسوله ، انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ، هذا الاعراض الشنيع الذى صدر من المسلمين عن كتاب الله وشرائعه ، واستبدال الأدنى بالذى هو خير ، أنه لمن اتباع الهواء المضلل ، واذا كان الدين لا يصلح للحياة ولا يؤدى لها نفعا ولا يقدم للمجتمع فائدة أبقى بعد ذلك دنيا مقدسا كلا ؟ . . .

أما الطائفة التى اتبعت النبى صلى الله عليه وسلم في تبليغ رسالته ونشر هديه فهى قائمة بالحق لا يضرها من خالفها وانها

باقية الى يوم الدين ، هذه الطائفة هم العلماء العاملون ، هم المسلمون الحقيقيون الذين تمسكوا بما ورثوه عن نبيهم صلى الله عليه وسلم هي الصفوة المختارة من الأمة حافظت على الاسلام ونشرته بين الشعوب ، وحاولت الاصلاح بين الحكام المتكالبين على حطام الدنيا ، والمتعطشين الى سفك الدماء في سبيل الوصول الى أغراضهم الشخصية ، وحاولت التوفيق بين الجموع الهائجة والطوائف المارقة ، والأحزاب المتنافرة ليوحدوا صفوفهم ويجمعوا كلمتهم ويلتفوا حول الاسلام ليقفوا صفا واحدا في وجه أعداء الله الذين يريدون أن يطفئوا نور الله ولكن بدون جدوى .

هؤلاء العلماء الربانيون اشتغلوا بخدمة كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبعضهم قام بالتعليم والتدريس ، وبعضهم تصدى للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدعوة الى الاسلام في كل مكان ، وبعضهم خاض غمار الحروب ليذب عن الشريعة الغراء والجهاد في سبيل اعلاء كلمة الله لتكون العليا وكلمة الذين كفروا هي السفلى ، وكانوا يحاربون الظلم مهما كان ، ومن أيى انسان صدر ، فيجهرون بالحق ، ويصرخون به في وجه الحكام المتفطرسين ، ولا تأخذهم لومة لائم في الله ، فلقوا من طرف الولاة ، ومن طرف العامة الدهماء أذى كثيرا وبلاء عظيما الا أنهم صبروا على ذلك احتسابا لربهم واقتداء بنبيهم محمد صلى الله عليه وسلم .

وأخرون تصدوا للتشريع . فكانوا يستخرجون الأحكام من الكتاب والسنة وسيرة الخلفاء الراشدين ، والصحابة الكرام ، فتركوا تراثا ضخما ورصيда عظيما من العلوم النافعة يستفيد منها المسلمون وغيرهم .

ولو عمل الملوك والأمراء من ناحيتهم ما عمله العلماء العاملون لما توقف زحف الاسلام (لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن) .

والذى يتتبع حوادث العالم ، ويتدبر كيفية انقلاب الأمم ،

وخاض في تاريخ الأجيال الماضية والحاضرة يحكم حكما عدلا لا يخالطه شك ولا ريب بأنه ما حاق مكر السوء بأمة وما نزل بها البلاء والعذاب ، وما مسها الضر في شيء الا كانت هي الظالمة لنفسها بسبب تجاوزها لحدود الله ، وانتهاك حرمانه ونبد تعاليمه القيمة وأوامره العادلة ، وانحرافها عن سنته وشرائعه .

وصلت الأمة الاسلامية الى هذه الحالة المزريّة بالشرف والكرامة لأنها تنكرت لنعمة الاسلام الذي جمعها على التوحيد ، وبه امتازت وسادت على الممالك والشعوب شرقا وغربا ، ولما بدلت وغيرت غير الله ما بها . (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) (١) ، ويقول أيضا : (ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) (٢) .

حظ الشعوب على مقدارها من الوحدة وما انحط شأن قوم وما هبطوا عن مكانتهم الا من بعد رزئهم بالافتراق وابتلائهم بالشقاق والنفاق فيورثهم ذلك ذلا طويلا وعذايا وبيلا .

ان جشع السلطة الزمنية لهو أسوأ شكل للطموح ، فهو السبب الذي لاقت منه الانسانية في كل زمان ومكان من بلايا ومحن أكثر من أي شكل آخر ، فصاحب هذه السلطة لا يتردد في اختيار الوسيلة التي يستطيع عن طريقها أن يتوصل الى غايته ولو كانت عن طريق الجريمة ، ومحاولة اصطناع المعروف ومكارم الأخلاق سواء بسواء فيتخذها لتضليل الناس ليبلغ أهدافه وغاياته ، وهو لا يتردد في اتخاذ الدين خادما له وحينما يرتديه لباسا يكون لا أحد أقدر منه على خلق المشاكل والمصائب التي يتفتن في صبها على رؤوس البشر ، هكذا فعل طلاب الملك بالأمة ولا زالوا يفعلون بها الى الآن .

وبهذه الوسيلة سفكوا دماء غزيرة من أبناء جنسهم كل ذلك في سبيل الوصول الى السلطة والاحتفاظ بولاء الامّة ، فكانوا سببا في سقوط الخلافة الاسلامية التي هي ركن من أركان الدين

(١) سورة الانفال

(٢) - غافر

بعد ماتم تشييدها كما هو ظاهر من التاريخ ، وخروجهم عنها
يعد عصيانا ومخالفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

الأناثية التى اتصف بها حكام المسلمين ، وشهوة الحكم
المفروسة فيهم هما كانتا سببا في انقسام المسلمين الى طوائف
وأحزاب متعادية ، وهما أرغمتهم على التقهقر الى عصر الجاهلية
وملوك الطوائف .

قضى الملوك والأمراء على كل ما كان للمسلمين من حضارة
قيمة وعلوم نافعة كانت المصدر الرئيسى لنهضة الغرب الجبارة
وعلى النظام المحكم الذى شاده المسلمون الأولون على ضوء الكتاب
والسنة ، ومن ذلك الوقت كانوا يخرجون من ضعف الى أضعف
ومن سىء الى أسوأ .



الغزو الصليبي المتكالب على المسلمين

نشأ عن هذه الحالة السيئة التي وصل اليها المسلمون من التششت والتفرق ، ونبذهم المحبل الذي كانوا يعتصمون به ، وضعف الخلافة غزو خارجي صليبي عندما رأى الصليبيون أن شوكة المسلمين قد خضدت وأن قوتهم قد تلاشت وضعفت هجموا عليهم بقيادة الكنيسة بدعوى انقاذ القدس وأرض الميعاد من أيدي الكفار ، وكان هذا الغزو في سنة 345هـ وامتد من ذلك الوقت الى الآن على العالم الاسلامي كله شرقا وغربا ، ومشى بصورة واحدة في جميع النواحي قسوة لا رحمة فيها ، وفتكا بالابرياء والضعفاء وتدميرا للحضارة والمنشآت العمرانية ، وتشجيعا للفساد والخرافات ومحاربة العلم والعلماء .

بدأت الغزوات الصليبية التي كانت تهدف الى الاستيلاء على الأماكن المقدسة عند المسيحيين تتحدى الاسلام والمسلمين كلهم ، وتهدد الجزيرة العربية التي هي مهد الاسلام ، والدول المجاورة للشام ، واستولى الصليبيون فعلا على القدس وعلى مدن الشام ، وطمعوا في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أكبر خطر على الاسلام والمسلمين بعد فتنة الردة .

واننا نعلم علم اليقين أن جرائم الاضطهاد التي مارسها الصليبيون ضد المسلمين لم تكن أبدا بدافع ديني ، بل الدافع الحقيقي هو خوفهم من رجوع الخلافة الشرعية ، وانتشار الاسلام الذي ينتزع ما يحيطون به أنفسهم من هالات خادعة ويعريهم من قداست مزيفة ، أن ما حدث للمسلمين في الماضي على أيدي الصليبيين من الظلم الشنيع والجرائم التي ارتكبوها في حقهم لهو أكبر برهان على أن الدين المنسوب لسيدنا المسيح عليه السلام كما يزعمون زورا وبهتانا ، فقد فقد مبررات بقائه كدين ، وأصبح أتباعه عبئا ثقيلا على الانسانية ، بعد أن تحولوا الى قتلة وسفاكين ومصاصي دماى الشعوب .

تعاونت الدول المسيحية في القديم والحديث على محاربة المسلمين أين ما كانوا وتعاونوا تعاوناً كاملاً على إخضاعهم ، ولما ثار عبد الكريم الخطابي زعيم الريف المغربي على أسبانيا في القرن التاسع عشر الميلادي أثار ثورته جميع الدول الغربية ، فتراكصت هذه الدول الى مساعدة أسبانيا ونجدها لتتغلب على عبد الكريم زعيم القوة الاسلامية ، ويزعم الصليبيون بأن الاسلام قد انتشر بالسيف ، ولهذا فانهم يقاومونه بالسيف وهذه مغالطة مفضوحة ، فان السيف لم يستعمل الا للقضاء على طغيان الأكاسرة وجبروت القياصرة لانقاذ الشعوب المستضعفة التي أكلها الجهل والكفر وتلاشت انسانيتها بين سندان الكنيسة ، ومطارق انفات الحاكمة ، وانتزاع الحكم من أصنام ، بشرية أثبتت عجزها عن قيادة الانسانية ولا يستطيع أحد من الأوروبيين أو غيرهم أن يثبت أن احد الخلفاء أو أحدا من ولاتهم قد أتوا بشخص واحد وخبروه بين الاسلام أو القتل ، والاسلام لم يؤلف محاكم للتفتيش لاجبار الناس على الدخول في الاسلام كما الفها المسيحيون لارغام المسلمون على اعتناق المسيحية كالتفتيش الذي اقاموه في الأندلس ، وفي روما وفي كل مكان .

الاسلام دين الفطرة ودين الحنيفية السمحاء ، فهو يعرض نفسه بدون قوة ولا دعاية طنانة ومظاهر جوفاء ، والنفوس بطبيعتها مهياة لقبول ما يلائم فطرتها ، بل الدين الاسلامي ينهى عن الاكراه في الدين ، ويأمر اتباعه بأن تكون دعوتهم الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

ولما عجز الأوروبيون عن مقاومة الاسلام في العلانية ، فبدأوا يحاربونه في الخفاء ولم يتركوا أية وسيلة من وسائل الدس الرخيص والكيد اللئيم الا وجربوها للقضاء عليه ، وأما الجمعيات السرية والحركات الهدامة التي عاثت في كيان الأمة الاسلامية فسادا وتخريبا عبر القرون على أيدي الماسونيين وأعوانهم من جيش العميان والمرتزة ما هي الا أثر من أثرتلك الحروب (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون) (١).

يقولون : ان الاسلام انتشر بالسيف ولكن تناسوا أن الحملات الصليبية التي جردتها أوربا لاستئصال شأفة المسلمين ، والتي تحطمت على صخرة الصمود الاسلامي بعد حروب ضارية دامت زهاء قرنين من الزمن وكذلك تناسوا محاكم التفتيش في الأندلس والتي كان حصادها ثلاثة ملايين من المسلمين ، هذه المجزرة الشنيعة وقعت في صور وأشكال يندى لها جبين الحيوان خجلا ، فضلا عن الانسان ، لا ريب في أن مرد هذه الحروب الشديدة التي شنّها الصليبيون على المسلمين في بلادهم يعدها مورخوا الصليبية أنها على حق وصواب ، وهذا ما ذهبنا اليه من أن العداوة التي كانت بين المسلمين والمسيحيين كانت عداوة دنيوية لا صلة لها بالدين ، وانما انحصرت عداوتها للاسلام لأنه هو الذي يجمع المسلمين ويكون منهم وحدة تقف في أى وجه عدو كان ، ولهذا يريدون أن يمحوه من نفوس المسلمين ، ان هذه الحروب تعود الى ما قبل ألف عام فهل ثم مبرر لاستمرارها الى أيامنا هذه .

إذا اعتبرنا أن أساس العداوة سياسى دنيوى لا روحى دينى أيقنا أن هذه العداوة من المسيحيين نحو المسلمين والاسلام لا يزال لها مبرراتها لقد أبرز (لورنس بروان) الأمريكى في صورة واضحة عندما قال : (إذا اتحد المسلمون في امبراطورية عربية أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطرا ، وأمكن أن يصبحوا نعمة ، أما اذا بقوا متفرقين فانهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير) .

وإذا تأملنا العالم الغربى وجدناه عالما ملحدا لا يؤمن بدين ، وعالما ماديا لا يعرف للروح معنى ، ان أمريكا التي تعبد الحديد والذهب والبترول كما يقول أمين الريحانى قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون الى حياة روحية وسلام دينى ، وكذلك نرى فرنسا دولة علمانية في بلادها ولكن ، نجدها الدولة التي تحمى رجال الدين في الخارج ، ان اليسوعيين المطرودين من فرنسا هم خصوم لها في الداخل وأصدقائها الحميمون في مستعمراتها ، وكذلك ايطاليا التي ناصبت الكنيسة

العداء ، وحجرت على البابا في الفاتكان ، كانت تبني جميع سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين حتى روسيا السوفياتية التي تدعو في بلادها الى الاتحاد ، ومحاربة الأديان رأيتها بعد الحرب العالمية الثانية ، حينما أرادت أن تحقق لنفسها نفوذا توسعيا سياسيا ، فتظاهرت بالعطف على رجال الدين ، ودعت الى مجمع مسكونى في موسكو وحملت اليه المؤتمرين في طائراتها ، ثم شرف ستالين نفسه أولئك المؤتمرين بمقابلتهم ، وكذلك الانكليز .

وتقتبس من كاتب أوربى منصف ، وهو الدكتور غوستاف لوبون بعض الفقرات مما دونه عن الحروب الصليبية ليكون شاهدا على بنى جنسه .

قال : كانت أوربا ولا سيما فرنسا في القرن الحادى عشر الميلادى الذى جردت فيه الحملة الصليبية الأولى في أشد أدوار التاريخ ظلما ، وكان النظام الاقطاعى يأكل فرنسا التى كانت مملوءة بالحصون التى كان أصحابها — وهم من نصف البرابرة — يقتتلون على الدوام ، ولا يملكون سوى أناس من العبيد الجهال ، ولم يكن في ذلك الحين لسوى البابا نفوذ شامل وكان الناس يخشون البابا أكثر مما يحترمونه .

وكانت دولة في الشرق قائمة وهى القسطنطينية مع انحطاطها عاصمة لدولة كبرى لا تنتهى فيها المشاحنات والمنازعات .

وكانت دولة العرب في تفكك وانحلال ، ولكن حضارتها كانت محافظة على سلطانها القديم .

فالحروب الصليبية التى نشبت في ذلك الحين لم تكن سوى نزاع بين قوم من الهمج الأوربيين وبين حضارة المسلمين التى كانت تعد من أرقى الحضارات التى عرفها التاريخ .

وكان أكثر قوافل الحجاج الأوربيين الى بيت المقدس تكون فيالق عسكرية أكثرها من جماعة الحجاج ، فكان بها بارونات وفرسان عسكرية طالما هاجمت الأعراب والتركمان ، فاضطر

هؤلاء الى الدفاع عن أنفسهم ، وبخاصة أن التركمان الذين قاموا مقام العرب في سوريا كانوا أقل تسامحا من العرب فالزموا حجيج النصارى دخول القدس بخضوع ، ولم يسمحوا لهم بالدخول في شكل عسكري وعلى ضوء المشاعل كما كان العرب يسمحون بذلك .

وزار بيت المقدس الراهب بطرس الناسك ، فاغتاظ لما رأى من معاملة المسلمين للنصارى ، وخيل اليه أنه مبعوث الرب لانقاذ الأراضى المقدسة من الكفار ، واستعان بالبابا أريان الثانى فأيده ، الأمراء الاقطاعيون ، وبخاصة أن المسلمين كانوا يهددون القسطنطينية ، ويحاولون الاستيلاء عليها ، ولقد لعبت أطماع التجار والأمراء دورا كبيرا في تنشيط هذه الحركة .

وفي ربيع سنة 1096م بدأت الجيوش الأوربية تزحف ، ولكنها تعرضت الى مجاعات وأمراض فتاكة ومن نجا منها عمل في السلب والنهب والتدمير ، وقد روت (أن لومن) بنت قصير الروم أنه كان من أحب ضروب اللهو عند الصليبيين قتل الأطفال وتقطيعهم اربا اربا ، ولكن هذه الجيوش الهمجية العاطفية لم يكن لها غناء وانما فنى أفرادها بالأوبئة والمجاعات والفتن الداخلية ، ثم بدفاعة العرب وتلا ذلك الزحف جيش ضخم قوامه مليون أوربى يقودهم الأمراء والملوك وقد استولى ذلك الجيش على القدس في يوليو سنة 1099م ويقول غوستاف لوبون : لم يكتف قومنا الصليبيون الأتقياء بضروب العسف والتدمير والتنكيل التى اتبعوها ، ففقدوا مؤتمرأ أجمعوا فيه على اباداة جميع سكان القدس من المسلمين واليهود وخوارج النصارى الذين كان عددهم 60 ألفا فأنفوهم عن آخرهم في ثمانية أيام ، ولم يستثنوا منهم امرأة ولا وليدا ولا شيخا ، ويقول غليوم الصورى : أن الصليبيين كانوا من السفهاء الفاسقين والملاحدة المارقين ، ولو أراد كاتب أن يصف رذائلهم الوحشية تخرج من طور المؤرخ ليدخل في طور القادح الهاجى .

وتوالى بعد ذلك الحروب بين المسلمين والصليبيين ، وقد تم طردهم من القدس على يدى صلاح الدين الأيوبى ، ودخل القدس وأسر ملكها سنة 1187م وأنهى سلطان الصليبيين عليها ،

ولكنه كما يقول غستاف لوبون : لم يشأ أن يفعل ما فعله الصليبيون الأولون في المسلمين وقد وجد هؤلاء في حماه أمنا وسلاما .

انزعج ملوك أوروبا لاسترداد المسلمين القدس ، فتألفت حملة ضخمة سنة 1189م يقودها أقوى ملوك أوروبا وهم : فليب أوغست ملك فرنسا ، وفريدريك بابا ، وولى قيصر ألمانيا ، وريتشارد قلب الأسد ملك انكلترا ، ولم يكن لهذه الحملة من أثر الا القتال والتدمير في أثناء الانتصارات الصغيرة التي كان يحرزها المهاجمون .

ومن الحملات التي كان يقودها ملوك أوروبا أيضا الحملة التي قامت من فرنسا بقيادة ملكها سان لويس سنة 1194م وقد اتجهت هذه الحملة الى الاستيلاء على مصر ولكن الجيش المصرى هزمها وأسر الملك وسجنه في دار ابن لقمان في المنصورة وبعد مائتي سنة من الصراع المريع استطاع المسلمون أن يستردوا بلادهم من أيدي الصليبيين السفاكين .

وقد بدأت انتصارات المسلمين تتضح على يد نور الدين زنكى سنة 1146م وجاء بعده صلاح الدين الأيوبي فحقق أعظم انتصارات للمسلمين ، وبخاصة في معركة حطين التي أدت الى الاستيلاء على عكا ونابلس والرملة ، ويافا ، وبيت المقدس التي سقط ملكها أسيرا في أيدي المسلمين كما سبق .

وفي عهد السلطان بيبرس سنة 1260 - 1277م تهاافتت الممالك الصغيرة التي كانت في أيدي الصليبيين على ساحل البحر الأبيض المتوسط وفي سنة 1293م سقطت آخر مدينة لاتينية في يد ملك مصر السلطان الأشرف خليل ، وانتهى بذلك الصراع الذى شنته أوروبا الصليبية على المسلمين .

هذه هي أعمال أوروبا التي جعلت تدمير المسلمين نصب أعينها ولكن من لطف الله أن وجدت في استقبالها بقية من بقيت الايمان وفي مقدمتها الملك المسلم ألا وهو صلاح الدين الأيوبي وغيره من الملوك رجع هذا الانتصار الى نفوس المسلمين الطمأنينة بدينهم وحفظ لهم كرامتهم وشرفهم . وبعد ما فشل الصليبيون في

حملتهم القوة خرجوا من أرض الميعاد مطرودين مهزومين .
وفي الختام نتكلم على تعاليم سيدنا المسيح عليه الصلاة والسلام
كيف اعتنقها الصليبيون ، أراد هؤلاء ، أن يطفئوا نور الله
بأفواههم ويقضوا على ما كان للانسانية من عقائد ربانية وتراث
مجيد ، وتقاليد سامية يكشف المؤرخون والباحثون في الأديان
السماوية عن حقائق مذهلة لأعظم جريمة اقترفها اليهود في حق
الانسانية على يد بولس وشركائه من مؤسس الماسونية الذين
تظاهروا باعتناق المسيحية لنسفها من الداخل ، وتحويلها من دين
مثالى كما جاء به السيد المسيح عليه الصلاة والسلام الى مجموعة
من الأساطير والحرافات الوثنية كما هى عليها الآن .

عندما يطالع الانسان الاناجيل أو ما كتبه المسيحيون في شرحها
فلا يحصل على طائل من الدين الصحيح ، وكل اصحاب ينقض
ما قبله ، وكل جملة تهدم ما بعدها فلا هى كتب علم ولا هى كتب
دين ، وانما هى مجموعة من أساطير وقصص وحكايات وروايات
خاوية من كل معنى خالية من كل مضمون ، لو وجه سؤال الى أى
مسيح مهما كانت درجته العلمية أن يبين حقيقة الدين المسيحى
وما يعتقده في شخصية المسيح عليه السلام تصويرا حقيقيا
يرضى به العقل ويطمئن اليه القلب لما استطاع ذلك ، اذ كيف
يستطيع وهو يتلقى من صغره بأن الثلاثة تساوى الواحد
والواحد يساوى الثلاثة ، وأن عيسى عليه السلام مكون من
ناسوت ولاهوت ، وأن طبيعة اللاهوت خلقت طبيعة الناسوت لأجل
أن يكون كبش الفداء على البشرية التى تنوء بالخطيئة الأولى .

ان علماء التاريخ المسيحى يقرون بأن الأناجيل الأربعة
المتداولة قد تم اختيارها من بين حوالى مائة انجيل كانت منتشرة
بين المسيحيين في القرن الرابع الميلادى ، ومن المعلوم بالضرورة
أن المسيح عليه السلام قد أتى بانجيل واحد ، وهم لا يستطيعون
أن يثبتوا أن أحد الأناجيل الأربعة مطابق بنفسه ومعناه للإنجيل
الذى جاء به المسيح عليه السلام لذا فمن المحتمل أن يكون
الانجيل الأصيل الحقيقى واحد من الأناجيل التى زعموا أنها
كاذبة وأسقطوها ، واذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال ، لأجل
هذه الأساطير تحشد عصابات التبشير كل طاقتها لتخريب ضمائر

المسلمين ، وزعزعة عقائدهم ، لتصرفهم عن عبادة الله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، الى عبادة آلهة ثلاثة ، وهم الى الآن لم يعرفوا الخالق من المخلوق ولتقلهم من دين الاسلام الحنيف الى دين سدها الوثنية ولحمته الشرك ، والخرافات جزء منه لا يتجزء ويسمونه دين المسيح زورا وبهتانا ، والمسيح عليه السلام برىء منه ، وهذه العصابة من المبشرين هي من دول الاستعمار ، فانه يساندها ويرصد لها الأموال الطائلة ، ويجند لها الطاقات ، ويبلغ ما ينفق عليها عشرات الملايين من الدولارات بل المآت الملايين .

وعلى الرغم مما قامت به هذه العصابات من هجمات مسعورة على الاسلام والمسلمين ، وعلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، فاننا مع الأسف لا نجد من المسلمين ردود فعل تتناسب مع ما يبذله المسيحيون من جهد مستميت في هذا المضمار ، واذا وجد من يريد أن يدلى بدلوه ، فانه لا يلبث أن يفاجأ بالعراقيل توضع في طريقه ، وبالمعوقات تنشط عزائمه ، وممن من أبناء جلدته فيصمونهم بالطائفية ، ومن السخرية والاحتقار للاسلام . جعل حكام المسلمين في دساتيرهم التى سطورها (الاسلام دين الدولة الرسمى) ، ووضعوا بعده ألف مادة لهدمه وتأتى على بنيانه من القواعد ، ولعل المسلمين لا يدرون بأن الحروب الصليبية التى اشعلت ضد الاسلام والمسلمين منذ أكثر من 800 سنة لا تزال باقية الى الآن ، ولكن في اشكال وصور مختلفة ، ولا زلنا نعانى من آثارها في الفلبين والحبشية والسودان ، وفي نيجيريا وتيلاندا ، وفي بلقاريا والتشاد ، وفي فلسطين وغيرها وستبقى هذه الحروب وتدوم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها كما قال الجنرال الانجليزى عندما فتح فلسطين ودخل القدس الشريف وقف وقال : الآن انتهت الحروب الصليبية) وهو كاذب لأن أحداث الساعة تدل على استمرارها .

زحف التتار على الممالك الاسلامية الشرقية

لم يتأثر المسلمون بالحروب الصليبية التي دامت زهاء قرنين من الزمن واتحدت الكنيسة مع أوربا على حريهم ، ورغم هذا لا زالوا مختلفين ومتنازعين ولم يسلم بعضهم لبعض ، ولم ينظروا في الخطر الذي يهدد كيانهم جميعا ، ولم يرجعوا الى الدين الذي يوحد بينهم ليقفوا صفا واحدا في وجه الغز والمتكالب عليهم من كل ناحية ، ويجعلوا حدا لهذا الاقتراق الشنيع الذي تأصل في نفوسهم ، وأسلمت هذه الحالة - أوى حالة الصليبيين - الى حالة أخرى هى أدهى وأمر من سابقتها ، الا وهو زحف المغول على الممالك الاسلامية الشرقية وتحطيمها تحطیما شنیعا ، وأنهى بذلك الخلافة العباسية الرمزية وتدمير الحضارة البغدادية ، ونقل بعض الفقرات من التاريخ . كيف أكتسح التتار الممالك الاسلامية وتخريبها ، بيد أن الصليبيين كانوا في الشام ومصر وآسيا الصغرى ، وداروا حول هذه الدوائر ، ولم يتجاوزوها .

أما هجوم التتار الكاسح فقد انساب من أقصى الشرق لا يلقى على شيء الا جعله ركاما ولا على قوم الا جعلهم رميما حتى وصلوا الى الشام واستولوا على أكثره ، وراموا مصر ، ثم ارتدوا على أدبارهم خاسئين أمام جيش مصر والشام .

ولتذكر كلمة لا بن الأثير في وصف التتار وما كان منهم في القرن السابع الهجرى فانها كلمة بليغة مصورة قال رحمه الله : لقد بقيت عدة سنين معرضا عن ذكر الحادثة استعظاما لها كارهها لذكرها ، وها أنا أقدم رجلا وأوخر أخرى ، فمن الذى يسهل عليه أن يكتب على نعى الاسلام والمسلمين ومن الذى يهون عليه ذلك ، فيأليت أمى لم تلدننى ، ويأليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، الى أن حثنى جماعة من الأصدقاء على تسطيرها ، وأنا متوقف ، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدى نفعا فنقول : (هذا الفعل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى التى عقت الأيام والليالى عن مثلها عمت الخلائق وخصت المسلمين ، فلو

قال قائل ان العالم منذ خلق الله سبحانه ، وتعالى آدم الى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا ، فان التاريخ لم يتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها ...

ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة الى أن ينقرض العالم ، وتفنى الدنيا الى خروج ياجوج وماجوج ، هؤلاء لم يبقوا على أحد بل قتلوا النساء والرجال والأطفال ، وشقوا بطون الحوامل وقتلوا الأجنة (فانا لله وانا اليه راجعون) ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم لهذه الحادثة التى استطار شررها وعم ضررها ، وسارت في البلاد كالرياح ... ان قوما خرجوا من أطراف الصين فقصدوا بلاد تركستان ... ومنها الى بلاد ما وراء النهر فملكوها ... ثم تغبر طائفة منهم الى خرسان فيفرغون منها ملكا وتخريبا وقتلا ونهباً ، ثم يتجاوزونها الى الرى وهمدان الى حدود العراق ، ثم يقصدون بلاد أذربيجان ويغربونها ويقتلون أكثر أهلها ولم ينج منها الا الشريد الطريد النادر في أقل من سنة هذا ما لم يسمع بمثله أحد ، ثم قصدوا بلاد قفجاق ، وهم من أكثر الترك عددا ، فقتلوا كل من وقف لهم ، فهرب الباقون الى الغياض وراء الحبال ، وفارقوا بلادهم ، واستولى هؤلاء التتار عليها ، فعلوا هذا في أسرع زمان ، ولم يلبثوا الا بمقدار سيرهم لا غير ، ومضت طائفة أخرى غير هذه الطائفة الى غزنة وما جاورها من بلاد الهند وسجستان وكرمان ففعلوا بها مثل ما فعل هؤلاء ، وأشد ، هذا مما لم يطرق الاسماع مثله ، فان الاسكندر الذى اتفق المؤرخون على أنه ملك الدنيا لم يملكها في هذه السرعة ، وانما ملكها في نحو عشر سنين ، ولم يقتل أحدا ، وانما رضى من الناس بالطاعة ، وهؤلاء قد ملكوا أكثر المعمورة من الأرض وأحسنها عمارة وأهلا ، وأعدل أهل الأرض أخلاقا سيرة في نحو سنة ، ولم يبت أحد ، من الناس ومن البلاد التى لم يطرقوها الا وهو خائف يتوقعهم ، ويتربص وصولهم اليه ، ثم أنهم لا يحتاجون الى ميرة ومدد يأتيهم فانهم معهم الاغنام والبقر ، والحيل وغير ذلك من الدواب يأكلون لحومها لا غير ، وأما دوابهم التى يركبونها فانها تحفر الأرض بحوافرها وتأكل عروق النبات ، ولا تعرف عن الشعير ، فهم اذا نزلوا منزلا لا يحتاجون الى شىء من خارج .

وأما ديانتهم فانهم يسجدون للشمس عند طلوعها ، ولا يحرمون شيئا ، يأكلون جميع الدواب حتى الكلاب والخنازير وغيرها ، ولا يعرفون نكاحا بل المرأة ياتيها غير واحد من الرجال فاذا جاء الولد لا يعرف من أبوه .

هذا وصف لأولئك الذين ابتلى بهم العالم الاسلامى في القرن السابع الهجرى ، وأختص المسلمون بهذا البلاء ، ولقد انساب أولئك المغول في الديار الاسلامية حتى فضوا على عاصمة الخلافة قال الاستاذ انور : لا يعرف الاسلام من بين ما نزل به من الخطوب والويلات خطبا أشد من هؤلاء من غزوات المغول ، فقد انسابت جيوش جنكيز خان انسياب الثلوج من قمم الجبال ، واكسحت طريقها العواصم الاسلامية ، وأتت على كل ما كان لها من مدنية وثقافة ، يقول الحميسى في تاريخه في سنة ستة وخمسين وستمئة هجرية : وصل الطاغية هلاكو حفيد جنكيز خان الى بغداد بجيوشه ونزل قائده باجنوس على بغداد من غربها وهلاكو من شرقها ، ثم خرج اليه الخليفة العباسى في أعيان الدولة وأكابر الوقت ، فضرب المغول رقاب الجميع ، وقتل الخليفة وداسوه بالحيل ، ودخل التتار المدينة وأقسموها وعمل السيف فيها أربعة وثلاثين يوما وقل من أسلم من سكان المدينة فبلغت القتل ألف وثمانية مائة نسمة ، وقد نهب المغول دار الخلافة لم يبق فيها شيئا ، ثم أحرقت بغداد بعد أن قتل أكثر أهلها) انتهى ...

ويقول الاستاذ أبو زهرة رحمه الله أحب أن أثير هنا اشارة عابرة الى الاستيلاء على بغداد قسبة الاسلام ، أو تخريبها كما هو التعبير الدقيق ، ففى خبرها العبرة ان بغداد لم تبطل فقط بالتتار وهم بلاء في الأرض وشر مستطير ، وهم وحدهم كافون لازالة كل حضارة ، وتقويض كل قائم بل ابتليت بغداد بمن فيها ، فقد كان فيها اليهود والنصارى قد ماثوا التتار ، وكاتبوهم وكان فيها من هو أمر وأدهى وهو العلقمى وزير المعتصم آخر خليفة عباسى كان مقيما في بغداد ، فان ذلك الوزير كان شيعيا غالبا ارتضى لنفسه أن يمالئ عبدة الشمس والتتار على عبادة الواحد القهار وخان دينه وخان بلاده ، وخان الفضيلة ، قد عمل على أضعاف جند بغداد فقد كان فيها عند توليه مائة ألف جند معهم

الشبكة والسلاح والعدة والعتاد وكان فيهم الأمراء الأكابر الذين كانت لهم حماية الأسود الكواسر ، فلم يزل في تقليل العدد حتى أصبح نحو عشرة الآلاف ثم أطمع التتار ، وكشف لهم الحال ، وضعف الرجال ، فجاءوا ، ولم يكتف بالذى قدمه بل انهم عندما أقبلوا كالوحوش الضارية حسن للخليفة مصالحتهم على أن ينزل على نصف خراج العراق ، ويكون للخليفة النصف الآخر فرضى ، وذهب الخليفة ليفاوض فأعاده هلاكو مذموما مدحورا اذ قد أشار الوزير العلقمى في الوقت نفسه على هلاكو ألا يقبل المصالحة لأن الخليفة ينقضها بعد سنة ، وأشار عليه بقتله ، وأيد العلقمى نصير الطوسى الذى كان في صحة هلاكو وخدمته .

قتل الخليفة بإشارة الروافض ، وانساب التتار ، يقتلون ويخربون في بغداد ولم ينج من أهل بغداد الا اليهود والنصارى ومن لجأ الى العلقمى ، فهؤلاء وحدهم كان لهم الأمان ، أزيلت قسبة الدولة الاسلامية على أيدي عبدة الشمس ، وأغراهم بعض الشيعة فلم هذا ؟ لم يؤثرون حكم الطاغوت على حكم المسلمين ؟ لعل السبب في ذلك أنهم يرون في المسلمين الذين يخالفون طريقتهم ضلالا ، وهذا السبب عام ، ولكن هناك سبب خاص لعله كان أقوى تأثيرا ، وذلك أنه كان في سنة 655هـ وهى سنة السابقة على تخريب بغداد ، كان بين أهل السنة والرافضة حرب مذهبية نهب فيها بلاد الكرخ ومحلة الرافضة ، حتى نهب دور أناس ذوى قرابات للعلقمى ، فأثار ذلك حنقه وهياجه على أن دبّر للاسلام وأهله ما وقع من الأمر الفضيع الذى لم يؤرخ أبشع منه منذ بنيت بغداد (1) .

وسواء أكان القتال بين الرافضة وغيرهم ما يبرره فان هذا يعطينا صورة عن هذا العصر كيف كان المسلمون في هذا الزمن ، والبلاء بلاء وهو ابادة لا تبقى ولا تذر ، ولا تفرق بين مذهب ومذهب كانوا يتتأخرون في نحلهم ، هؤلاء يقتتلون والتتار قد أزالوا كل ما وراءهم من بلاد ، ثم تعطينا صورة أخرى أشد اقماما ، تبين كيف يعمى التعصب المذهبى القلب والبصرة ،

فيقدم وزير أعطى أمانة الخلافة والملك ، فيوعز الى من لا دين لهم ولا أخلاقا ليتحكموا في أهل دينه فيبيدوهم عن آخرهم ، وهذا الصنف من الخونة كثير في المسلمين لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، وهم سبب الكوارث للمسلمين في جميع العصور لأنهم منافقون لا يؤمنون بالدين ، ثم تبين لنا أيضا كيف يخون اليهود والنصارى المسلمين عند اشتداد الأزمة ويؤلبون أعداء الأديان وأعداء بني الانسان على من عاهدوهم وحموهم وأووهم ، ولكن هي الحفيظة الدنيئة تدفع الى الأذن من غير نظر لعهد ولا لأمانة ولا لمصلحة اجتماعية .

لقد دخل التتار حلب الشام بعد بغداد ، وذهبوا الى دمشق فاستولوا عليها واستولوا على القلعة بعد مصالحة أحد أمرائهم واسمه (ابلاسان) ف قرب النصارى اليه ، وهم تقربوا الى هلاكهم ، قد هبت اليه طائفة من النصارى معها الهدايا والتحف جاءت من عنده بأمان أعطاه لها الطاغية ، وكان ذلك وصلا لما بدئى من قبل في بغداد ، بل في كل مدينة دخلها التتار ولنترك الكلمة لابن كثير يشرح ما كان منهم فقد قال : (دخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤس الناس وهم ينادون بشعارهم ويقولون ظهر الدين الصحيح ، دين المسيح ، ويذمون دين الاسلام وأهله ، ومعهم أوان فيها خمر لا يمرون على باب مسجد الا رشوا عنده خمرًا قماقم ملانة خمرًا يرشون منها على وجوه الناس وثيابهم ، ويأمرون كل من يجتازون به في الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم ، فتكاثر عليهم المسلمون فردوهم الى سوق كنيسة مريم ، فوقف خطيبهم فمدح دين النصارى ، وذم دين الاسلام وأهله) (فانا لله وانا اليه راجعون).

ولكن أن الاسلام قد استطاع أن يصل الى قلوب هؤلاء المغول فقد كان الملوك من بعد هلاكهم مسلمين ، وان لم يذق التتار بشاشة الاسلام الا من بعد فترة من الزمن ، الحقيقة أن موقف المسلمين من القرآن في هذا العصر ومن بعده مثلهم كمثل جماعة أحاط بهم الظلام من كل مكان ، فهم يتخبطون فيه ويسيروا على غير هدى ، فتارة يعمون في هاوية وأخرى يصطدمون بحجر ، وثالثة يصطدم

بعضهم ببعض ، ولا يزالون هكذا يخطون خطا عشوائيا ويسرون في ظلام دامس مع أن بين أيديهم زرا كهربائيا لو وصلت اليه أصابعهم فان أدنى حركة يسيرة يمكن أن توقد مصباحا مشرقا منيرا ، هذا مثل المؤمنين وموقفهم من كتاب الله (كالميس في البیداء يقتلها الظمأ ، والمأ فوق ظهرها محمول) لا يستطيعون سبيلا الى الهداية وبين أيديهم النور الكامل يقول الله عز وجل : (ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدى الى صراط مستقيم)^(١) (فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا للنور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)^(٢) (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجوهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم)^(٣) : ويقول سبحانه وتعالى في حق الكافرين : (ومن لم يجعل الله له نورا فما له نورا فما له نور) ولكن فما بال المؤمنين الذين آمنوا بالله وصدقوه وأحبوه واعتقدوه ولا يخلو بيت من بيوتهم من كتاب الله ، قد أعرضوا عنه ان أهل الكفر قد خدعوا المسلمين عن نورهم ، وأبعدوهم عن هديهم ، وضللوهم عن طريقهم ، وأمسكوا بأصابعهم على أن لا تمس الزر الكهربائي — ألا وهو القرآن الكريم — لينير لهم الحياة خدعهم بالسياسة ، وتارة بالعلم الدنيوي (يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) وطورا بالمال ، وأخرى بالشهوات وخاصة بالخداع وتارة بالقوة والقهر والجبروت ، فكانت النتيجة أن المسلمين اتبعوا الكافرين ، وقد حذرهم الله من ذلك بقوله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقاب فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين)^(٤) ولما سبق في علم الله أن الكفار يهددون المسلمين بما بين أيديهم من قوة وبأس ، فأراد أن يستأصل من قلوبهم هذه الشبهة فقال : (سنلقى في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مئوى الظالمين) ثم يذكر الله حادثة تطبيقية مقررونة بالدليل قال : (ولقد صدقكم الله وعده اذا تحسبونهم

(١) سورة الشورى

(٢) — الاعراف

بأذنه حتى اذا افشلتهم وتنازعتم في الأمر وعصيتهم من بعدما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين⁽²⁾ هكذا يحذر الله المؤمنين بالقرآن من أن ينهجوا منهج الكفر ، فيقول : (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين)⁽³⁾ فأهل الكفر مطبوعون على الخداع وعلى الكيد لأهل الايمان (ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم)⁽⁴⁾ (ان يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا اليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء)⁽⁵⁾ ويجب على كل مؤمن أن يبرأ من محبة الكافر ، قال الله تعالى : (ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا) فهذا تصوير صادق لماطفة أهل الكفر نحو أهل الايمان ، ومع هذا فقد نسى المسلمون التحذير (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بدات الصدور ان تمسكم حسنة تسوءهم وان تصيبكم سيئة يفرحوا بها ، وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا ان الله بما يعملون محيط)⁽¹⁾ ، ورغم هذا التحذير ، ورغم أن كتاب الله قد كشف عن أنفسهم هذا الكشف بعد كل هذا أنهوى بأنفسنا الى الهاوية ؟ ونسير في أذئاب أهل الكفر ، ونعمل كما يعمل أهل الكفر ، وهم يخدعوننا عن هذا بكل وسيلة وبكل أسلوب .

ولما دخل التتار الى الاسلام وأصبحوا بعض أتباعه فعادت أوروبا من جديد تتحفز وتعد العدة لاستئناف نشاطها الحربى على العالم الاسلامى واتجهت في هذه المرة الى الهجوم على تركيا زعيمة العالم الاسلامى وموطن الخلافة الاسلامية ، وعلى من اتبعها من الممالك الاسلامية .

(3) - آل عمران (1) سورة آل عمران (2) - آل عمران (3) - المائدة (4) سورة آل عمران (5) - الممتحنة (1) سورة آل عمران

تركيا والغرب

رجعت الخلافة الاسلامية — من بعد ما عصفت بها الأحداث من الداخل والخارج — ولكنها لم ترجع الى العرب ولا الى قريش ، بل استولى عليها الأتراك ، ودخلوا الى أرض المسلمين باسم الاسلام ، فانظم اليهم المسلمون أينما كانوا الا قليلا ممن لازم الحياة ، شهد القرن السادس عشر الميلادى دولة اسلامية كبرى — هى تركيا — تقيم امبراطورية اسلامية من أكبر الامبراطوريات التى عرفها التاريخ ، ويأخذ سلطانها لقب الخليفة ، وأصبح مركز الخلافة فى القسطنطينية عاصمة البزنطين سابقا ، فانضم الى هذه الخلافة الجزيرة العربية ومصر والشام ، والعراق والجزائر وتونس . وشهد هذا القرن تلك الامبراطورية الاسلامية القوية التى أصبحت تهدد أوربا ، واحتلت منها جزءا غير قليل ، وهو ما يعرف الآن باسم (رومانيا وبلغاريا واليونان ، ويوغسلافيا وألبانيا ، والمجر) ، وجعلت لها كلا من البحر الأسود والبحر الأبيض بحيرة اسلامية ، وقد كان لها أسطول بحر كبير ، وجيش قوى عتيق ، وتسمت باسم الخلافة العثمانية ، وأصبحت مصدر رعب لأوربا وذعر للمسيحيين ، كيف كان موقف الغرب أمام هذه الامبراطورية الاسلامية الكبرى ، وأوربا اذا شاهدت دولة عظمى للمسلمين لا يستقر لها قرار حتى تقضى عليها .

يقول الاستاذ محمد حبيب تألبت الدول الأوروبية على الخلافة الاسلامية ، واجتمعت كلمة المسيحيين على انوقوف في وجه التيار الاسلامى الجارف ، وعقدت المعاهدات وتضافرت القوى والجهود لهذا الغرض ، وكان من سوء حظ الخلافة الاسلامية أن ظهرت هذه الحركة الأوروبية فى وقت كان سلاطين آل عثمان قد انغمسوا فى الترف واستسلموا للدعة والنعيم والشهوات .

وقد اتخذ الصراع ضد تركيا شكلا دينيا واضحا اذ تكون ضدها حلف مقدس من النمساويين وبولنده والبدقية ، وكان لهذا

الحلف اثر كبير في التغلب على تركيا حتى تضعفت قوتها ، ثم دخلت روسيا في حرب معها باسم الدين ، هذه الحرب تؤيدها جميع الدول الأوروبية وأشعلوا فيها الفتن والثورات من الداخل حتى من العرب أنفسهم ، وألبوا عليها كل الممالك التي كانت تحت يديها فبعضها استقل عنها كمصر والجزيرة العربية وبعضها في طريق الاستقلال ، وأنزلت هذه الحروب والفتن التي كانت من الداخل والخارج بالخلافة الاسلامية ضربات قاصمة وخسائر فادحة ، وكانت نتيجة هذه الأحداث العظيمة أن هوت تركيا من شاهق وهان أمرها وضعف شأنها حتى أصبحت تعرف بالرجل المريض وهكذا حطم الغرب المسيحي الخلافة العثمانية ، واستولى على الأقطار العربية التي كانت تكون أكبر جزء في جسم الخلافة .

احتلت فرنسا الجزائر سنة 1830م وتونس 1881م ومراكش 1911م وان كانت هذه الأخيرة لم تكن تابعة لتركيا وأذنت للدول الأوروبية لفرنسا ان تحتل لبنان سنة 1860م ثم سوريا سنة 1918م . واحتلت انجلترا مصر سنة 1982م واحتلت إيطاليا طرابلس سنة 1911م ثم فلسطين من طرف الانكليز عقب ذلك .

وسبب هذا الاحتلال هو أن رجال الكنيسة والمبشرين من رجال الدين المسيحي مهدوا الطريق الى هذا الاحتلال الشنيع لأنهم كانوا في الأقطار جواسيس وغيونا يطلعون الاستعمار على عورات المسلمين وينقلون اليه كلما هب ودب فيها باسم الدين والتظاهر بالشفقة والرحمة على الفقراء والعجزة والمساكين .

الرهبان منذ القرن الثامن الهجري الموافق للقرن الرابع عشر الميلادي حتى الى القرن الثامن عشر ما أنفكوا في مراكش ، والجزائر ، وتونس ومصر والشام يعملون للاستعمار حتى تمكنوا فعلا من احتلال هذه الأوطان .

ففي سنة 1911م عقد مؤتمر للمبشرين المسيحيين في لنكاو في الهند ونظر في حالة المسلمين ، فوجد فيها الاضطرابات الخطيرة ، والانقسامات الى طوائف متناحرة قال أحدهم : (ان هذا الانقسام

السياسى الحاضر في العالم الاسلامى لدليل بالغ على عمل يد الله في التاريخ ، واستشاراته لديانة المسيحية لكى تقوم بالعمل) يشترى بذلك الى كثرة الأبواب التى أصبحت مفتحة في العالم الاسلامى على مصاريعها ، ان ثلاثة أرباع العالم الاسلامى تعتبر الآن سهلة الاقتحام على الارساليات التبشيرية ان في الأمبراطورية العثمانية ، وفي غرب شبه جزيرة العرب وفي ايران ، والتركستان والأفغان ، وطرابلس الغرب ، ومراكش سدودا في وجه التبشير ، ولكن هناك مائة وأربعون مليوناً من المسلمين في الهند ، وجاوة والصين ، ومصر وتونس والجزائر يمكن أن يصل اليهم التبشير بسهولة .

وكانت الفطرسية التى جبل عليها الاستعمار تمنعه من أن يتساوى مع غيره من شعوب العالم التى هى من غير جنسه ، فكان يرى أن هذه الشعوب ناقصة في خلقها وتكوينها الفسيولوجى لأنها لم تكن على درجة كبيرة من الذكاء والخلق اللذين يخولانها بتسيير شؤونها والقيام على مصالحها قياماً كاملاً بخلاف الجنس الأوربى .

هذه هى فلسفة التى يتبجح بها في استعباد الشعوب التى هى من غير جنسه ، وحجته في ذلك العروق الجنسية ، لأنه يرى أن عرقه أفضل من جميع العروق البشرية في الذكاء ، ولهذا فهو أحق بالاشراف على مصالح هذه الشعوب .

جاول الاستعمار بكل ما أوتى من قوة ودهاء أن يبدل طباع هذه الشعوب وخلقها حتى تلتحق بطباعه وخلقها فمنع منها باتا تعليم لفتها وتاريخها وأدابها القومية من الدراسة في المعاهد واستبدالها بلفته وتاريخه وآدابه .

ولم يدر الاستعمار بأن القواعد التى تقوم عليها حياة المجتمع هى وليدة الخلق ، والخلق يتألف من امتزاج مختلف عناصر الشخصية التى يطلق عليها اسم الشاعر، وقد تتغير الصفة الذهنية بالتربية تغيراً قليلاً .

أما الصفة الخلقية فانها تتقلت من سلطان التربية تقلتاً تاماً ، والتربية عندما تؤثر في الصفات الخلقية لا يكون هذا التأثير الا عند ذوى الطبائع الحائدة لدى الأفراد ، وقلما توجد في أمة

كاملة ، واذا وجدت في أمة لا يكون وجودها الا في أيام انحطاطها ،
ومن السهل أن ينتقل الذكاء من أمة الى أخرى ، أما الصفة
الخلقية فلا تنتقل ، الخلق كالصخرة الثابتة التي تلطمها الأمواج
يوما بعد يوم في عدة قرون .

وللأخلاق نفوذ كبيرة على حياة الأمم ، والخلق هو الأساس
الحقيقي للمزاج الشخصي ، والأمة اذا تغيرت لغتها ومعتقداتها
وفنونها بفتة ، وتغيرت كهذه لا تكون حقيقة في هذه الأمة الا اذا
استطاعت أن تحول روحها ، ولهذا لم ينجح الاستعمار في تبديل
طبائع الشعوب وخلقها ، وباء بالفشل التام رغم المجهودات التي
بذلها أنظر الى أحلامه كيف كذبها الواقع وبددتها الحقائق
الناصعة باستقلال هذه الشعوب .



ثورة الشعوب الاسلامية الحديثة على الاستعمار الغربى أينما كان

من أخرج الساعات في حياة الأمم وأشدّها الساعة التي تفقد فيها الحرية والقيادة الرشيدة ، ومقومات الحياة كالعلم والسياسة والاقتصاد وغيرها فتظهر عليها أمارات الشيخوخة فتصبح بعيدة عن النظم الاجتماعية فتصير مسخرة للعمل والطاعة العمياء لأسيادها .

تخسر هذه الأمة المستعمرة كل شيء في حياتها ، تخسر الوحدة التي هي سبب النجاح والفلاح ، تخسر المعارف والعلوم التي تهديها الى طريق السعادة والنجاة ، تخسر التعاون والتربية والأخلاق الحميدة التي لولاها لما كانت أمة معتبرة في الوجود ، تخسر القدرة على السير الى الأمام .

وهذا ما اعترى الأمة العربية الاسلامية في فترة الانحلال ، فركدت أفكارها وجمدت عقولها وموابها لأن الاحتلال كان قتلا لمعنوياتها ، وطمسا لكيانها وتشويها ، لسمعتها ، وتلطيخا لتاريخها ومجدها .

وكل دولة أجنبية استعمرت بلدان المسلمين الا وحاولت مرارا وتكرارا أن تقتل الطموح فيها ، ولكن الطموح لا يموت موتا نهائيا ، فهو كالنار تبقى جذوته ضئيلة غير أنها عاملة نشيطة .

وكل دولة احتلت أقطار المسلمين الا وحتمت عليهم عوائدها وأخلاقها ولغتها وجنسياتها ليعتنقوها ، ويدوبوا فيها شيئا فشيئا حتى يتبلمهم .

دخل الاستعمار أرض العرب ووطن الاسلام ومنازل الوحي ومدارس القرآن ، فدنس بأقدامه الغليظة مقدسات الشرق ، وامتنع البقاع المقدسة فمسك منافذ الحياة فيها ، واستولى على مرافق العيش منها ، فامتص خيراتها كما امتص روحها وحياتها ،

وصادر عقولها وأفكارها ، وحارب العقائد والمبادئ السامية ،
وعفروجه المسلمين ، في الرغام والأوحال ، ومزق الصحف ،
ومنع الشعوب من اتصال بعضها ببعض ، وسادها الاقطاع جميعا ،
وتحالف عليها الفقر والجهل ، واستعمل معها جميع وسائل الغنائم
فكابدت من هذا الاحتلال الملعون جميع المحن والمصائب .

كانت روح القسوة التي جبل عليها ، والتشفي التي هي
سليقة فيه واضحة في انتصار الاستعمار على المسلمين ، فلم يكن
ما أحرزه من نصر في المارك نهاية المطاف وإنما كان بدء المجاور
الشيعة ، وازهاق الأرواح بالآلاف ، وأسكب فيضنا بين الدماء
الغزيرة ، وشملت هذه القسوة الأطفال والنساء والعجزة ،
وجرت هذه الويلات الخراب والدمار على البلاد ، وكان السفاكون
يحتسون الخمر ، ويرقصون طربا للنصر وتمذيب المواطنين
وابادتهم وتدميرهم .

وقد كتب الجنرال نيكلسون الانكليزي يقول : (يجب علينا
أن نسن قانون يبيع لنا أن نحرق أو نسلخ جلود المسلمين وهم
أحياء لأن نار الانتقام تتأجج في صدورنا ولا تخمد بالشتى
وحده) ، وكان هذا الجنرال حسن النية لأنه فكر في سن قانون
لسلخ المواطنين أحياء ، أما غيره من الجنرالات الأخرى فقد فعلوا
هذا وأكثر دون أن يحتاجوا الى سن قانون ، وقد كتب المؤرخون
الافرنج أنفسهم هذا التاريخ الشنيع وانتقدوا الأعمال البربرية
التي قام بها الصليبيون ضد المسلمين انتقادا مرا .

لقى الأحرار والمفكرون من العالم الاسلامي أسوأ المصير في
حكم الاستعمار من الظلم والعسف والسجن والنفي والتشريد
والتقتيل ، وانفق ثروات البلاد على جيشه وعلى المشرين الذين
يحاربون الاسلام ، ويحسنون للمسلمين اعتناق المسيحية .

ولما تم الاستيلاء على الجزائر ، فتحت فرنسا باب الهجرة من
جميع أقطار أوربا ليستوطن الغريبيون هذا الوطن ، وكانت تساعد
كل من يأتي اليه من الجاليات الأوربية بكل وسيلة ممكنة من المال
وغيره كنزع الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة من أيدي السكان
المسلمين ، واعطائها الى المهاجرين ، فجمعت بذلك ذل الاستعباد

وذل الفقر عليهم ، فضح الجزائريون من هذه الحالة ، فاصبحوا غرباء في بلادهم محرومين من خيراتها ، بحيث طردوا الى قمم الجبال أو الى الصحارى القاحلة ، وكانت فرنسا ترمى من وراء هذه السياسة تحطيم كل أمل للمسلمين .

ومن بعد ما ملك الأوربيون المهاجرون الأراضي الصالحة ، أصبح المسلمون مسخرين للعمل فيها بأجر زهيد جدا لا يضمن ولا يغنى من جوع .

وبعد ما استقر الاستعمار في هذه الأوطان بدأ يحطم الدين الاسلامى فأسقط حكمه الذى كان يحكم بين العباد ، واستبدله بقوانينه ، ومنع علومه من أن تدرس وجعل المساجد وشؤونها تحت يده بعد ما خرب أكثرها ، واستعمل بعضها كنائس وثكنات للجند ، وصادر الأموال المحبسة عليها الى خزائنه العامة ، وأغلق المدارس التى كانت تعلم الدين واللغة ، وأصبح يعاقب كل من يعلم هذه المواد الا برخصة وشجع ذوى الأهواء والبدع والخرافات ، لتضليل الشعوب وافساد الرأى العام ، وكون جيشا من المسلمين للدفاع عن وطنه الأسمى ، وفتح المستعمرات له ، وسن قانونا خاصا للمسلمين سماه قانون الأهالى بحيث لو تخاصم مواطن مسلم مع أوربى لا يعطى الحق للمسلم أبدا ، ولو كان صاحب حق ، ويعاقب لتجرعه ووقوفه في وجه سيده الأوربى ، واذا رأى مسلم أوربيا سائرا في الطريق ينبغى للمسلم أن يرفع كلثا يديه الى السماء والويل له ان لم يرفعهما .

أسس الاستعمار مدارس لتعليم الناشئة الاسلامية لغته وعوائده وأخلاقه ، والباعث على ذلك لا التثقيف كما يفهم من ذلك ، وانما لفهم كلامه في العمل وقضاء المصالح ولكنى يتخلقوا بأخلاقه وعوائده ولينسلخوا من الاسلام ولغته وأخلاقه وعوائده ، كما هو مشاهد في عواصم الجزائر ، أما أن يتلقوا علوما صحيحة عالية فلا سبيل الى ذلك الا أن يخلع هذا المتعلم جنسيته ودينه ، ويعتنق جنسية فرنسية ، فهذا فقط يسمح له بمتابعة التعليم العالى .

والجزائريون — تقريبا — كلهم تعلموا في مدارسهم ، فكان هذا للتعليم سببا في صدهم عن كل ما كان لهم من تراث نفيس ،

وقطع الصلة بينهم وبين ماضيهم المجيد ، وقتل الاحساس والشعور بقوميتهم الاسلامية ، وتاريخ أمتهم العظيمة ، ولو كان الاستعمار صادقا في تعليم هؤلاء الناشئة لما فرق بين الأوربيين والمسلمين في التعليم ، ولعلمهم العلوم الحية كالعلوم التجريبية بكل فروعها من كيماء و ميكانيكية وتطبيقية لأسدى معروفا لهؤلاء المتعلمين وللوطن ، لأن البلاد من بعد خروج الاستعمار منها أصبحت في حاجة شديدة الى من يتقن هذه العلوم ولم تجد من هؤلاء المثقفين من يقوم بحاجيات البلاد بعد ذهاب الأوربيين منها ، فاصبحت الحكومة تستورد الخبراء من الخارج ، فتعليم الاستعمار لأبناء المسلمين لغته كان القصد منه هو القضاء على الاسلام عن طريق التعليم الأروبي .

فثقافة هؤلاء المتفرنسين كانت في غاية الخطورة على الاسلام ، فجردوه من روحه وقيمته وأخلاقه ، وأصبحوا يناصبونه العداء ويتهمون أحكامه بأنها رجعية .

وان كان بعض الأفراد استفادوا من هذا التعليم وهم أقلية جدا ، فشذوا عن البرامج المحكمة التي ضربها الاستعمار حول الشبيبة الاسلامية في التعليم ، فهؤلاء على كل حال يحملون علما صحيحا ، وثقافة لا بأس بها وان كان غالبهم يجهل الاسلام .

هؤلاء المتعلمون هم الذين أسسوا الأحزاب الوطنية ، وكانوا في طليعة المجاهدين غيرة عن الوطن ، وهكذا أراد الاستعمار أن يقضى على كل ما كان للمسلمين من خصائص ومميزات ، لأنه يعلم علم اليقين اذا ترك لهم اسلامهم وأخلاقهم فانه لا يضمن وجوده وبقائه في أوطان المسلمين لأنهم يقظون حساسون يتدفق ماء القوة في عروقهم ونخوة الماضي تدفعهم الى أخذ الحق المسلوب ، وتحطيم الاستعباد الذي يرسفون في قيوده يحرك مشاعرهم الى الاستقلال والسيادة حتى يستردوا مجدهم التليد .

ولما كانت هذه الشعوب تحب الحرية أصبحت في أيام الاحتلال تشعر بالحرمان من الحياة الحرة الكريمة ، فكانت تنثور في كل مناسبة ، وتخوض المعارك الدامية ضد المحتل بكل ضرواة وشدة حتى أكتسبتها هذه المقاومة الباسلة التمرس بالآفات والصمود لي وجه القوة مهما كانت ، والتهيئ لمنازلتها في كل زمان ومكان

وهكذا كانت ولا زالت ، فلا الاستعمار يفنى ولا هى تستريح .
والأمة المستعمرة لا تبقى تحت الذل والعبودية الى الأبد ،
فمن السنن الالهية أن يرفع هذا ويخفض الآخر والمكس (وتلك
الأيام نداولها بين الناس) ولا سيما أمة كامة الاسلام صاحبة
العقيدة الربانية والمبادئ الصحيحة الخالدة الوارثة لرسالات
السماء الخاتمة لأنبيائه ورسله ، ولا يعزى عن البال أن الدين
لم يزل طول هذه المدة محفوظا من التحريف والتبديل مهيبا
بالمسلمين ناعيا عليهم انحرافهم عن طريقه ، ولم يزل مناره
عاليا وضوءه مشرقا (يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل الاسلام
ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط
مستقيم) (١) ولم يزل الكتاب والسنة بيعثان في نفوس المسلمين ثورة
على الشرك والبدع وعلى الجاهلية والضلالة ، وثورة على أخلاق
الجاهلية وعوائدها ، وثورة على ترف المترفين واستبداد الملوك ،
ولم يزل تأثيرهما في كل دور من أدوار التاريخ الاسلامي ، وفي
كل ناحية من نواحي العالم الاسلامي رجال يقومون بهديه على
طريق الأنبياء من الله بهم على المسلمين يحفظ بهم شرف الاسلام
وعزته ، ويعيد بهم الحياة الى هذه الأمة عندما تضعف أو تنهار ،
فهم أمثلة كاملة ، وأقيسة تامة للدين يجددون لها أمر دينها ،
وينفخون فيها روح الجهاد ويسعون لاقامة حكومة اسلامية على
منهج الخلافة الرشيدة ، وهم مصداق للحديث الشريف (لا تزل
طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتى
أمر الله) فإن الاسلام فيه من أثر الله ما يعصمه وعليه من اشراف
النبوّة ما يحفظه .

وفعلا وجد الدعاة الربانيون ، والمجددون لهذه الأمة دينها ،
وهؤلاء المجددون هم الذين أهابوا بالأمة بالرجوع الى الاسلام ،
والاعتصام بحبله المتين .

وهؤلاء الدعاة الربانيون هم ثلة من العلماء العاملين الذين
هم من بقية السلف الصالح .

واذا كان صلاح الدين وملوك المسلمين الذين كانوا معه في
ذلك الوقت حاربوا الصليبيين حتى أطردهم من البلاد ، فقد

كانت لهم حكومات قارة ، ونظام محكم وجيوش جرارة مدججين بالسلاح ، أما محاربة المسلمين للاستعمار في الوقت الحالى فليست لهم حكومات قارة ولا نظام ولا جيش ولا مال ولا سلاح ، انما حاربوا باسم الدعوة الى الجهاد في سبيل الله في أمة مبعثرة مشتة مغلوبة على أمرها لا تملك من وسائل الدفاع شيئا ، ومع هذا لبث نداء الدعوة ، ونفرت الى ميادين الجهاد عزلاء غير مبالية بما يعترض سبيلها ، وفي النهاية انتصر المسلمون وأخرجوا المعمر مطرودا من بلادهم .

هؤلاء الدعاة الربانيون هم الذين أهابوا بالأمة الى أن تتغلق بأخلاق أسلافها وتسير على مقتضى عقيدتها ، هؤلاء الأعلام هم : جمال الدين الأفغانى ، والشيخ محمد عبده والشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التى كان يرأسها الشيخ عبد الحميد بن باديس والعلامة الشيخ البشير الابراهيمى ، والفيلسوف الكبير محمد اقبال في البكستان ، والشيخ رشيد رضا ، وحسن البنا بمصر والشيخ السنوسى بليبيا ، والملك محمد الخامس في المغرب والشيخ الطاهر بن عاشور في تونس ، وزعماء الرابطة الدينية في الهند وغيرهم من الدعاة ، والمجددين كثيرون من بناء النهضة الحديثة في أنحاء الأقطار الاسلامية .

وأم النهضة الحديثة هى مصر حرسها الله — فكانت مركزا للقيادة والتوجيه للعالم الاسلامى بما حفظت عليه من تراث اسلامى أصيل ، وبما أحرزت عليه من تقدم ورقى في العلوم والمعارف ، فبفضل دعايتها توحدت الشعوب الاسلامية ودب فيها الوعي ، وباعانتها المعنوية والمادية تحررت بعض الأقطار الاسلامية من ظلم الاستعمار ، فكانت مأوى كل ثائر وموئل كل لاجئ ومستغيث كل مظلوم ، ومدافعة عن كل مغبون ، فتعرضت للخطر مرار وتكرارا من أجل تبني النهضة والدفاع عن المسلمين ، وبالتالي فلها أيادى بيضاء على النهضة الحديثة المباركة ، ولما رأى الدعاة الربانيون صولة الأجانب على الأمة المحمدية ، فسدوا عليها منافذ الحياة وأفسدوا عليها معانى الرجولة ، ونزعوا منها المثل العليا التى هى مناط الطموح ، فأصبح معظمها يعيش بلا حياة حقيقية وبدون أمل .

قاموا لاستنهاض همم هذه الأمة ، ليحركوا ما كان ساكنا منها ، فناشدوا ضمائرهما لتنبعث عقلية مشبعة بالروح الاسلامى في نفوس الأفراد والجماعات ولتبرز الحياة من داخل النفس ، فتحافظ على الكيان الاجتماعى من القلق الدائم ، واضطرابات النفوس المستمرة ونبد الخصومات والمنازعات من بين المسلمين ، والعدواة المستحكمة الحلقات بينهم ، واحلال محلها الأخوة والوئام ، والاتحاد والانسجام ليقضى على التفرق ونزعات الطوائف ، وعلى مانجم من الثقافات الأجنبية والحضارة الدخيلة المتعاقبة على أوطان المسلمين ، والمبادئ الهدامة التى غرسها الاستعمار في الأمة أيام الاحتلال ، لأن المسلمين عاشوا قرونا كثيرة وهم بعيدون عن تعاليم الاسلام وان كانوا متشبثين به دائما رغم أنف الاستعمار .

وهؤلاء الدعاة يعلمون علم اليقين أن المسلمين اذا تمسكوا بالاسلام يكونون أقوىاء ما في ذلك شك ولا ريب ، وقادرين على البناء والتشييد في جميع مجال الحياة ، أيام كان المسلمون متمسكين به كان لهم مجد يعنو لجلاله وعظمته كل مجدو قادة وأبطال فتحوا العالم غربا وشرقا ، وأعلام نبغوا في كل علم وفن ، فكانوا هداة العالم ، وكوكب عليائه ، وان أقدس تراث للمسلمين هو الدين الحنيف الذى بين طريق السعادة ، وعلم الأخلاق الفاضلة ، فعليه قام المسلمون وبه فازوا على جميع الأمم ، وعليه شايعتهم وعلى كلمته تابعتهم .

هذه النهضة التى وقعت في القرن الرابع عشر الهجرى حصلت على أيدى نخبة من علماء المسلمين ، تبلورت في حركة اصلاحية شاملة مناهضة لسياسة الاستعمار ومحركة لجمود المجتمعات الاسلامية وركودها ، هذه الحركة كانت هى السبب في تحرير المسلمين من نير الاستعباد .

كان جمال الدين الأفغانى — طيب الله ثراه — أنبع عقلية ، وأقوى شخصية في العالم الاسلامى ، وأثبت من غيره من نوابغ الشرق على مواجهة طغيان حضارة الغرب والفلسفة المادية الالحادية التى بدأت تغزو المسلمين حينئذاك فأهاب بالمسلمين الى التمسك بالدين الحنيف لينقذوا أنفسهم من التيارات الغريبة

التي تجتادهم ومن سلطان المادة الطاغية ، وله دور كبير في رفع الدين والتمسك بأوامره في نفوس المسلمين ، وكان رضى الله عنه يعتمد على القرآن في توجيه المسلمين مع بقية الأعلام الآخرين الذين أصبح جبههم والانتصار لهم شعار المثقفين الأحرار .

أراد هؤلاء الأعلام أن يصلوا حاضر هذه الأمة بماضيها المجيد الذي وضع المتكبرين الذين كانوا يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، ورفع المحرومين المضطهدين من الخضوض حتى يصبحوا سادة بعد ما كانوا عبيدا والله سبحانه وتعالى قد حقق عزمهم وسميهم وجهادهم باستقلال هذه الشعوب وطرد المعمر منها .

قال الشيخ البشير الابراهيمى في هؤلاء الدعاة : (أسسوا هذه النهضة المباركة على صخرة الحق ، وقادوا زحفها الى الغايات العليا فربوا الأجيال على هداية القرآن والهدى المحمدى وعلى التفكير الصحيح وأحيوا دوارس العلم بدروسهم الحية وغرسوا بذور الوطنية فأحيوا أمة تعاقبت عليها الأحداث والغير ، وحالفها الخنوع والذل ردحا من الزمن ، ولسانا عربيا فصيحاً أفسدته الرطانات الأجنبية وتاريخا عف الزمن عليه ومجدا أضاعه الأحفاد) .

قام العلماء الربانيون : وهم روح الأمة وقواد المللة المحمدية ينبهون المسلمين على ما أوجبه الله عليهم فأيقضوا النائمة قلوبهم عما فرض عليهم الدين ، فعلموا الجاهل وأزعجوا الجامد ، ذكروا الجميع بما أنعم الله على آبائهم ، واستلفتوهم الى ما أعد الله لهم — ولو استقاموا — وحذروهم سوء العاقبة ، ان لم يتداركوا أمرهم بالرجوع الى ما كانوا عليه أيام النبى صلى الله عليه وسلم ، وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين فأزالوا اليأس بتذكير وعد الله ، وكان وعده حقا : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصلحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا) (١) ، وكانوا يعلنون للجميع بقولهم : (ان للمقائد الراسخة آثارا تظهر في العزائم والأعمال ، وتأثيرا في الأفكار والارادات لا يمكن للمعتقدين أن

يزيحوها عن أنفسهم ماداموا معتقدين هذا الايمان في جميع شؤونهم وأطوارهم .

الايمان بالله له خواص لا تفارقه ، ونزعات لا تزايله ، وصفات جليلة لا تنفك عنه وأخلاق عادلة سامية لا تباينه ، وكانوا يلقنون الجماهير سيرة سلفهم الصالح ليقصدوا بها فيقولون (صبر المسلمون الأولون في نار الامتحان والابتلاء حتى ظهر ايمانهم ذهابا ابريرا خالصا من كل غش ، وأعد الله لهم جزاء على صبرهم نعيما مقيما ، ما أصعب ابتلاء الله ! ، وما أشد فتنته ! ، وما أذق حكمته في ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب ، ان ابتلاء الله هو تحمل الصعوبات ، وبذل الأموال والأرواح ، كل خطر فهو تهلكة يتبغى البعد عنه الا في الايمان ، فكل تهلكة فيه فهي نجاة ، وكل موت في المحامات عنه فهو بقاء ، وكل واجب في أداء حقوق الايمان فهو سعادة أبدية .

ان الفرار من محنة الله مجلبة للغزى الأبدى ، ان الفرار من صدمة جيش الضلال وان بلغت أقصى ما يتصور موجب للشقاء السرمدى ، لا سعادة الا بالدين ودون حفظه تتطاير الأعناق) .

سقنا هذه الكلام النفيس من العروة الوثقى ، اعتمد هؤلاء الأعلام في تحريك الجماهير وانهاض عزائمهم على الدين الحنيف ، فكانوا يخاطبون الأمة بالتمسك به ، والالتفات حوله ، وأن تعتصم بحبله المتين ، ففيه الشفاء العاجل لأمراضها الاجتماعية وعللها المزمنة الفاسدة ، ولا شيء ينقذها من هذه الحالة التعمس ، والهوة السحيقة التي سقطت فيها الا الاسلام ، فهو وحده يوجد بين أجزائها وطوائفها ، ويكون فيها التعاون الصادق لتنهض من كبوتها وتخرج من غفلتها وجمودها ، وتتناسى الأضغان والأحقاد حتى ترمى عن كاهلها مخلفات القرون المظلمة قبل أن تتحطم وتنقرض من الوجود لا قدر الله . تابع هؤلاء الدعاة الربانيون دعوتهم بقولهم (الأمة الاسمية لا يسوغ لها أن ترضخ للذل والعبودية ، وترضى بالاهانة والظلم ، وتنقاعس عن اعلان شأنها وبناء مجدها واسترجاع سيادتها ، ولها ملك عظيم على وجه الأرض ، ورحمة الله مفتحة لها وما عليها سوى أن تلجها ، وروح الله نافعة لها فما عليها الا أن تستنشقها ، والفرص

المواتية لها دائما تمد اليها يدها تتطلب انهاضها فأى موجب لليأس ؟ ولماذا هذا القنوط ؟ وبين أيديها كتاب الله الناطق بأن اليأس من أوصاف الضالين ، وهى من بقية الرجال ، وخلف الأبطال معاذ الله — أن ينقطع أمل الزمان فيها ، والاسلام متمكن من قلوبها ، وسلطان القرآن متحكم فيها ، فمن أصابه نصيب من حمده فهو محمود ، ومن أصيب بسهم من مقتته فهو ممقوت) راجت هذه الدعوة المباركة في أوساط العالم الاسلامى فاستيقظ على صيحاتها الداوية من غفلته وسباته ، فكانوا يتلقون هذا الكلام الربانى بكل شوق ولهفة ، يرهفون أسماعهم اليه ويتدارسونه فيما بينهم حتى وعنه القلوب ، وصادف من النفوس هوى ، فاستجاب الناس الى صوت الحق الداعى الى الجهاد في سبيل الله فرجع الناس الى الدين الحقيقى ، ونبذوا عنهم الدين التقليدى الخرافى فصاروا يمثلون لأوامره القيمة ، وأقبلوا على تأسيس المدارس الحرة لتعليم أبنائهم اللغة العربية والدين لأنهما متلازمان ، وهما الرابطان بين المسلمين ، وموحدانهم — في جميع أهدافهم وغاياتهم والمحافظان على تراثهم المجيد وتاريخهم الجليل .

أنشئت في أنحاء الأقطار الاسلامية جرائد ومجلات تدعو الناس الى الاسلام والعمل به والاعتصام بحبله المتين ، فكانت تنشر تعاليم الدين ، وترشد وتوجه وتعظ ، وتنشر المحاضرات العلمية المتنوعة في شتى الميادين ، والبحوث التاريخية ودروس التفسير وشرح الأحاديث النبوية وبيان الحكمة واستخراج الأحكام منها على صفحات المجلات ليطلع المسلمون على ما كان لهم من كنوز قيمة .

وأعلنت الجمعيات الاسلامية التى تأسست في أنحاء الوطن حربا شعواء على الجمود والتخلف والانحطاط الخلقى والمادى والخرافات التى ألصقت بالدين زورا وبهتانا حتى حجبت الدين الصحيح عن الأمة بواسطة الجرائد الحرة ، وكانت منبرا لصوت الحرية والمرأة التى تنعكس عليها أعمال المجتمع .

ولما فطن المسلمون الى حالتهم التى هم فيها فوجدوا أنفسهم مجردين من جميع الحريات وأنهم يتخبطون في ذل كبير وظلم

عظيم يقاسون منه جميع الولايات ، فتكون منهم زعماء ووطنيون قادرين على مجابهة الاستعمار ومنازاته في كل ميدان ، فبدأوا يفرسون المبادئ الوطنية الصحيحة في نفوس الجماهير ، فكان تعاون صادق مع جميع الهيئات والأحزاب الوطنية .

فبهذه الدعوة الربانية ، والأحزاب السياسية التي كانت سببا في وحدة الأمة ويقظتها ، وبهذا الاحساس والشعور بالمسؤولية أصبحت تتجاوب مع بعضها بعضا وتتقارب فيما بينها شيئا فشيئا حتى صارت تتألم بألم واحد ، وتحس بشعور واحد ، والاستعمار لا يخشى من أية قوة كانت الا من قوة الدين هي التي وحدها تهدد وجوده في هذه الأوطان .

امتلاعت نفوس المصلحين والشباب بشعور ديني فياض ، وحماس متقد ، فبعث فيهم الحمية والأنفة والغيرة على ما أصاب أمتهم من المهانة والمذلة فعزموا على بعثها من جديد لتتبوأ مكانتها الاثقة بها بين الأمم ، وآلوا على أنفسهم أن ينقذوها مما تردت فيه ، ولوطارت نفوسهم في سبيلها شعاعا ، واعتمدوا في الوصول الى أهدافهم على العقيدة الاسلامية التي لا زالت تجيش بها هذه الشعوب ، والمواهب الكامنة فيها .

عزم المسلمون على أخذ حقههم الطبيعي والشرعي مهما كان الثمن ، فأخذوا يجدون في الروابط والتضامن ، لأن الحياة ليست في السياسة وحدها ، ولا في الكلام والحماس الخاليين من كل معنى ، بل في التكاتف وربط العلاقات فيما بين الأمة على أساس المحبة الخالصة والثقة المتبادلة ظهرت الروابط بين المسلمين في هذه النهضة سليمة لم تتأثر بملايسات الحوادث والزمن ، كانت هذه الشعوب تدرك الهوة العميقة والمهالك الشديدة التي بينها وبين تحقيق آمالها ، والعوارض التي تعترض سبيلها في الوصول الى أهدافها ، فتسلحت بالصبر والشجاعة والثبات ، وكانت شاعرة بالتضحية الجسيمة ، والجهد الكبير الذي تبذله الا أنها واثقة من النصر الذي ستحرز عليه في نهاية المطاف .

ولما فشلت جميع المحاولات في التفاهم مع الاستعمار صممت الشعوب الاسلامية على الجهاد في سبيل تحرير أوطانها ، والمسلم

إذا أخلصت نيته لله ووجد النظام فإنه صعب المراس شديد
الوطء لا ينال على ضيم ، ولا يستكين للذل ، بل يسعى جاهدا
لينال الشهادة في سبيل الله ، ولا يخشى العدو ، بل يخاف الله على
ماصدر منه من التقصير في حقه ، طموح للمعالي شريف النفس
محب للحرية يبذل في سبيلها كل ما يملك .

عزمت الشعوب الاسلامية على أن تجعل حدا لطفيان المعمر
وسيطرته ونبذت الخضوع والخنوع ، ورفضت كل رأى سقيم لا
ينفع ، أو فكر لا يفيد .

تقدمت الطليعة الواعية من الأمة الى ميادين الكفاح في خطة
محكمة من النظام وأعلنتها ثورة دامية عارمة على الظلم
والاستبداد والطفانيان والجبروت ، وهاهى الهزات تجتاح أوطان
المسلمين الواحدة تلو الأخرى ، فما تكاد تهدأ في وطن الا
وتشغل في وطن آخر حتى تحرر المسلمون .

مضى المسلمون في هذه الثورة المباركة ينشدون تطهير
بلادهم من الاستعمار النجس عن طريق الكفاح المسلح ، وكانوا
لا يملكون الحرية ، ولا الوسائل التى تتكافأ مع حيوييتهم غير
أنهم استعملوا في هذه الحرب أساليب المقاومة المنظمة التى لا
يستطيع العدو أن يقضى عليها ، فأخذوا يحطمون معالم
الاستعمار ومنشأته العمرانية التى شاهدها في هذه البلاد ،
وأساطين الاستعمار والغلاة منهم ، وكل من التف حولهم من
الخونة تحطيمًا تامًا باذلين في ذلك الدماء الزكية والأرواح
الطاهرة والمهج في سبيل تحرير بلادهم من الاستبداد والسيطرة ،
فكانوا كالعناصر الطبيعية ينفجرون في كل مكان ، والآيات
القرآنية التى كان يرتلها الخطباء عليهم تنزل على قلوب
المجاهدين بردا وسلاما ، والاستشهاد كان يحدوهم في سبيل الله
وشعارهم (الله أكبر) .

تخلص معظم العالم الاسلامى من حكم الاستعمار ، وقذف
به وراء البحار ، وجاءت ثورة الجزائر الكبرى ، فكانت في زحفها
الشديد تحرق وتخرّب صروح الظلم ، ولا تبالي بما أمامها من
قوة وجند يعد بمآت الآلاف ، ولا بالأسلحة العصرية المتطورة

المختلفة الأنواع والأحجام والأشكال ، فكل هذا لم يستطيع أن
يوقف زحف الثورة نحو غاياتها وأهدافها المرسومة لها ، فشقت
طريقها من بين قوة الظلم والاستبداد حتى وصلت الى النصر
فتحررت هذه الشعوب وأصبحت حرة طليقة .



تقلص ظل الاستعمار الثقيل من بلدان المسلمين

استمرت ثورة العالم الاسلامى المباركة في زحفها الشديد امدا طويلا ، وسرى ، ليهيبها في الشرق والغرب ، وشاركت فيها جميع طبقات الشعب ، فبرهنت للاستعمار على انه ليس عضوا من جسم ، وليس هو كما يزعم مركز الدائرة بل هو كغيره نقطة من محيطها ، ويفضل اتحاد المسلمين والتفافهم حول الدين الحنيف أكسبهم النصر المبين .

هذا الاستقلال الذى أحرز عليه المسلمون في هذه النهضة المباركة ما هو الا ثمرة من ثمرة جهادهم المتواصل ، ونتيجة أعمالهم المخلصة ، وهذا هو الفرق الهائل بين الماضى القريب واليوم ، وبين الاتحاد والفرقة ، والنظام والفوضى .

هذه الثورة ثورة القرن الرابع عشر الهجرى جعلت حدا لسيطرة الاستعمار على المسلمين وأبرزتهم للوجود على شجيتهم الأصلية كما كان آجداهم الميامين في الماضى ، فبرزت العقيدة الاسلامية قوية مؤثرة لا كما كان يظن الاستعمار وبطانته من ملاحظة المسلمين أنها تلاشت وذهبت ولم يعد لها مفعول ولا تأثير .

ضرب الشباب المسلم وفي مقدمته الشباب الجزائري أروع الأمثلة النادرة في البطولة والثبات ، وفي التضحية والفداء مما أدهش الخصوم والأصدقاء على السواء .

لولا الدين لما حالف هذه الشعوب النجاح ، لأنها كانت تحارب بدون حكومة ولا قيادة قارة ، ولا نظام ثابت ، ومع هذا ظلت واقفة في وجه الغزاة المتكالبين عليها من كل ناحية ، لاريب أن الاسلام هو القوة الربانية الباقية في هذا الكوكب ، وهو خلاصة الأديان السماوية ، والمؤمنون به هم الذين يكتب لهم الخلود والنصر ، لأنهم حاملوا رسالة السماء والمبلغون عن الله ، هم الأمناء على هذا الوجود ، لأن تعاليم الأنبياء لم تخرج من

أيديهم ، ولهذا جعلهم الله شهداء على الناس قال تعالى : (وكذلك جعلنكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (١)، والله لن يتخلى عنهم أبدا لأنهم أكرم عباده في هذه الأرض ، ولن يتركهم وحدهم لهذا الضريم المتأجج والبغى السافر والاحقاد الكافر .

ظهرت روابط الدين بين المسلمين في هذه النهضة المباركة قوية ومتينة ، كما كانت أيام عزها وجدها ، لم تتأثر بملاسة الحوادث والزمن ، وأواصر الأخوة التي شادها الإسلام وقررها القرآن ، ودعمها نبي الإسلام ، كانت محكمة الحلقات لم تستطيع يد الشيطان أن تفرقها لأن يد الله جمعتها (وما جمعه يد الله لا تفرقه يد الشيطان) والاستعمار عجز عن حلها وفصلها .

انتصرت الشعوب الإسلامية — في هذه النهضة — على أعدائها بعد ما ثارت ثورات كثيرة ولم يحالفها النصر فيها ، ولو لا هذه الثورة الأخيرة لانسلخت عن الإسلام ولكنها برهنت على أنها لا زالت متمسكة به ، ومسيطرة على نفسها ، ومهيمنة على احساسها وشعورها ، ولهذا لم ينجح الاستعمار في هذا الاحتلال ولم يستطيع أن يكسب عطف المسلمين ولا نال رضاهم ، بل ظلوا رغم احتلال بلدانهم ورغم الحكم الجائر والقوانين الاستثنائية ، والمكائد الملية متشبثين بالإسلام ، وحسب المسلمين من هذه النهضة أنهم قضوا على ما غرسه الاستعمار فيهم من الخوف والجمود ، ونزعوا ما بذره فيهم من بذور الاختلاف والشقاق ، والتخاذل فحطموا القيود والأغلال التي قيدهم بها طيلة القرون الماضية ورموا عن كواهلهم مخلفات القرون المظلمة التي كانت تتحكم فيهم ، وتثبط في عزائمهم ، ونفضوا عن كواهلهم غبار الدل الذي غشيه في هذه العصور المتأخرة حتى ظن الغربيون أن هذه الشعوب لم تعد تتأثر بالإسلام كما كان أسلافهم في الماضي .

أصبحت هذه الشعوب تدير شؤونها بنفسها وتوجه سياستها كما تريد ، وهى سائرة بخطوات ثابتة في سبيل عزها ومجدها ، وبناء مستقبلها ، واحتلت مكانتها المرموقة من بين دول العالم ،

فأصبحت مركز الثقل في المجتمع الدولي ، عزيزة الجانب يخطب
ودها الدول الكبرى ، وتنظر اليها بعين الاعتبار والاحلال .

أصبحت متحررة من كل قيد الا قيد التقليد الأهمى للغرب
الذى أصبح فاشيا ، وطاقيا على الشبيبة والقادة ، وهو ما غرسه
الاستعمار فيهم من ثقافة بتراء ، وأخلاق فاسدة ولهذا لم يكونوا على
جانب كبير من الوعي الاسلامى .

وصل المسلمون الى هذه المكانة يوم بدأوا يرجعون الى الاسلام
ويعملون متحدين ومتساندين ، فبهذا السلوك المحمود تحققت
النهضة الأخيرة التى شقت طريقها الى الأمام ، ولا تزال ان شاء الله
سائرة الى أن تتحقق الدولة الكبرى ألا وهى الخلافة الشرعية التى هى
حلم كل مسلم فعندئذ تؤدى هذه الأمة — رسالتها التى اختصت
بها الى جميع الناس ، فتعيد الحرية والمساواة والعدل والحق من
جديد بين الأمم التى تتخبط في الفساد الذى عم العالم أجمع .



لا يزال المسلمون متدهورين رغم الحوادث التى اننا بهم

لا زال التدهور ملازما للمسلمين حتى من بعد الاستقلال ، لقد زال الاستعمار بموجته الطاغية من أقطار العالم الاسلامى غير أنه ترك سمومه تفتك بالمسلمين من بعده فتكا شنيعا ولما تم النصر لهذه الأوطان ، وخرج الأوربيون مطرودين . حمد المسلمون الله على هذه النعمة الكبرى والمنة العظمى ، وأصبحوا متشوقين ومتطلعين الى الحكم الذى يعيد اليهم شخصيتهم الفذة ، وقوانين الاسلام العادلة التى طالما ناضل المسلمون من أجلها في القديم والحديث ، وبذلوا كل جهد في سبيل اعادتها الى الحياة فكانوا ينتظرون بفارغ الصبر وكامل الاشتاق متى يعلن دستور البلاد الذى ينبع من صميم العقيدة الاسلامية .

ولكن ويا للأسف ! ، ما كاد المسلمون يذوقون طعم الاستقلال والحرية ، حتى برزت الأمراض الاجتماعية الفتاكة والتيارات الالحادية ، والتفكك الخلقي ، والاباحة الماجنة التى كانت سببا في سقوطهم في الماضى ، فبدأت تعمل عملها من بعد الاستقلال — بصفة طاغية عاتية تهدد باستئصال الاسلام ، وكل ما للبلاد من قيم روحية ، وأخلاق شريفة ، وعوائد وطباع نقية فاضلة ، فكادت المخلفات الاستعمارية تقضى على مقومتهم الأساسية وعلى شخصيتهم الأصيلة .

بدأت المجتمعات الاسلامية — من بعد الاستقلال — تمارس شؤون حياتها على نظام أجنبى بحث غير ملتقطة لنظام الاسلام الذى هو عنصر أصيل في حياتها والذى حافظ على شخصيتها عبر القرون والأجيال ، وكان سببا في انتصارها على أعدائها مهما كانوا وفي أى زمن كانوا .

جاء هذا الانحراف الشنيع عن الدين من الثقافة الغربية التى تشبع بأفكارها قادة المسلمين الحاليين ولذا فهم يطبقون قوانين أوربا وعوائدها على المجتمعات الاسلامية وكل من يدعو الى الاسلام يتهمونه بالرجعية والجمود والتخلف .

ان هؤلاء المثقفين بثقافة الغرب لمخطئون في نظريتهم هذه ، وأنهم يجهلون الاسلام رغم انتسابهم اليه ، ولم يعتبروا بالماضى المائل في الأذهان ولم يدروا أن هذه العوامل تهدم الاسلام ولا تبنى ، وترمى المقومات الاسلامية والخصائص العربية بفارقة تقسم الظهر . الواجب على قادة المسلمين أن يحافظوا على التراث الاسلامى والتعليم الدينى الذى هو وسيلة الى التثقيف ، والتثقيف أشرف مقاصد الأمة الرشيدة ، والحكومة الرشيدة فإنها تلمس المعرفة على تثقيف شعوبها من كل من تستطيعه من جماعات وأفراد ، وتبذل لهم من التنشيط والتسيير ما يحقق ذلك .

فقد كان قبل الاستعمار وفي ابانه ملاجئى دينيه يهجر المسلمون اليها في طلب العلم النافع والعمل الصالح يتجشمون الأسفار والأخطار لتزكية النفس ، وتهذيب الخلق ، والتوصل الى معالم الرشد ، والاستعداد للأخرة ، فترى في كل قطر اسلامى ملاجئى روحية يأوى اليها أهل الطلب من سائر الأفاق مثلاً كالزويا في بلادنا ومعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس الذى أسسته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والجامع الأخضر كان الطلبة يأتون اليه من أنحاء الوطن ، وكالزيتونه في تونس ، والقروين في المغرب والجامع الأزهر في مصر ، فيتخط الناس الدنيا ومناصبها العالية ، ويلجئون الى المحيطات الهادية الروحية ، وينكبون على اصلاح بواطنهم وسل حظ الشيطان منها حتى ترى رقة في القلوب وانقيادا للحق وخضوعا للشرع فيأتون من كل صقع ليدخلوا في الخير أفواجا .

كان الناس يدعون الى الدين واصلاح النفوس وتزكيتهما وهم تذكر لسلفهم الصالح في زهدهم في الدنيا ، والاقبال من الآخرة ، والاخلاص واتباع السنة .

والمسلمون يمدون الاتصال بهؤلاء والتمسك بأدابهم حقاً من حقوق الدين وواجبا من واجباته وكان بعض الأغنياء والأمراء وأرباب الدنيا لهم اهتمام زائد بحسن الخاتمة وأمور الآخرة ، واصلاح القلب وعمارة الباطن ، فاصبح صلاح الدنيا الذى يترتب عليه صلاح الآخرة أشبه شئء بالتهاب السراج قبل الانطفاء ، فقد ذوى أصل الشجرة الدينية ، وانقطعت عنها مادة

الحياة وهب عليها اعصار شديد فيه نار محرقة . سرى الشك وسوء الظن في الأوساط الاسلامية ، والبيوت العريقة في الدين والعلم ، ففضلوا تعاليم الغرب على تعاليم القرآن ، لأن الايمان بالله وبصفاته وبمواعيده قد ضعف من القلوب ، فأصبح الأباء يضمنون بأولادهم على الدين ولا يخاطرون بأوقاتهم في سبيل الدين وعلوم الدين ، وأصبحوا يعلمونهم العلوم المعاشية واللغات الافرنجية لا رغبة في تحصيل المنافع ولا دفاعا عن الاسلام ، بل زهدا في الدين ، وفرارا من خطر المستقبل ، وخوفا على أفلاد أكبادهم من الضياع ، واستسلاما للدهر المتقلب ، وتسلبت عليهم خوف الفقر ، وهكذا انقرضت المعاهد الدينية ، ولفظ هذا المهد الروحي أنفاسه الأخيرة وأتى عهد المادة ، وأصبحت الدنيا سوقا ليس فيها الا البيع والشراء ، روى أن شاعرة جاهلية هي : كبشة بنت معد يكرب عاتبت أخاها عمرو بن معد يكرب وعيرته بميله الى قبول دية أخيه المقتول فقالت :

ودع عنك عمرا ، ان عمرا مسالم * وهل بطن عمرو شبر لمطعم
تصورت هذه المرأة الجاهلية أن بطن الانسان لا يتجاوز شبرا ، فكيف لورات معدة انسان قرن العشرين تضخم وكبرت حتى وصفت الأرض ، وتجاوزت فأصبحت لا يملؤها الا الخراب .

نعم تضخم الحرص على الدنيا ، وتولد في الناس غليل لا يروى ، أوار لا يشفى ، تسلبت على الناس الحرص والجشع ، وأصبح الانسان نهما يلتهم الدنيا !لتهاما ، والسبب في ذلك أنه لا يؤمن بالآخرة وكل انسان متمدن اليوم — الا من عصمه الله بالايمان — يرى هذا الرأي ، ويذهب هذا المذهب في الحياة ، وكانت الرابطة بين الصغير والكبير في المجتمع الاسلامي مؤسسة على تعاليم الشرع (من لا يرحم الصغير ويوقر الكبير فليس منا) حديث شريف ، ومن الغريب أن المسلمين قد أصبحوا في هذا الزمن في كثير من نواحي الأرض حتى في مراكز الاسلام وعواصمه حلفاء للجاهلية الأوربية وجنودا متطوعين لها ، بل صار بعض الشعوب والدول الاسلامية يرى في الأوربيين ناصرين للمسلمين حامين لدمام الاسلام المستضعف حاملين لراية العدل في العالم قوامين بالقسط .

ورضى عامة المسلمين بأن يكونوا ساقية عسكر الجاهلية بدل أن يكونوا قادة الجيش الاسلامى . ان هذه الأمة التى تدعى الاسلام غالبها قد افلس افلاسا شائنا في الدين والأخلاق وقد أشربت في قلبها حب المال وتسلط عليها سلطان الأثرة والجشع ، احتلت أوربا قلوب المسلمين وأصابهم انحطاط في الأخلاق والعقيدة ، كانت هى سبب انهيار الدول الاسلامية ، ولكن مع ذلك لم يزل المجتمع الاسلامى على علته محتفظا ببعض المبادئ الخلقية السامية والخصائص الاجتماعية الفاضلة التى لا يوجد لها مثل في الأمم .

ورغم كل ما أصيب به المسلمون من علة وضعف فانهم هم الأمة الوحيدة على وجه الأرض التى تمد خصما للأمم الأوربية وغريماتها ومنافستها في قيادة الأمم ومزاحمتها في وضع العالم ، والتى يعزم عليها دينها أن تراقب ، سير العالم ، وتحاسب الأمم على أخلاقها وأعمالها ونزعتها ، وأن تقودها الى الفضيلة والتقوى ، الى السعادة والفلاح في الدنيا والآخرة ، وتحول بينها وبين جهنم بما استطاعت من القوى ، والتى يحرم عليها دينها وتأبى فطرتها أن تتحول الى أمة جاهلية .

هذه الأمة ربما في يوم من الأيام تكون خطرا على النظام الأوربى الذى بسطه في الشرق والغرب لأن شرارة الكفاح والحياة والطموح لا زالت كامنة في رمادها ، ولا يزال فيها رجال تتجاني جنوبهم عن المضاجع ، وتسيل دموعهم على خدودهم سحرا ، لا يخفى على الخير المتفرس أن الاسلام هو فتنة الغد أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجورا ، وأنها فتنت بالمال وشغفت بحبه وادخاره كغيرها من الأمم ، وأنا خبير أن ليل الاسلام داج مكفر وأن علماء الاسلام ليس لديهم تلك اليد البيضاء التى تشرق لها الظلمات ، ويضىء لها العالم ، ولكنى أعلم — ان شاء الله — أن قوارع هذا العصر وهزاته ستقضى مضجعها وتوقف هذه الأمة وتوجهها الى شريعة محمد صلى الله عليه وسلم حامية الدمار حارسة الذمم والاعراض دين الكرامة والشرف دين لأمانة والمغاف ، دين المرأة والبطولة ، دين الكفاح والجهاد يمحو كل أثر من أثر الانسان ، لا يفرق بين ملك

ومملوك ، ولا يؤثر سلطانا على صعلوك لا ينهض العالم الاسلامى الا برسالته التى وكلها اليه مؤسسه صلى الله عليه وسلم ، والايمان بها والاستقامة على سبيلها ، وهى رسالة قوية لم يعرف العالم رسالة أعدل منها ، ، ولا أفضل ولا أيمن للبشرية منها .

وهى نفس الرسالة التى حملها المسلمون في فتوحاتهم الى العالم ، والتى لخصها أحد رسلهم في مجلس يزد جرد ملك ايران بقوله (الله ابثعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الاديان الى عدل الاسلام) رسالة لا تحتاج الى تغير كلمة وزيادة حرف ، فرسالة العالم الاسلامى هى الدعوة الى الله ورسوله ، والايمان باليوم الآخر ، وجائزته الخروج من الظلمات الى النور ، ومن عبادة الناس الى عبادة الله وحده ولونهض العالم الاسلامى واختضن هذه الرسالة بكل اخلاص وحماس وعزيمة ودان بها فانها بدون شك ستنقذ العالم من الانهيار والانحلال ، فالاسلام هو قوة العالم العربى ، ومحمد صلى الله عليه وسلم روح العالم العربى وامامه وقائده ، والايمان هو قومية العالم العربى التى حارب بها العالم البشرى كله فانتصر عليه ، وهو قوته وسلاحه اليوم كما كان بالأمس يقهر اعداءه ويحفظ كيانه ويؤدى رسالته ، ان العالم العربى لا يستطيع أن يحارب الصهيونية أو الشيوعية ، أو عدوا آخر بالمال ، وانما يحاربه بالايمان والقوة المعنوية ، وبالروح التى حارب بها الدولة الرومية والامبراطورية الفارسية في ساعة واحدة ، يستطيع المسلمون اذا حكموا الاسلام فيما بينهم أن ينفذوا أنفسهم من التبعية ويحولوا العالم من الشر الى الخير ، ومن النار والدمار الى الهدى والسلام ، لقد حول المسلمون في الماضى العالم الكبير الى اعتناق العقيدة الاسلامية والايمان العميق بها ، والصلة الروحية القوية ، وكان أوسع عالم عرفه التاريخ ، انصهرت فيه الثقافات المختلفة ، فتكونت منها ثقافة واحدة هى الثقافة الاسلامية التى لم تزل تظهر في نوابغ المسلمين الذين لا يحصيهم عدد ، واستحق المسلمون قيادة العالم عن جذارة واستقاق . فكانت أشرف قيادة وأعظمها في التاريخ ،

وقد أكرم الله بها العرب لما أخلصوا لهذه الدعوة الاسلامية وتفانوا في سبيلها .

وبقيت هذه القيادة الكاملة مدة طويلة والناس لا يفكرون في الثورة عليها وفي التخلص منها ، كما هي عادة الفاتحين مع الأمم المغلوبة على أمرها في كل عهد لأن صلتهم بهذه القيادة ليست صلة المفتوح بالفاتح ، أو المحكوم بالحاكم انما هي صلة المتدين بالمتدين ، وصلة المؤمن بالمؤمن ، فلا مجال للثورة ، ولا مجال لتكران الجميل هذه هي القيادة التي هيأتها البعثة المحمدية ، وهي القيادة التي يجب أن يحرص عليها العرب أشد الحرص ، ويعضوا عليها بالنواجذ ، ويسموا اليها بكل ما أوتوا من قوة ومواهب ، ويتواصى بها الأباء والأبناء ، ولا يجوز لهم في شريعة العقل والدين والغيرة - أن يتخلوا عنها في زمن من الأزمان .

ان الطريق الى هذه القيادة ممهد ميسور الى العرب ، وهي طريق الاسلام والاخلاص الى الدعوة الاسلامية واحتضانها والتفانى في سبيلها ، فبهذه القيادة تخضع لهم الأمم الاسلامية في أنحاء العالم ، وندخل أمم جديدة في الاسلام أمم فتينة في مواهبها وقواها أمم تستطيع أن تعارض أوربا في مدينتها وعلومها اذا أوجدت ايمانا جديدا أو دينا جديدا (1) .

(1) أبو الحسن الندوي

تقليد المسلمين للغرب هو الذى صدهم عن تعاليم الاسلام السمحاء

بعد ما خرج الاستعمار من اوطان المسلمين بدأت الشعوب العربية تنفر من كل ما ينتمى الى الاسلام من عقيدة متينة وأخلاق فاضلة وعوائد حسنة التى هى مادتهم الوحيدة قبل الاحتلال ، وحفظت لهم كيانهم من الانهيار كأمة ذات حضارة عريقة وسيادة في الماضى في وقت الاحتلال ، وارتموا من أول وهلة من — بعد الاستقلال — في أحضان الغرب ، لالشيء الا أنه متقدم في العلوم والتكنولوجيا ، وهم متخلفون ، ولكن ما شأن التعكر للأخلاق والقيم الروحية ، والاباحة المطلقة ، وعدم التقيد بأوامر الاسلام ، والتحلل من جميع نواهيه ، كان المسلمين لم يكن لهم شرع عادل ، ولا أفكار نيرة ، ولا سيادة في الماضى كانت مضرب الأمثال ، ولا عقيدة راسخة هيمنت على الشرق والغرب ، ولا مناهج في الحياة مستقيمة ، ولا تاريخ حافل بجلال الأعمال .

لكن الموجهين لهذه الشعوب أكثرهم لا علاقة لهم بالدين ، ولا تجاوب بينهم وبين تعاليمه ، ولذا تركوا الناشئة لقمة سائفة لبعض المفرضين الذين لا هم لهم الا عزل الشباب عن دينهم وتعاليمه وأخلاقه .

وها نحن نشاهد الحكومات الاسلامية تجلب القوانين الوضعية من الدول الكافرة والملحدة وتطبقها على المسلمين ، وتركت القوانين الاسلامية العادلة وتستورد من هذه الدول التى لا تؤمن بدين العوائد الفاسدة والأخلاق الساقطة السافلة عن طريق الأفلام ، والجرائد والمجلات والكتب ، والتعليم ووسائل أخرى لتسمم الناشئة ، وتغرس فيها الرذائل لتصدها عن دين الله ، لا زال العالم الاسلامى في مد وجزر كما كان قبل سقوطه بين براثن الاستعمار رغم النهضة الأخيرة التى أصهرته بحوادثها المؤلمة ، وأخرجته منها ابريزا خالصا بعد ما تجرع مرارة السيطرة والحكم الأجنبى عدة قرون .

وها نحن نشاهد أن للعرب صورة واحدة من وقائع كثيرة من عصور الظلام والانحطاط التي سقطت فيها الأمة العربية من عليائها ، فتغلبت عليهم الأمراض الفتاكة التي تفتك بالمجتمعات كحب الرئاسة ، والأناية الفردية الطاغية ، والاستبداد في الآراء والحكم وتقديم المصلحة الخاصة على غيرها بيدولى أن هذه الخصال المذمومة التي تهدم ولا تبني ، وتفرق ولا تجمع أصبحت فاشية في الحكومات العربية ، ولا يقضى عليها إلا الدين الحنيف ، ولكن هؤلاء الحكام لا يستجيبون له ، فهذه الأعراض عن الاسلام أصبحت تقليدا ثابتا في نفوس حكام المسلمين مع أنهم ينتسبون اليه ، ويدعون المقدرة على تطبيقه وتنفيذه .

بدأ الشباب المسلم — من بعد الاستقلال يتنكر للدين ، ويطعن فيه جهارا وأصبح يشكك الناس في شخصيته الرسول الأعظم صلوات الله عليه وسلامه ويقول : أن التمسك بالاسلام رجعى ، والحفاظ على أحكامه وأخلاقه وأدابه تأخر وهمجية وأطلق هذا الشباب الملحد العنان لشهواته الجامحة التي لا تعرف الحدود ولا القيود ، فأباح جميع المحرمات التي تغرى النفوس ، وتقذف في الأفواه ، وصار لا غيرة له على محارمه يفعل كما تفعل المجتمعات الاباحية ، وتحلل من كل ما يأمر به الدين الحنيف ، وصار يسبح في المتناقضات ، ويخبط في متاهات لا أدارى أين يسير ؟ أيسير الى الشرق أم الى الغرب ؟ الا أنه لا يسير الى الاسلام ، وهذه التناقضات جاءت من مخلفات الاستعمار التي تركها من ورائه ، وأصبح يفتدى فيها من وراء البحار بواسطة الاذاعات والجرائد والمجلات والكتب ، الاستعمار لا يعتمد على الغزو العسكرى فحسب ، بل يعتمد على وسائل أخرى هي أعظم وأشد خطرا من القوات العسكرية كالاقتصاد والثقافة ، واثارة الفتن وبث الشكوك في المعتقدات ، ولكن المسلمين وولاة الأمور تركوا هذه الأمراض المزمنة تفتك بالناس فتكا شنيعا ، ولم يعالجوها بقوانين الاسلام التي فيها الشفاء العاجل من بعد الاستقلال ، بل عالجوها بقوانين الاستعمار نفسه ، ولهذا نشجعت الشبيبة على التمرد على الدين واعتنقت الكفر والالحاد ،

وأصبحت لا تتميز عن المجتمعات الالحادية في الرذائل والأخلاق السافلة .

والحكومات الاسلامية هي التي تتحمل مسؤولية هذا الفساد الذى كاد يقضى على ما كان للمسلمين من مقومات وأخلاق وآداب .

ترك الشباب الذى ينتمى الى الاسلام الدين الحنيف ، وبدأوا يسمون علما ويهبطون روحيا وأخلاقيا ، قد قطعوا الصلة بينهم وبين الله ، وبينهم وبين الايمان به عز وجل ، وما دامت هذه المقاطعة للدين سارية المفعول فليس لهذا الشباب من اصلاح ، لأنه أصبح آلة فساد وتحطيم ، فيحطم كل ما شاده المجاهدون الأبرار بعزائهم لأنه يعيش في فوضى جاهلية جهلاء (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (1) .

ومن المدهش حقا أن الجامعات الاسلامية لا تدرس الاقتصاد الاسلامى فيها ، والمسلمون لا يعترفون بقدرته على حل مشاكل الناس ورعايته الشؤون الاجتماعية .

الاقتصاد الاسلامى لا صلة له بالحركة السياسية ، بل هو في مصلحة الجميع فيضمن القضاء على الرباء وعلى الفوضى التى تنتهى بالناس الى الحرب ، وهذا ما يقوله عز وجل : (يا أيها الدين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الرباء ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله وان تيتم فلکم رؤس أموالکم لا تظلمون ولا تظلمون) (2) .

الحرب القائمة اليوم بين الدول الكبرى هي التى تهدد الناس بالهلاك والدمار نتيجة النظام الربوى .

فالاقتصاد العالمى هو الذى يسير سياسة الحكم ، ويحرك الجماهير ويأتى بالحرب .

أما نظام الاسلام في الاقتصاد فهو خالق السلام بين النظم الاقتصادية العالمية الرأسمالية والشيوعية .

(1) سورة الانعام

(2) سورة البقرة

كيف يتحد المسلمون وعلى من يتحدون ؟ أيتحدون على المبادئ
الراسمالية أم على المبادئ الشيوعية ؟ أم على الاسلام ؟ فالمسلمون
لا يتحاكمون الى الاسلام وان كانوا معترفين به كدين رسمي
للدولة .



هل يجعل المسلمون حدا لهذه التدهورات الخطيرة أم تستمر الى مالا نهاية لها ؟

بحث العقلاء والمفكرون من هذه الأمة قديما وحديثا في هذه التدهورات الخطيرة المستمرة ، فلم يجدوا لها علاجا ناجما الا بالرجوع الى الاسلام وترك الجرى وراء القوانين المستوردة من الخارج ، والكف عن تطبيقها والتشبث بها ، الاسلام هو الذى يحقق لهذه الأمة ما تصبو اليه من آمال وحرية وسيادة هذا هو الحل الوحيد اذا اراد المسلمون .

لقد زال الاستعمار بموجته الطاغية من بلدان المسلمين ، وذلك بفضل الله ثم بفضل الاتحاد والكفاح المسلح الذى خاضه العالم الاسلامى حتى أخرجه منها لكنه ترك من ورائه مخلفاته ، تعيث في هذه الأوطان فسادا ...

كان من الواجب على الشعوب الاسلامية أن تطبق أحكام الاسلام — من بعد الاستقلال — مباشرة لتحل محل قوانين الاستعمار الجائرة التى لا تمت بأى صلة الى طبيعة المسلمين ، بعد ما زال حكمه ، والاسلام هو مبدؤهم الأول والأخير ، وأنه يحمل أعدل القوانين وأسامها الى الانسانية جمعاء ، كما هو الواقع ، وكما يعتقد جميع المسلمين ، حتى المنصفون من علماء الغرب وغيرهم ، يتمنون لحكامهم أن يسوسوا رعاياهم على مقتضاه .

فبدون الاسلام لا يستطيع المسلمون أن يكونوا أمة قوية أبدا تصمد أمام أعدائها الذين يتربصون بها الدوائر ، ولا يكونون وحدة متماسكة متينة تغمرها السعادة والكرامة ، وما فائدة الانتساب اليه بدون العمل به ؟

يجب على المسلمين أن يشرعوا في بناء الدولة الكبرى التى توفر لها من الامكانيات والصلاحيات في هذه الظروف ما لم يتوفر لها في غيرها ، فبهذا وحده فقط يقضون على التدهورات الخطيرة التى أصابت المسلمين في الماضى والحاضر ، وبهذا يكونون قد

اعتبروا بما وقع لهم على أيدي أعدائهم من الذل والاستعباد وبهذا أيضا يضمنون وجودهم كأمة لها رسالة سماوية أمرت بتبليغها إلى الناس كافة .

لو سار المسلمون على نهج الكتاب الكريم ، وخطة الرسول الأعظم صلوات الله وسلامه عليه ، وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده لكانت دولتهم أثبت رسوخا وأضمن دواما ، وأكثر انتشارا واتساعا ، ولأكلت من فوقها^(١) . ومن تحت أرجلها من أعدائها ... الاسلام الذى ارتضاه الله لعباده هو دين ودولة ، وحكم وشريعة ، ومنهج ورسالة ، ومن لم يحكم بما أنزل الله ، فقد برئ من الايمان ، ومزق الاسلام ، وحطم الشريعة الفراء تحطيما كاملا ، وعصى الله ورسوله ، وأطفا نورا ربانيا .

ان الحكومة القائمة بأمر الله ، المنفذة لأحكامه وشرائعه ، الحاملة لرسالته ، المدافعة عن دينه ، والداعية الى طاعة الله وتقواه ، هى عنوان الاسلام وهى ظله فى أرضه ، وبها يقيم الله الحجة على عباده ولا يرضى عن سواها ، ولا وزن لما جاء به من العبادات ، والعدل والاحسان ، اذا لم تقم هذه الحكومة بين المسلمين ، فالله سبحانه وتعالى لم يرسل رسوله الأعظم محمدا صلى الله عليه وسلم عبثا ، بل أرسله ليبلغ الناس دين الحق ، وبالنظام الشامل للحياة كلها حتى يكون الانسان جديرا بالاصطفاء ، والتفضيل على كثير من مخلوقاته ، لأنه نفخ فيه من روحه ، وجعله خليفة له ، وأسجد له ملائكته وسخر له الكون . (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) .

لقد شهد المسلمون — فى العصور المتأخرة — نهضات اسلامية على أيدي أناس مصلحين ولكنها لم تدم طويلا ، وفشلت جميع النهضات فى العالم الاسلامى ولم تحقق الأهداف المنشودة منها ، لأنها لم تكن متماسكة ينقصها الشمول فاذا كانت هذه النهضة

سياسية تهمل العبادات والأخلاق الفاضلة ولا تتمسك بالاسلام ،
واذا كانت دينية تزهد في المادة ، وتهمل علوم الطبيعة التي
تكون سببا في تقويتها وارتقائها . واذا كانت علمانية تحيل
الاسلام الى فلسفة وجدل ، ومن بعد تحيل العقيدة الى شبهات .

الاسلام ليس تصوفا ولا عبادة ولا أحكاما فحسب أنه دين
هذه الأشياء جميعا ، فلکم هدى ضالا ، والآن قلبا قاسيا ، وعلم
جاهلا ، ونبه غافلا ، وأصلح فاسدا ، وجمع متفرقا ، ورأب
متصدعا ، وأصلح مختلا ، ومحا ظلما ، وأقام عدلا ومكن للأمم
التي اعتنقته نظاما امتازت به عن سواها ، فالدين كمال وزينة
للشخص ، ونظام للملك ، وأظهر الله به النعمة على المسلمين في
سلوكهم وأخلاقهم فله الحمد .

الاسلام مهماز يحث المسلمين على جلائل الأعمال وفضائلها ،
ومصباح لبصائرهم يرشدهم الى طريق الصواب ، وتقويم
لأفكارهم يعصمهم من الزيغ والزلل ، ورحمة يعطف بها قلوب
بعضهم على بعض ، واحسان للبؤساء والمحرومين . ان الشعوب
الاسلامية لم تفسد الا عند ما فسدت عقيدتها الدينية في النفوس
وأهملت أحكامها القيمة .

الدين ليس قانونا مدينا فيه الضار والنافع ، وليس نتيجة
لافكار البشر وأرائهم فيه الخطأ والصواب ، بل هو شريعة فرضها
الله يوم فرض الايمان ليعمل بها عباده .

أفبعد هذا يعجب العاقل من حكم الاسلام وسيادته ؟ وآسفاه
لقد حسر المسلمون الكثير من الدين ، ولبسوه كما يلبس الفرو
مقلوبا كما قال سيدنا علي عليه السلام .

هذا ما أصاب المسلمين في عقولهم وأفكارهم وعزائمهم ،
ففضلوا الشر على الخير والأدنى على الأعلى ، فسلط الله عليهم من
يسلبهم نعمته التي أنعم الله بها عليهم ، لانهم لم يقوموا بشكرها ،
وابتلاهم بأحققر الأمم وحثالة الناس يلصقون بدينهم كل عيب .

الاسلام يقرر أن السلطة العامة تكون بيدى الأمة ، فلا ميراث
في الحكم كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم ، فانه لم يعين خليفة

من بعده أبدا ، ولا أخذ أحد الحكم بالقوة من خلفائه الراشدين ، كما هو الحال في المسلمين اليوم .

الاسلام يأمر بالشورى بين جماعة المسلمين ، ويعتبرها هي الحرية الحقيقية ، ولذا يوليها عناية كبرى قال تعالى : (وأمرهم شورى بينهم)^(١) وقال لنبيه الكريم (وشاورهم في الأمر)^(٢) ، وهي قاعدة عامة في الاسلام يجب أن يطبقها المسلمون في جميع شؤونهم العامة ، وهي ضد الدكتاتورية المستبدة التي طوحت بالمسلمين قرونا عديدة ، حتى أصبحت حجر عثرة في سيرهم ، فيها يصل المسلمون الى حكمة الرأي وصوابه ، لأن الجماعة الملتزمة بالاسلام عندما تتشاور تكون في جانب الصواب ، وبهذا يتضح أن الصواب في جانب الرأي الجماعي ، وخاصة أهل الحل والعقد ، والخطأ كل الخطأ بجانب الرأي الفردي أيا كان موقعه وسلطته .

أما كيف تتحقق ؟ وما هي الوسيلة الى ذلك ؟ فهذا أمر تركه الاسلام الى جماعة المسلمين وإلى التطورات الزمانية .

الرئاسة العامة هي حق الأمة لها أن تعزل الحاكم اذا رأت فيه اعوجاجا أو خالف دستور الاسلام ، لأنها هي التي أوصلته الى السلطة ، وما هو الا وكيل عنها أو نائب عليها ، فهو يستمد سلطته منها ويعتمد على تقنها . يجب على الحاكم المسلم أن يضع نصب عينيه العقيدة الاسلامية ، فيحافظ عليها ، فان زاغ مبتدع ، أو الحد فاسق ، أو سعى مفاكرون بالفساد في الأرض أو طعن فيها ، أو عطل أحكامها وتشريعاتها يقوم القانون في الحال لحمايتها وصيانة النظام العام فيها ، ليكون الدين محروسا من التعدي عليه ومحترما في أعين الناس ، والأمة محفوظة من الزلل ، فبهذا تصان محارم الله من الانتهاك ، وتحفظ حقوق المباد من الضياع والتلف .

يجب على المسلمين أن يخرجوا من نطاق الكلمات الجوفاء والتصريحات الرعناء والعصبية الجاهلية ، والدعوات المرتجلة الى ساحة التنظيم والاعداد .

(١) سورة الشورى

(٢) سورة آل عمران

يجب أن تركز نهضتهم الحالية على بعث عقلى يقوم باكتشاف الاسلام من جديد ليستضاءوا بمصدرية الكتاب والسنة ، وأن يشارك أرباب الثقافة وحملة الأقلام ، وذووا الفكر النير من أهل المعرفة والعلم في هذا البعث ليكونوا دستوراً اسلامياً للحكم أساسه الشورى ، فعلى العلماء المصلحين أن يقوموا بواجب النصيح ، والجهر بكلمة الحق ، وعلى الحاكمين أن يستجيبوا لهذه النصيحة وأن يعملوا بها ويتقبلوها لأنها في صالح الجميع .

المسلمون اليوم على اختلاف مذاهبهم يريدون أن يجعلوا حداً لهذه الأمراض الاجتماعية الخطيرة من التدهورات المستمرة ، والخلافات التى كانت سبباً في هدم الوحدة ، ولا يكون هذا الا بدستور اسلامى هو الذى يجمع المسلمين ويوحد صفوفهم .

اننا ننبه حكام المسلمين أن الأهداف التى ينشدونها لا تأتى الا عن طريق الاسلام البعيد عن روح التعصب ، ولا يحصل الازدهار لهذه الشعوب الا اذا كانت شؤونها مبنية على عقيدة اسلامية ، لأنها تلائم بين المادة والروح وبين العقل والعاطفة ، وبين الجديد والقديم .

يجب على الحكومات الاسلامية أن تسهل كل ما له صفة التدين بين المسلمين حتى يشعروا بشعور واحد ، ويحسوا باحساس واحد ، ويفكروا بتفكير واحد لأنهم يريدون أن يبرزوا الى الوجود كمجتمع دينى بجميع خصائصه ومميزاته ويريدون الانطلاق من واقع الظروف القاسية التى مرت عليهم من القرون المتأخرة من حياتهم الى آفاقهم الاولى من انبثاق تاريخهم المجيد ...

ان التقاليد والأنماط التى سارت عليها الطبقة الحاكمة قبل النهضة الأخيرة لا زالت موجودة الى الآن ، والمسلمون لا يريدون هذه الآفاق المكررة لأنها نتيجة التعصب والركود والجُمود .

الثورة هى تحول من نظام قديم فاسد الى نظام جديد صالح هذا التحول حصل بالفعل لكنه كان في الشكل والصور لا في المعانى والحقائق التى يتطلبها المسلمون ، ومادام الوضع الحالى يتنافى مع الاسلام وتعاليمه وروحه وحضارته لا بد أن تسود هذه

الاجتماعات والاضطرابات الخطيرة ، فتصبح غير قارة ، واذا لم تستقر على أوطاع الاسلام فلن يستطيع المسلمون أن يؤدوا رسالتهم في هذا الوجود كاملة .

قادة المسلمين يعرفون الأمراض التي كانت سببا في سقوط المسلمين ، وانحطاطهم وتخلفهم والتيارات التي هبت عليهم حتى أودت بحياتهم . الواجب يحتم عليهم أن يتجنبوا كل الأخطاء التي وقعت للمسلمين في الماضي حتى استعبدوا ... الشعوب الاسلامية لها امكانيات وطاقات هائلة ان أحسن القادة الاشراف عليها ، ووجهوها نحو دينها ، فانها بدون شك ستصبح قوة فعالة في هذا الوجود ، ترجح كفة السلم في العالم .

يا حكام المسلمين ها هي أمتكم قد تحررت شرقا وغربا والطريق أمامكم قد تمهد وأمتكم قد تعودت السمع والطاعة لكم وهي تلبى ندائكم في السراء والضراء ، وتمثل لأوامركم في الشدة والرخاء ، فان استقمتم فاتها - بدون شك - ستستقيم لا خوف عليكم منها ما دمتم سائرين على منهج الاسلام ، وأنها لا تخشى الا انحرافكم عن الدين الحنيف فان انحرقتم فلا تستطيعون أن تملكوأزامها ، وهذه هي الثغرة الوحيدة التي يدخل منها العدو الى صفوفكم ، فقودوها الى مجسدها التليد ، وعزها الطريف . واذا أردتم أن تبقى هذه الأمة متماسكة متحدة جنبوها الأفكار الدخلية ، والقوانين المستوردة التي تروج في بلدان المسلمين ، وتطبق عليهم كقوانين شرعية أصيلة حتى تغيرت معالم شخصيتنا ، وأصبحنا لا نميز بين المسلم وغيره .

فاذا كان حكام المسلمين يحترمون كفاح الأمة فلا بد لهم أن يحترموا كلمتها واذا كانوا يحتاجون اليها فلا بد أن يتقبلوا مشورتها ونقدها وما دامت الأمة تحمل العبأولا وأخيرا، فليس من حق الحاكم أن ينفرد دونها باتخاذ قرارات هامة ، وليس من حقه أن يتجاهل كلمتها بأن تقول (لا ، أو نعم) فالحق فوق الجميع . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق الحاكم : (من مات غاشيا لرعيته لم يرح رائحة الجنة) واذا كنا نؤمن بالاسلام كدين من عند الله ونحترمه يجب أن نؤمن به ايمانا كاملا ، ولقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشبه الاسلام بالعرى فقال : (لتنقض

عرى الاسلام عروة عروة فأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة) ما نحن نشاهد مصداق هذا الحديث الشريف ، المسلمون اليوم لا يتعاملون بالاسلام فيما بينهم ، ولا يتحاكمون الى كتاب الله وسنة رسوله لقد انفصل ما بينهم وبين الاسلام من عهد وميثاق ، وبعد ما بينهم وبينه من روابط وصلاة فاستبدلوا بقوانين وضعية أجنبية تهدر الكرامة وتفتل الضمير حتى شاعت الفاحشة في الذين آمنوا .

يقول محمد اقبال الفيلسوف المسلم في المؤتمر الاسلامي الذي عقد في القدس سنة 1338هـ - ان الاسلام مهدد بخطرین مصدرهما الغرب أولهما الاتحاد وثانيا الاستعمار ، ومستقبل العرب رهن بوحدتهم فاذا تمت الوحدة العربية علا شأن المسلمين في كل أنحاء الأرض ، والعرب يحاولون الوحدة الآن خارجة عن نطاق الاسلام ، وأنهم لا يتوصلون الى الوحدة الحقيقية التي تنتظرها الشعوب الاسلامية منهم .

المجتمع الصالح يجتمع فيه صنفان من الناس السراة والهداة ، فالسراة هم الأمراء المخلصون الصالحون ، والهداة هم العلماء الربانيون الذين يعرفون الحق ويصرخون به دون أن يخافوا في الله لومة لائم . كما قال الشاعر الحكيم :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جهالهم سلدوا قيادة الجاهلين تكون عندما ينعدم العلماء المتفقهون الناصحون قد يوجد الحاكم المقتدر ولكنه محتاج الى مذكر ومبصر ، فاذا وجد بجانبه العالم الناصح المخلص كمل أمر هذا الحاكم كما قال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه عندما تولى الخلافة فقال : (أيها الناس من أطاع الله وجبت طاعته ، ومن عصى الله فلا طاعة له أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فاذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم) هذا الكلام في غاية الصواب والمدل ، وصاحبه يشعر بمسؤولية كبرى ملقاة على عاتقه ، ولهذا فهو يطلب من الأمة أن تعينه اذا استقام في حكمه واذا حاد عن الحق فلا طاعة له .

يا حبذا لو يقتدى أمراء المسلمين بهذا الخليفة العادل الذي رد الأمن والطمأنينة الى النفوس في زمن قصير جدا .

يجب على حكام المسلمين الا يقلدوا الغرب في فصل الدين عن الدولة والا يقولوا ان الاسلام لا يحقق نهضتنا في التقدم العلمى التكنولوجى كما يقول الملاحدة الا اذا اعتنقنا مبادئ الغرب العلمانية ، ونبذنا مبادئ الاسلام الرجعية هذا هو الخطا الذى وقع فيه حكام المسلمين من بعد الاستقلال فقلدوا الغرب في كل شىء ، في الحكم والشعارات والتعليم ، فأصبحوا يعلمون في مدارسهم اللغات الحية كما يسمونها ، وتركوا التعليم الاسلامى ، واللغة العربية فيها فأصبحت بلدان المسلمين قطعة من أوربا ، ما ترى في دوائر الحكومة ومصالحها المتعددة المتنوعة وفي الشوارع والبيوت الا الرطانات الأجنبية لأنهم جعلوها رسمية وتركوا لغة البلاد ، وكذلك التقاليد والموائد الأوربية فاذا مشيت في شوارع المدن الكبرى تحس كأنك في أوربا لا في بلدة اسلامية لأنك لم تعثر على أى شىء من شعائر الاسلام . فنشأت الشبيبة على حب التقاليد الأجنبية والتخلق بأخلاقهم وحب لغتهم وبفض اللغة الوطنية فأصبحت تحارب الاسلام جهارا وعلى مسمع ومرأى من الحكومة التى هو دينها الرسمى ، والاستهتار بالأخلاق الفاضلة والقيم الانسانية ، وصارت تنفر من كل ما ينتمى الى الوطن من عوائد وأخلاق ، وتكره الشخصية الوطنية لأنها تسممت بهذا التعليم الأبتى .

وهناك بعض الدول معاصرين ليسوا من الغربيين ، ولا اعتنقوا جنسيتهم وقد توصلوا الى الصناعات الحديثة كما وصلت أوربا بدون أن يتسبدلوا عقائدهم ولا لغتهم كالليبان والصين الشعبية .

كذلك المسلمون يجب عليهم أن يأخذوا العلوم التكنولوجية والأساليب الفنية والاختراعات العلمية والنظم الحديثة فتضيفها الى ما لنا من مقومات أساسية . هذه العلوم أخذها الغربيون عن المسلمين في الماضى فكانت نواة لنهضتهم الحديثة ، ونحن الآن — بدورنا — أن نأخذها منهم ونمربها ونضيفها الى العلوم الاسلامية كما تفعل سائر الأمم .

وإذا فصلوا بين الدين — الذى هو عبادة فقط — وبين العلم ، فالاسلام دين العلم أول كلمة نزلت من كتابه كانت (اقرأ) ، لم تكن (قاتل) ، ولا (اجمع المال) ، ولا (ازهد في الدنيا) . (اقرأ) هذه أول كلمة أنزلت من القرآن وجاء بعدها ذكر العلم . من الله على الانسان بالعلم ، لا بما أعطاه من مال ولا من قوة ولا جاه ، بل علمه ما لم يعلم .

وكل علم يحتاج اليه مجتمع اسلامي ، يكون فرض كفاية على القادرين عليه فهل في الوجود دين — الا الاسلام — يجعل تعلم الكيمياء والطب والطيران ، من الفروض الدينية ؟

الاسلام دين القوة ، ولكن بلا ظلم . الاسلام للدنيا والآخرة (ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) (١) وهو يريد للمسلمين أن يصدقوا في ايمانهم بالله وأن يتبعوا الشرع ، وأن يكونوا مع هذا أرقى الأمم وأقوى الأمم ، وأعلم الأمم وأغنى الأمم ، ليجمعوا حسنة الدنيا وحسنة الآخرة .

أليس القرآن فيه الشفاء من جميع الأمراض الاجتماعية ؟ أليس في أحكامه العدل والمساواة بين الناس ؟ ألم يأت بقوانين عادلة ما حرمت من الأشياء الا ما فيه مضرة وفساد ، وحثت على كل ما فيه مصلحة ومنفعة ؟ ألم يجعل الناس أحرارا في معاملاتهم وتصرفاتهم في ممتلكاتهم ما داموا في دائرة الحق والعدل ؟ .

الشرعية الاسلامية وافية بحاجيات الناس ، فوضعت القوانين العادلة لو طبقت لكانت كفيلة بحل جميع المشاكل ، فمبادئها صالحة لكل زمان وجيل ، وهى تكتب النصر والتفوق لمعتنقيها ، وتخلع عليهم رداء العزة والكرامة ، ومتى يثق الناس بهذا الدين ، وتطمئن نفوسهم اليه يصبحون سادة كراما موفورى الكرامة أقوىاء لأنه مفتاح السعادة .

لو أصلح المسلمون ما بأنفسهم واعتصموا بحبل الله جميعا كما أمروا وأصلحوا ذات بينهم لعادوا الى ما كانوا عليه من المجد والعظمة ، ولو أنهم احتكموا في خصوماتهم الى كتاب الله وسنة رسوله لما اختلفوا ولو أنهم نشروا العلم الدينى والاصلاح الحقيقى في أوطانهم لما تفرقوا قال الله تعالى : (ولله العزة ولرسوله

وللمؤمنين^(١) أيها المؤمنون أين ما وعدكم الله به من العزة أتشكون في وعد الله ؟ والله لا يخلف الوعد ، المسلم يعبد ربه بظاهره وباطنه ويجاهد في سبيل الله بسيفه وقلمه ولسانه لاعلام كلمة الله وينفق في الخير ماله ابتغاء وجه الله ، ان يعمل يعمل لله ، أو يتكلم يتكلم بالحق وان أضر نفسه فعال متفارق مصداق .

المسلمون في توادهم وتعاطفهم وتراحيمهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضوا تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كلمتهم واحدة ومهمتهم واحدة وجهادهم لله وقتالهم في سبيل الله من افتقر عانوه ومن حضر عدوه ومن غاب افتقدوه ، ومن مات شيعوه ، ومن مرض عادوه وبالدين تكون سعادة المسلمين ، ولما تفرقوا شيعا وأحزابا واختلفوا مذاهب ونحلا وتبايتوا أهواء وسبلا ، وملأوا المجالس جدالا ذهب سلطانهم ، وضعف كيانهم ، وصغر شأنهم وتداعت عليهم الأمم ، وكذلك المذاب ، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون .

اليوم الذى تغلّى فيه العالم الاسلامى عن الدين والأخلاق تغلّت عنه السعادة وتاهت به الحياة في مجال القلق ، ومتاهات الحيرة ، ومجالات الشك والاضطراب ، الفقر الحقيقى ليس هو فقر المال ولا الاوراق المالية ، وانما هو فقر الكرامة والأخلاق ، فقر الانسانية ، فقر الصفات والشمائل والمحامد والعلم .

أزمة المسلمين ليست أزمة الاقتصاد والسياسة والمال ، الأزمة في الواقع أزمة الرجال ، أزمة الضمير ، أزمة الخلق ، أزمة الدين ، أزمة الوعي والنضج والرشد ، أزمة الأخلاق أزمة العقيدة ، أزمة المثل العليا ، أزمة المبادئ والقيم والمعاني والمفاهيم ، أزمة الأمانة والواجب والنصيحة ، أزمة الضمير والايمان ، فهذه الأزمات كلها ناشئة عن عدم اهتمام المسلمين بأمور الدين وجهلهم به .

الاسلام جاء ليجمع القلب الى القلب ، ويضم الصف الى الصف ، جاء ليكون مجتمعا راقيا من عوامل الفرقة والضعف المعنوى والمادى وأسباب الفشل والهزيمة ، حتى يصل الى المقاصد السامية والأهداف النبيلة التى جاءت بها رسالة سيدنا

محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من عبادة الله واعلاء كلمته ، وإقامة الحق ، ونشر العدل وفعل الخير والجهاد من أجل استقرار مبادئ الاسلام التى يعيش الناس فى ظلها آمينين مطمئنين .

جام الاسلام ليربط المسلمين برابط الأخوة التى لا تنفصم عراها ، فتزول أمامها جميع الفوارق من نسب ومال وجاء الى غير ذلك مما درج عليه الناس من المميزات (انما المؤمنون اخوة فأصلحوا بين اخويكم)^(١) هذا الاخاء يستلزم تبعيات وحقوقا ، فليس هو اخاء عقيما لا ثمرة له . أوجب الاسلام على المسلمين أن يحترموا بعضهم بعضا ، وأن يحافظ كل فرد على كرامة أخيه من أن يعيبه ، أو يحط من قدره أو يظلم فى شخصيته ، أو يلقيه بقلب يكرهه ، فهذه السيئات تقطع الصلة وتمزق روابط المودة ، وتنتشر العدواة فى النفوس . أمر الاسلام المسلمين بالتواضع فيما بينهم ، وخفض الجناح ، ولين الجانب ، فالمسلم لا يتكبر ولا يختال ولا يزهو بنفسه . قال تعالى فى حق المتكبرين (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق ، وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيل الرشدا لا يتخذوه سبيلا ، وان يروا سبيل الفى يتخذوه سبيلا)^(٢) وقد جاء فى الحديث الشريف : (ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يبغى أحد على أحد ، ولا يفخر أحد على أحد) .

الاسلام يأمر بتعاون المسلمين فيما بينهم حتى يتحدوا لتقوى جماعتهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (يا بنى اذا أصبحت وأمسيت وليس فى قلبك غش لأحد فافعل فان ذلك من سنتى ، ومن أحيا سنتى فقد أحبنى ، ومن أحبنى كان معى فى الجنة) .

وقال عليه الصلاة والسلام : (من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) .

هذا الحديث الشريف ينبه المسلمين من غفلتهم ويحثهم على أن يقوموا بواجبهم نحو بعضهم بعضا ، فكل واحد منا عليه واجبات وحقوق ومسؤوليات نحو المجتمع .

(١) سورة المجرات

(٢) سورة الاعراف

فإصلاح المجتمع متوقف على إصلاح الفرد ، فإن كان الفرد شاعرا بواجباته الكثيرة نحو ربه الذى خلقه وأعزق عليه من نعمه الكثيرة التى لا تعد ولا تحصى وخافه في السر والعلن ، واستحضر عظمته في ضميره وخشيته في قلبه فيصبح هذا الفرد لا يتعدى ما أمر الله به ولا يتجاوز ما نهاه عنه حينئذ يسير في طريق الصواب الذى لا اعوجاج فيه ، فيصير انسانا كاملا يؤدي رسالته التى خلق من أجلها . ان المتهاونين فيما كلفوا به من تطبيق الاسلام مكذبون ، ولهم الويل في الدنيا ، والندامة والحزى في الآخرة ، فهل يليق بنا معاشر المسلمين أن نقطع الصلة بيننا وبين تعاليم الاسلام ، أو نحصرها في طائفة معينة؟ أم ننتظرها ديا غير محمد صلى الله عليه وسلم ؟ استولت علينا الأهواء فأنستنا ما أوجب علينا الايمان . أو طبعت النفوس على الشر فضلت سواء السبيل ، عجباً يأمرنا ربنا بالتعاون على البر والتقوى ، ونحن نتعاون على الإثم والعدوان .

كان المجتمع الاسلامى فيما مضى تنظره شعوب الدنيا بعينى الاجلال والاكبار فما لنا ونحن لم نكن كما كنا من قبل ، لأننا غيرنا ما بأنفسنا ، فغير الله ما بناء .

يجب على المسلمين أن يحاربوا الشهوات التى تزين لهم مخالفة الدين والعقل ويتمادوا عن الأرواح الحبيثة التى حذرهم منها القرآن كالنفس الأمارة بالسوء واتباع شياطين الانس والجن حتى يرجعوا الى طريق الصواب ، فالمسلم يجب عليه أن يلزم الاستقامة في الأقوال والأفعال ، وياخذ نفسه بالوفاء بالعهد وصدق العزيمة ، وعدم مجازاة السفهاء ، لهذا كان المسلمون كما قال الله تعالى :

(كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (١) يجب على المؤمن أن يسعى طلب العلم لأنه ، الطريق الوحيد الى معرفة الله قال تعالى : (انما يخشى الله من عباده العلماء) (٢) كلما تعمق العالم في العلم تكن خشية الله عز وجل لأنه يرى نواميس الكون من الاتقان في الصنع ، والحكمة في التدبير ما يجعل المؤمن يختر ساجدا لله ، فالذين يتخصصون في علم

(١) سورة آل عمران

(٢) سورة غافر

التشريع يرون فيه من احكام التركيب ومن اتقان الصنعة في مختلف الأجهزة الجسدية وفي مفردات هذه الاجهزة ما يضطرهم اضطرار الى السجود لرب هذا التنسيق والترتيب والابداع لو كانوا يفقهون ، وليس علم التشريع وحده هو الذى يبهر العالم المتبحر فيه ، وكذلك علم الفلك يبهر العالم الفلكى ، ويبهر علم الأحياء عالم الأحياء ، وهكذا نجد انبهار النفس في كل ميدان من ميادين المعرفة الكونية أرضها وسماؤها وما بينهما . ان العلم النافع هو أهم مطلب في هذه الحياة ، وأجل مقصد في الوجود ، فالعلماء هم الذين يضيئون مسالك الحياة ويسرون بالناس قدما الى السمو والكمال ، طلب العلم في الاسلام ليس نافلة ولا أمرا كماليا ، وانما هو فرض وضرورى .

العلم الصحيح هو دليل اليقين الثابت ، ووسيلة الخلق الفاضلة ، وكلما ازداد الانسان علما ازداد اعتقادا بالله واستقامة ومعرفة في الحلال والحرام ويصير قادرا على قيادة نفسه وضبطها وتهذيبها يقول الله سبحانه وتعالى في حق العلماء الصادقين (شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم) (١) وصل هؤلاء العلماء الربانيون الى هذه الدرجة عن طريق العلم الذى يثمر الخشية ، والى التوحيد الحقيقى ، والتوحيد هو سمة الدين الاسلامى وسمة المتدين الصادق .

يشهد علماء التوحيد مع الله ، ومع الملائكة الأطهار ان الله واحد في ملكه لا شريك له ، وهذا أسمى ما يمكن أن يصل اليه العلماء من تكريم الله لهم بحيث قرنهم مع الملائكة المقربين في شهادة التوحيد ، وشهادة التوحيد أقصى ما يمكن أن يسير اليه السالك في معراجه الى الله سبحانه وتعالى وهى لا تتحقق الا في العلماء المؤمنين العاملين ، ان شهادة التوحيد قد وجه الله اليها الأنظار بأساليب شتى ، وهذه الأساليب ما لا يقدرها في روعتها الرائعة الا العلماء العاملين قال الله سبحانه وتعالى : (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما تشركون أمن خلق السموات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق

ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها اله مع الله بل هم قوم يعدلون ، أمن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهار ، ، وجعل لها رواسي ، وجعل بين البحرين حاجزا اله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون أمن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض اله مع الله قليلا ما تذكرون^(١) الى آخر الآية الكريمة ، ثم يعقب الله على هذه الآيات بأنه مهما بلغ العلماء بعلمهم فان المجهول لديهم كثير وأنه لا يعلم هذا المجهول الا الله سبحانه (قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب الا الله وما يشعرون)^(٢) ومن أجل شهادة التوحيد حث الاسلام على العلم وجعله من أسس الدين ، العلم هو السبيل الوحيد الى بناء العقيدة الصحيحة وهو الحادى الى هداية الانسان وسعاده ، ولهذا رفع الاسلام من شأنه ونوه بمكانته ، وحث الناس على اعتشاقه وقد مثله بالنور والجهل بالظلمات قال تعالى : (أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك رين للكافرين ما كانوا يعملون)^(٣) ولقد وجه الاسلام الناس الى أخذ الأحكام عن العلماء فقال عز وجل : (فسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون)^(٤) والعلم في نظر الاسلام حق مشترك بين الناس ولهذا أمر الله سبحانه وتعالى رسوله الكريم الذى هو قدوة المسلمين وأسوتهم أن يقول : (وقل رب زدنى علما)^(٥) في كل يوم بل في كل لحظة ذلك ما يجب أن يكون شعار المسلمين واذا ما ازداد المسلم علما ازداد خشية واذا ازداد خشية تحقق فيه اسلام الوجه لله على أكمل صورة ومن يسلم وجهه لله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى والله عاقبة الأمور)^(٦) .

(١) سورة النمل

(٢) سورة النمل

(٣) سورة الانعام

(٤) سورة الانبياء

(٥) سورة طه

(٦) سورة لقمان

الاحتلال الفرنسي للجزائر

كانت الجزائر — في ابان الاحتلال وقبله — دولة مزدهرة وقوية ومنظمة في جميع الميادين ، في الداخل والخارج وكانت دول أوربا تخشى بأسها و سطوتها ، ولا سيما في البحر الأبيض المتوسط ، وتجارها الخارجية كانت تصدر الى أوربا وغيرها ، والزراعة والصناعة والثقافة كانت على أحسن ما يرام ...

قال السيد عباس فرحات في كتابه ليل الاستعمار ، ان الجيش الفرنسي استأصل مدينة عريقة في القدم ، وفكك هيئة اجتماعية لها نظام محكم القواعد حكم نظام حياتها ...

كل المؤرخين يشهدون بأن الجزائر قبل الاحتلال كانت دولة عصرية أخذة في التصاعد الحضارى ...

قال العالم الفرنسى م دوبار ادى : (ان الجزائر العاصمة تطلق على جميع القطر الجزائرى ، وكانت مقر الحكم وقاعدة الدولة ، ولم توجد في التاريخ أبى دولة أشد حرصا على مال الدولة من حكومة الجزائر) ان بيت المال كان يدار بنزاهة وأمانة لا مزيد عليهما ، ومن ناحية الادارة كانت الجزائر مقسمة الى أربعة مناطق : منطقة الجزائر العاصمة ، ثم منطقة تيتري أبى المدينة ، فمنطقة وهران ، فمنطقة قسنطينة ، وكان على رأس كل منطقة عامل يسمى الباي ...

وقال المؤرخ الفرنسى : (شارل أندرى جوليان في تاريخ شمال افريقيا كانت التجارة الخارجية في الجزائر مزدهرة ، وكانت تقدر في ذلك العهد بعشرة ملايين ذهبا ، واللغة العربية هى لغة البلاد الرسمية ، والتدريس بها منظما) وقد لاحظ الجنرال فيالار سنة 1834م أن الجزائريين يتقنون القراءة والكتابة كلهم ، في كل قرية توجد فيها معاهد ، وجامعات في العاصمة ، وقسنطينة ، ومازونة وتلمسان ، وهران ماعدا التعليم في الزوايا الكبرى وكان مزدهرا ، وكان لكل طريقة دينية عدة مدارس منتشرة في القطر .

المواد التى تدرس في هذه المعاهد لم تكن تختلف عن المواد التى كانت تدرس في باقى أنحاء العالم الاسلامى ...

أما الصناعة فكانت مزدهرة أيضا ان زرابى مدن سطيف والقرقور ، وجبل عمور وتلمسان كانت مشهورة ، وأما صناعة النحاس والفضة والذهب فكانت الأساس للصناعة الجزائرية ، وكذلك الفلاحة كانت راقية ومزدهرة ، قال الجنرال كافينياك : (كان لزمنا علينا أن نقدر الولايات حق قدرها التى جرتها الحرب على العرب الى يومنا هذا أن العربى متمسك بأرضه أشد مما تتصوره ، ملكيته منظمة أحسن مما يقال عنها ، وفي هذا الباب اننا محتاجون الى الكثير من الدروس من طرف العرب) .

بدأ الاحتلال الفرنسى للجزائر سنة 1830م ، وكان الأتراك هم الذين يحكمون البلاد ، وسبب هذا الاحتلال هى الديون المترتبة في ذمة فرنسا ، فلما طلبت الحكومة الجزائرية بتسديدها أعلنت فرنسا على هذه الحكومة حربا شعواء وهجمت جيوشها على عاصمة البلاد ، وتمركزت قواتها في ساحل البلاد ، والحكومة الجزائرية كانت لا تتوقع هذا أبدا ولما عجزت عن صد هذا الهجوم السافر ، وقع حسين داي باشا صك الاستسلام وقبل الشروط التى أملاها عليه قائد الحملة الفرنسية وغادر البلاد وذلك في شهر تموز من السنة المذكورة ، فدخلت الجيوش الفرنسية الى العاصمة فنهبت وسلبت كما هو شأنها من غير وازع ولا رادع ...

ولما استولى الغزاة الجدد على العاصمة وتمركزوا في بعض النقاط من الوطن فأول شيء بدأوا به هو القضاء التام على كل ما كان للجزائريين من اقتصاد زاهر ومدينة راقية ، وانحصر حربهم في العقيدة التى يحملها الشعب بين طياتها طيلة اقامتهم في هذا الوطن حتى طردوا منه سنة 1962م .

اختل نظام الحكم في البلاد بعد مغادرة الداي ، فاستقلت كل ناحية بنفسها وأخذت تنظم السكان للدفاع عن الوطن فسكان قسنطينة قد التفوا حول الحاج أحمد باى وحصنوا مدينتهم تحصينا محكما ، وأما سكان غرب الجزائر فقد اجتمع رؤساء

القبائل والعشائر المختلفة في مؤتمر عام بايعوا بيعة شرعية الأمير عبد القادر بن محي الدين الهاشمي ، وعاهدوه على السمع والطاعة ، وكان الأمير يومئذ في الرابعة والعشرين من عمره عالما فاضلا تقيا نقيًا شاعرا فصيحًا شجاعا باسلا بعيد النظر عميق التفكير ولد سنة 1807م وبويع بالامارة سنة 1832م فأنشأ دولة فتية قوية عاشت سبعة عشر عاما ، ولو كان يشرف على الأمة من قبل الاحتلال لما آل أمره الى الاستسلام ولما استطاع الجيش الفرنسي أن يحتل البلاد ...

يقول المؤرخ الفرنسي (أوستان برنار) عن أخلاق الأمير وصفاته ودينه وشجاعته - والفضل ما شهدت به الأعداء - قال ان الأمير عبد القادر قد حج مع والده سنة 1827م ، ولما استولى الفرنسيون على وهران قام الشريف محي الدين والده يقاتلهم ، وفي تشرين الثاني من سنة 1832م ، اجتمعت في سهل (ايغريس) ثلاث قبائل وهى : هاشم ، وبنو عامر ، وغرابية منادية بعبد القادر أميرا على البلاد ...

وقد بدأت ثورة الأمير صغيرة ولكنها مألشت أن اشتدت واتسعت بسبب ترددنا وحاجة البلاد الى حكومة تقضى على الفوضى العامة التى انتشرت في كل مكان وكنا عاجزين على القضاء عليها ...

ولقد أظهر الأمير بعد أن أسند اليه الأمر على الرغم من أنه ابن الزاويا والطرق حنكته السياسية وبراعته العسكرية كانتا فائقتين ، وكان يتمتع بصفات تدل على أنه خلق ليحكم ، كان بسيطًا في لباسه ، متواضعا في معشره أنيقا جميلا فصيحًا شجاعا فارسا ، وبالتالي فقد كان له هدوء الدبلوماسية المسلم وسكينته ولباقتة ، وكان متدينا عن اخلاص ومن صميم فؤاده ، ولم يطلب الامارة لاسباع أطماع نفسه ، بل طلبها ليقود أمته في طريق الفلاح ، كان قاسيا عند اللزوم رحيمًا عند الاقتضاء ، وكانت شدته ولبنة بحسان وتقدير ، وقليل مثله في المسلمين من كان يدرك معنى الدولة ادراكا تاما كما كان يدركها هو بكل تفصيلاتها وجزئياتها من حيث النظام والادارة ، وجباية الضرائب ، وتنظيم

الجيش ، وكان أجل وأبرز أعدائنا في الجزائر وإذا كان قد فشل في بناء إمبراطورية إسلامية واسعة ، فليس مرد ذلك كله الى مناهضتنا إياه ، بل كان السبب تفرق المسلمين عنه ، وعدم اتحادهم تحت لوائه لحرمانهم من الشعور الوطني والقومي ، وتفرقهم هذا كان له أوفى نصيب في سبب فشلة (انتهى) .

بايعت الأمة الجزائرية الأمير بن شيخ طريقة القادرية واضطلع بالمسئولية الكبرى التي أينطت به فأخذ يعد العدة اللازمة لمواجهة العدو ومنازلته ، فبدأ يجمع الأعراش والقبائل ليكون منهم جيشا منظما يدافع عن الوطن ، وكان يحث على الجهاد والصبر ، فنشرت الأمة الى ميادين القتال والمعارك واستجابت الى ندائه ودعوته ، واستطاع الأمير أن يخضع قبائل وهران وقبائل تيتري ، وقضى على جماعة التيجانية الذين كانوا يوالون الفرنسيين ونظم البلاد تنظيما اداريا ، وكان جيشه منظما ومدربا على فنون الحرب والقتال ، وعدده احدى عشر ألف جندي ما بين راجل وفارس ، وأنشأ مصنعا لصنع المدافع وآخر لصنع البارود ، وبنى حصونا وأقلعة على حدود بلاد القبائل التي كان يخشى انتفاضها ضده ، ووحد منافسين له انجازوا الى صفوف العدو رغبة منهم في التوصل الى مطامعهم الشخصية .

الشعب كان لا يعرف ما يدور في الجو السياسي لولا دعاية الأمير ، ولما علم بدخول جيش أجنبي الى ترابه ، وتمركز في السواحل ، وفي العواصم الكبرى ، وانهزام الحكومة المركزية أمام جيوش الاحتلال هب من نومه هبوب العاصفة لانقاذ بلاده من شر هؤلاء الغزاة ، انظم الى المقاومة المنظمة التي كانت تحت اشراف الأمير عبد القادر ، فاستنزف هذا الشعب كلما كان له من ثروات مادية وطاقات بشرية لم يكن الاحتلال بالأمر السهل ، ومن الغرابة أن يجرد شعب من وطنه ، ومن ثرواته المادية والروحية ويبقى مكتوفى الأيدي لا يدافع عن نفسه خصوصا اذا كان شعب أبى لا ينام على ضيم يحب الحرية والاستقلال حريصا على كرامته وشرفه كالشعب الجزائري .

امتازت مقاومة الشعب الجزائري للاستعمار الفرنسي

ببطولة نادرة احتلال الجزائر لم يكن نزهة عسكرية كما يدعى بعض الفرنسيين ، بل كان اصطداما بقبائل قوية الجانب شديدة المراس قوية الشوكة لا كما كان يظن الاستعمار أنها قبائل متأخرة ، وظن باحتلاله العاصمة أنه بذلك قد استولى على البلاد ، ولما اصطدم بالشعب في المعارك الدامية تبين له خطؤه وتقديره ، واقتضاه الأمر من بعد ذلك على أن يدفع ثمن الاحتلال باهضا ، لأن مسلمى الجزائر كانوا لا يسلمون في شبر من أراضيهم الا اذا سالت فيه دماء غزيرة من الجانبين ، فكانت خسارة في الأنفس والأموال كبيرة جدا ، فالاستعمار ضحى من ناحيته مالا يقل عن أربعين ألف جندي ، وأنفق أموالا طائلة على هذه الحرب القذرة ...

الشعب الجزائري مسلم ما في ذلك لبس ولا غموض ، ورغم الحكم المحلي فانه مكون من سلسلة مترابطة قوامها المروبة والاسلام ولكن ينقصه الوعي .

كانت الشعوب الاسلامية حينذاك متخاذلة فيما بينها بسبب فقد الروح الاسلامية ، والظروف كانت تعمل لصالح الاستعمار ، والفرص مواتية له ، فاضطر الأمير الى دخول المغرب العربي ، وقد سمح له بذلك السلطان عبد الرحيم بادى الأمر بالاتجاه الى بلاده ، فطلب الفرنسيون من السلطان تنفيذ شروط المعاهدة التى عقدوها معه اثر معركة (ايزلى) وهى التى انتصر فيها الفرنسيون على المغاربة ، وتنص هذه المعاهدة بأن السلطان يحجز الأمير في احدى المدن الساحلية اذا ما وقعت يده عليه ، ولكن السلطان لم تصل يده الى الأمير قط بل كان يناحز الفرنسيين على الحدود الجزائرية المغربية وكان فريق من الجزائريين يحمل بين طياته الخيانة لأتمته والغدر بمواطنيه . انحاز هذا الفريق الكبير الى صفوف العدو ، وأصبح يقاتل معه ، فكان سببا في جلب الكوارث والنكبات والويلات التى حلت بهذا الوطن ، فخذلت هذه القبائل الخائنة الأمير وجيشه الذى كان يدافع عن الوطن والاسلام ، فأصبح مشردا ومطاردا من كل ناحية لا يستقر في مكان ، فرأى أنه لا مفر من الاستسلام الى

الجيش الفرنسي بعد ما قبل جميع شروطه ، فأمر الأمير اتباعه بالاستسلام قبله ، واشترط أن يسمح له بالذهاب الى الاسكندرية أو الى عكا . فرضى الفرنسيون بذلك .

هكذا قدم الأمير نفسه الى عدوه ، وكان ذلك في شهر كانون الأول سنة 1847م على يد الجنرال لاموريسير ، وقدم اليه سيفه وخاتمه كرمز للاستسلام ولما استسلم حيته حامية فرنسية التحية العسكرية .

استسلم الأمير عبد القادر لعدوه بعد ما قضى سبعة عشر عاما في الكفاح والجهاد ، استسلم نتيجة تخاذل المسلمين الذين لم يبق لهم من الاسلام الا اسمه .



فضائع الاستعمار الفرنسي ابان الاحتلال

لما عجز الفرنسيون عن مقاومة الجزائريين عن طريق الحرب المشروعة لجأوا الى أعمال العنف الوحشية البربرية باحراق القرى والدواوير ، والقتك بالأبرياء والضعفاء مثل النساء والعجزة من الرجال والأطفال ، تعرض الجزائريون للإبادة والتخريب العام من هذه الأعمال الاجرامية ، وقاسى الأمير في هذه الحروب ، وجميع سكان القطر مصائب كثيرة وأهوالا عظيمة ، ولم تكن معاملة الغزاة للأسرى المستسلمين بأفضل من المحاربين ، فكانوا يقتلون الأسرى ويصلبونهم قال : (شارل أندري جوليان في كتابه تاريخ شمال افريقيا انهم - يشير بذلك الى ساسة فرنسا وجنيرالنها في الجزائر - لم يحرقوا البلاد خفية ، كما قتلوا أعداءهم جهارا بلا شفقة ولا رحمة لا يمنعهم من ذلك لا رادع ولا وازع كانوا بالعكس يفتخرون بضرواتهم ووحشيتهم فقدوا كلهم من أديم واحد من الملكيين الى الجمهوريين الى أشياع نابليون فبمجرد نزلهم بأرض الجزائر ، تعتريهم حمى النهب والقتل ، والتخريب ، كان هذا هو الطريق المؤدى الى نشر البلاغات الحربية الطنانة ، الى المجد العسكرى ، والى تسلق مدارج الرقى ، وكانوا كلهم في الضرواة سواء من روفيقوا الى ترزيل الى غيرهم ، فكلهم في هذه الفضائح سواء لا فرق بينهم . اننا اذا نظرنا الى طبيعة الاستعمار فنجدها طبيعة واحدة لم تتغير أبدا فالأساليب الوحشية التى استعملها في احتلاله من القتل الجماعى والتعذيب والنكيل ، والحرق والتخريب هى نفس الأسلوب الذى استعمله في ثورة 1954م فالشعب الجزائرى كان معرضا للإبادة من بداية الاحتلال الى نهايته ، كان هذا الغزو مدفوعا بعنصرية بغيضة وروح صليبية) .

ورغم هذا الاحتلال وسيطرة الاستعمار على الوطن سيطرة تامة كانت بعض القبائل تشن الهجمات العنيفة عليه في الفينة بعد الفينة بخلاف الثورات الجهوية التى لم تتركه يتمتع

بالاستقرار ، ولم يفتأ الشعب يطالب بحقه في الحرية والاستقلال الى بداية الثورة الكبرى سنة 1954م .

وبعد ما انتهت المقاومة المنظمة ، وتمكن الاستعمار من احتلال الوطن ، أخذ يثبت دعائمه ، ويفرض حكمه الاستبدادي على المسلمين ، وكان يحارب في عوائدهم وتقاليدهم ، وأول شيء بدأ به هو الاطاحة بنظام الاسلام فأسقط حكمه الذي كان قائما في هذه البلاد ومنع علومه من التدريس ، وأغلق المدارس والمعاهد ، وحطم الجامعات ، وجعل المساجد تحت اشرافه مباشرة بعد ما خرب أكثرها ، ورجع بعضها كنائس وثكنات للجند ، وضم اليه الدور وجميع الأشياء المحبسة على الأيتام والفقراء والمساكين ، وأصبح هو المالك الشرعى لها والمتصرف فيها ، وقضى على كل ما كان للمسلمين من نفوذ وسيادة في بلادهم ، ومنع اللغة العربية من التدريس وأصبح يعدها لغة أجنبية ويعاقب كل من يعلمها بالسجن والغرامة المالية ، وكون من المسلمين جيشا قويا للدفاع عن وطنه ، ولفتح المستعمرات له في العالم وفي تموز سنة 1834م قرر البرلمان الفرنسى اعتبار الجزائر أرضا فرنسية ، وأهلها مواطنون فرنسيون ففتحت فرنسا أبواب الهجرة الى الجزائر من جميع أقطار أوروبا وكانت تساعد كل من يأتى اليها من الجاليات الغريبة بكل وسيلة ممكنة من المال وغيره ، وكان كلما يأتى فوج من المهاجرين الى الجزائر الا وانتزعت الأراضي الصالحة للزراعة من بين أيدي السكان المسلمين ودفعتها الى هؤلاء المهاجرين الوافدين على هذا الوطن من كل حدب وصوب فجمعت على المسلمين بذلك ذل الاستعباد وذل الفقر والجهل حتى ضج الجزائريون من هذه الحالة لأنهم أصبحوا غرباء في بلادهم محرومين من خيراتهم .

قال السيد عباس فرحات انتصار الاستعمار الذى تغلب بعده وعدته هو حكم على الجزائري بأنه أصبح آلة يستخدمها العدو للازدهار ورفاهيته ، أوصد في وجهه أبواب العمل وحتى أبواب الأمل ، فجرده حتى من شخصيته في نظر القانون الاستعماري ، ولم يبق الجزائري جزائريا دون أن يعود من جهة أخرى فرنسيا ، فأصبح هو والعدم سيان لا جنسية له ولا وطن ،

فصار غريبا وحيدا طريدا شريدا لا دار تأويه ولا قانون يحميه
لا في بلاده ولا في فرنسا ولا في أيى بلاد من بلاد الله ...

ولما تم للاستعمار في هذا الوطن ما أراد من الحكم والسيادة
اتجهت أنظاره الى تونس الحضراء القطر الشقيق ففتحها بسهولة ،
وبدون مقاومة تذكر ، وعقد مع المسؤولين معاهدة حماية وذلك
في سنة 1881م ولم تنيه مطامعه عند هذا الحد ، والمملكة الشريفة
لا زالت تنعم بالاستقلال ، ومنفصلة عن أختيها الشقيقتين لا بد
من ضمها اليهما ، فأخذ يتحرك عليها حتى وقع معاهدة حماية
مهما ، وتمت هذه المعاهدة في سنة 1912م فأصبح شمال افريقيا
جميعا في قبضته وتحت سيطرته مستعمرة كبيرة يعامل أهلها
معاملة واحدة لا فرق بين حماية وغيرها .



عوامل ثورة الجزائر الكبرى

كانت الأمة الجزائرية مضطهدة منذ الاحتلال الفرنسي الذي ولى أرضها سنة 1930م ، ومنذ ذلك الوقت وهى محرومة من جميع حقوقها الطبيعية والشرعية بعيدة عن وسائل الحياة ، وكانت تعامل معاملة سيئة من طرف الاستعمار ، كالاحتقار والاهانة والازدراء بكرامتها وشرفها ، ونزع أملاكها وتسخيرها للعمل ، وعدم احترام مقدساتها ، وغلطسة الحكام وتجبرهم .

كل هذا كان يترك آثارا سيئة في نفسها ، ولن تستطيع أن تفرج عن كبته لا بكلام أو دفاع أورد فعل ، لأن سيف الاستعمار كان مصلتا دائما فوق رأسها ، ولهذا ماكادت تعلن ثورة 54 حتى انفجرت كالبركان ، ونفرت الى ميادين القتال خفافا وثقالا .

ومن العوامل القوية التى نشرت الوعي الوطنى في الشعب ودفعته الى الثورة هى الأحزاب السياسية الوطنية التى تأسست من أجل هذا الغرض فكانت تهدف الى مقاومة الاستعمار وتحرير الوطن ، فنبهت الرأى العام ، وأيقظته من سباته فدبت الحياة في أوصاله ...

وتأسيس الأحزاب يرجع الى ما بعد الحرب العالمية الأولى ان المحاضرة الأولى للحركة الوطنية وقعت في سنة 1924م ألقاها الأمير خالد في باريس حضرها عدد كبير من مهاجرى شمال افريقيا ، وعلى عقبها تفرق الجمهور وهو يهتف (تحيا شمال افريقيا حرة مستقلة) ، وفي شهر سبتمبر من نفس السنة تأسس نجم شمال افريقيا في باريس ، وكان الغرض منه أنه يدافع عن مصالح العمال المادية والمعنوية والاجتماعية ، ومن بعد تولدت منه حركة تهدف الى استقلال أقطار شمال افريقيا ، الرئيس الأول لهذه الحركة هو السيد محمد جفال مع أعضاء مكتبه ، وفي سنة 1929م حلت هذه الحركة من طرف السلطة الفرنسية غير أنها تابعت سيرها في تسرتام ، وفي نفس السنة أعتقل رئيسها مصالى الحاج وغادر التراب الفرنسى ، والتجأ الى جنيف حيث التقى

بالمسلم الفيور الذى كان يشرف على جميع حركات العالم الاسلامى
ورائد النهضة الحديثة السيد : شكيب أرسلان رحمه الله ..

وكان الهدف من تأسيس حزب الشعب هو تأسيس دولة حرة
مستقلة عن فرنسا ، وكان يحارب الاندماج ، واتباعه هم الذين
قاموا بتنظيم ثورة 54 ..

حزب البيان والحرية الذى يرأسه السيد : عباس فرحات الذى
كان فيما بعد رئيسا للجمهورية الجزائرية المؤقتة وكان عامة
أعضائه لهم ثقافة أجنبية عالية ، وبعضهم مثقفون بالثقافة
القومية .

بدأ السيد : عباس فرحات حياته السياسية بنشر مقالات عن
حالة الجزائر التبعية في جريدة (تري دؤنيون) أى صلة الوصل ،
وذلك في سنة 1924م يندد بسياسة الاستعمار الفاشية ، ويطالب
باصلاحات عامة تدخل على الوضع الجزائري منها احترام الاسلام ،
فمن المبعث مجاربته لأنه قادر على الصمود في وجه كل تخريب
وتهديم ، وفي وجه كل عدو باغ ، كما يقول السيد عباس فرحات ،
ويواصل كلامه ويقول : ان سياسة المساواة في الحقوق هي التي
وحدها الكفيلة بضمان مستقبل مشترك ، ان التمسك بفكرة
الغالب والمغلوب يقتضى حتما الى الولايات والنكبات .

هذان الحزبان الوطنيان أى حزب الشعب وحزب البيان
متفقان في الغاية والأهداف ، ومختلفان في الوسائل والأساليب ،
فسار كل حزب في اتجاهه على حسب الخطة التي رسمها لنفسه ،
والطريق الذي اختار سلوكه حتى يصل الى غايته المنشودة ألا
وهو الاستقلال عن فرنسا ، وكل حزب كان يبت دعائه في كل
ناحية من نواحي الوطن لينشروا المبادئ الوطنية والوعى بين
المواطنين ، وانشأ كل حزب جرائد كانت تصدر باللسان العربي
والفرنسي ، فكانت تطلع على الشعب بأفكار جديدة وآراء قيمة ،
وكانت توزع نشرات في الفينة بعد الفينة تحث المواطنين على
مواصلة السير جنبا الى جنب ويذا في اليد ...

وكان كل حزب يعقد اجتماعات جهوية ومؤتمرات عامة
وندوات صحفية في الداخل والخارج تطالب بحقوق الشعب وتندد

بأعمال الاستعمار نحو المواطنين الأحرار ، وكثرا ما كانت تفع مشادة عنيفة بينه وبين المناضلين ومصادمة دامية تسفر عن جرحى ونفى وامتلاء السجون والقتل والتعذيب ومصادرة الأموال حتى أصبحت هذه الأحوال عادية .

وبجانب هذين الحزبين تأسست حركة دينية اصلاحية وإذا قلنا حركة دينية فهي عبارة عن الروح الوطنية الخالصة والقومية الضميمة ، لأن الدين لا يفرق بين الأخلاق والاقتصاد ، ولا بين السياسة والاجتماع ، فهذه الأشياء كلها جزء لا يتجزأ منه .

هذه الحركة هي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنشئت سنة 1931م تحت رئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس تغمده الله برحمته ، فكانت على رأس هذه الهيئة نخبة من العلماء العاملين منهم الشيخ البشير الابراهيمي ، والشيخ العربي التبسي الشهيد ، والشيخ مبارك الميلي ، والشيخ الطيب العقبي ، وغير الدين ، وتوفيق المدني وغيرهم كثيرون .

فمبادئ هذه الهيئة هي مبادئ الاسلام نفسه ، وكانيت تعمل على تنقيته من الحرفات والبدع التي طرأت عليه لتربط ماضى الأمة الاسلامية بحاضرها لأن المسلمين الحاليين ركنوا الى الجمود والغفلة وعدم الاهتمام بالدين الذى هو مطية الى الدار الاخرى ، والمتدينون منهم من توغل في الزهد ، واستسلموا للواقع ، وتشبثوا بالبدع والعادات السيئة التى حجبت حقائق الاسلام .

أخذت هذه الهيئة على عاتقها أن تحارب الأفكار الدخيلة والعوائد الفاسدة ، والانحراف الشنيع ، وتنشر الدين الصحيح الخالص من جميع الشوائب لتعود روحه الطاهرة الى النفوس فتصلحها مما طرأ عليها من مخلفات العصور المظلمة ، وترجع الى اللغة العربية مكانتها في هذا الوطن بعد ما كادت أن تضمحل منه ، وصارت أجنبية وغريبة عنه ، فبدأت هذه الهيئة تنشر العلم وتحارب الجهل الذى خيم على هذه الأمة ، وتحى تاريخ المسلمين وتراثهم المجيد ليطلع الأحفاد على ما كان لهم من ماض مجيد ، وأدب قيم نفيس وحضارة مزدهرة ...

أعضاء هذه الجمعية كلهم ، لهم عقيدة راسخة وقدم ثابت في العلوم والمعارف والفنون ، وشهرة واسعة في الأخلاق والتربية ، وأنهم يمثلون السلف الصالح في عقيدته أحسن تمثيل ، تحملوا مسؤولية الدعوة الإسلامية ليبلغوها وينشروها بين الناس كافة ، وكانوا شاعرين بما يعترض سبيلهم من العراقيل والصعوبات التي ينصبها لهم الاستعمار ، والذين يمتصون دماء الأمة باسم الدين ، ولكنهم عازمون على تبليغ رسالتهم مهما كان الثمن ومهما كانت الأحوال والظروف .

كان يرأس هذه الجمعية الشيخ عبد الحميد بن باديس قدس الله روحه ، فكان نابغة عصره في العلوم والمعارف وداهية في السياسة ، وآية في الأخلاص والجرأة والاقدام له مواقف مشهورة لا زالت ماثلة في الأذهان الى الآن ...

أنقل بعض الفقرات التي قالها فيه صديقه وزميله في الكفاح الشيخ البشير الابراهيمي طيب الله ثراه قال فيه : (باني النهضة العلمية والفكرية بالجزائر ، ووضع أسسها على صخرة الحق ، ومنشئ مجلة الشهاب مرآة الإصلاح وسيف المصلحين ، ومربي جيلين كاملين على الهداية القرآنية والهدى المحمدي ، وعلى التفكير الصحيح ، ومحي دوارس العلم بدروسه الحية ، ومفسر كلام الله على الطريقة السلفية في مجالس انتظمت ربع قرن ، وغارس بذور الوطنية الصحيحة ، وملقن مبادئها علم للبيان وفارس المنابر .

وحسبه أنه أحيأ أمة تعاقبت عليها الأحداث والغير ودنيا لا يستتها المحدثات والبدع ، ولسانا أكلته الرطانات الأجنبية ، وتاريخاً غطى عليه النسيان ، ومجدا اضاعه ورثة السوء ، وفضائل قتلتها رذائل الغرب) ، عيون البصائر .

توزع أعضاء هذه الهيئة المحترمة على عواصم القطر وأخذوا يبينون للناس تعاليم الاسلام الصحيحة التي نزل بها الوحي الشريف ، وكانوا يفسرون القرآن الكريم تفسيراً سلفياً لو فهمه الأعاجم لدخلوا في الاسلام ، فكانوا يستخرجون منه الأحكام والنواهي والوعد والوعيد ، ويشرحون أحاديث الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ويلقون سيرته المطهرة للناس ، وسيرة

خلفائه الراشدين ، وصحابته الأبرار وفتوحات الاسلام في الشرق والغرب ، وتاريخ المسلمين العام والخاص ، ويعلمون اللغة العربية وآدابها وفنونها وكانوا يهيئون بالأمة أن تنمusk بالكتاب والسنة وتترك البدع والخرافات اللتين لم تكونا من الدين في شيء ...

اختار الأمام عبد الحميد بن باديس الاقامة في عاصمة النهضة العلمية وهي مدينة قسنطينة وكانت مسقط رأسه للتدريس ، وتصدر لتعليم الطلبة في الجامع الأخضر واعتنى - رحمه الله - بتربيتهم عناية كبيرة حتى تأثروا بسيرته السلفية ، وكان يتولى بنفسه شؤونهم الخاصة من نفقة وكسوة ومسكن ، وكان يعدهم ويهيئهم ليكونوا في المستقبل دعاة للاسلام ، وكان يحرق جريدة البصائر التي هي لسان حال جمعية العلماء المسلمين ، ويقوم بدروس الوعظ والارشاد للكبار ، فكان يبين حكم القرآن السامية ومعانيه القيمة بأسلوب سلفي محكم جذاب ، وقد فسر القرآن بهذه الطريقة في ربع قرن من الزمن الا أن هذه الثروة العلمية النفيسة قد ضاعت - لا شك - أنها لو كانت موجودة لأجيت أمة ، والسبب في ضياعها هم تلامذته لأنهم لم ينقلوها عنه ، وكان يجول في القطر للدعوة وتأسيس المدارس والمساجد والقاء المحاضرات والدروس ، ويتصل بالشخصيات والجمعيات ، وينشر الاصلاح ، ويحذر من الغفلة والجمود والبدع والخرافات الى غير ذلك من نشر الدين .

حل العلامة الجليل والحافظ الكبير ، والناطقة في المنقول والمعقول ، والأديب الشهير ، والكاتب البارع الذي لانت له اللغة العربية فكانت أداة طيعة في يده فضيلة الشيخ محمد البشير الابراهيمي طيب الله ثراه وجعل الجنة متقلبه ومثواه - بعاصمة تلمسان ، فأخذ ينشر العلم والمعرفة والاصلاح في هذه المدينة العريقة ، فأحيا ما كان دارسا منها ورجع اليها سمعتها التاريخية ، وكان يحول - رحمه الله - في دائرتها يؤسس المدارس لتعليم اللغة ، وينشئ المساجد لاقامة شعائر الدين ونشره ، وأنشأ مدرسة في مدينة تلمسان ، وسماها دار الحديث ، وكان يعلم فيها كتاب الموطأ للأمام مالك - رحمه الله - وأنشأ مدرسة أخرى للبنات ، وسماها مدرسة عائشة رضي الله عنها ومسجدا .

واتخذ الشيخ العربي التبسي مدينة تبسة مقرا لدروسه الاصلاحية ، وأنشأ مسجدا ومعهدا لتعليم الطلبة الكبار ومدرسة للأطفال لتعليم اللغة العربية وتحفيظ القرآن ، وكان ينشر الاسلام في تلك النواحي الفحاء وتمركز الداعية الكبير الشيخ الطيب العقبي في عاصمة الوطن ، واتخذ نادي الترقى مركزا لدعوته ومحاضراته ودروسه الاصلاحية ، وحل المؤرخ الجليل الشيخ مبارك الميلي عاصمة الجنوب - الأغواط - وكان داعية للاسلام في تلك النواحي ، وله تأليف جليلة منها تاريخ الجزائر ، والشرك ومظاهره ، وكذلك بقيت الأعضاء الآخرين ، كل واحد منهم اتخذ ناحية ينشر فيها الاصلاح والتعليم ، ويحارب البدع والخرافات ، وكل عضو من أعضاء هذه الجمعية المحترمة كان يجول في دائرته ويعقد اجتماعات يوجه فيها الأمة الى الدين ، فسرعان ما اقبلت على هذه المعاهد السلفية لترنوى من منابرها الصافية وكانت الجمعية تعقد اجتماعات عامة وخاصة سنويا في العاصمة ، فالاجتماع العام يحضره جمع غفير من الناس من كل ناحية من نواحي الوطن ، يقدم فيه رئيس الجمعية أعمالها التي انجزتها في بحر السنة الماضية بالتفصيل ، ويطلعهم على الأعمال التي تكون في المستقبل فيعاهدون بعضهم بعضا ويجددون العزم على مواصلة السير الى الأمام - ... ومن بعد تحضر الجماهير الغفيرة الى الحفلة العامة التي تقيمها الجمعية ليتكلم فيها الخطباء والشعراء ، فكان الحاضرون يسمعون البيان العربي يتدفق من ينبوعه صافيا ، فيثير هؤلاء الخطباء حماس الجماهير بفصاحتهم ويتأثرون بكلامهم ونصائحهم ، فكان هذا الاجتماع أشبه شيء بسوق عكاظ في الجاهلية .

سادت هذه الحركة الدينية القطر كاملا حتى أصبح المدرسون في كل ناحية يفتحون المدارس والنوادي ويؤسسون الجمعيات ويحثون الأمة على التمسك بالدين الخفيف والرجوع الى العمل به لتعيد مجدها وعزها ، وكانت مقالات الارشاد والتوجيه الصحيح تنشر على صفحات جرائد الجمعية وتفضح أعمال المستعمر ... صادفت هذه الحركة الاصلاحية ميلا في النفوس ،

وهوى من القلوب ، وأعجب بها الشعب أيما اعجاب ، فأقبل عليها من كل ناحية ولا سيما سكان المدن .

وصارت الأمة تتسابق الى انشاء المساجد والمدارس الحرة ، وكانت تتعاون على نشر العلم والمعارف ، والتضحية في سبيل اصلاح الأمة بكل نفس ونفيس ، فأصبحت الأمة تعتنى بتربية ابنائها تربية علمية وعصرية وطنية فكانت ترسل الكبار منهم الى الخارج ليتعلموا العلوم على اختلاف أنواعها ، اما الى فرنسا أو الى تونس ، أو الى المغرب الأقصى أو الى الأزهر الشريف بواسطة جمعية العلماء وبارشادها ، وأنشأت معهدا سمته باسم رئيس الجمعية في مدينة قسنطينة ، فانتشر الاصلاح الدينى واللغة العربية في أنحاء الوطن ، فبدأت الحركة العلمية تسود المواطنين ، فصارت المدارس تعد بالعشرات والتلاميذ بعشرة الآلاف .

رجعت هذه الحركة الدينية الأمل في النفوس والثقة بالمستقبل ، والاعتزاز بالشرف القومى .

الشعب الجزائري مسلم يستجيب للدين اذا وجد من يوجهه ويحافظ على تقاليده وعوائده ، ولا يتفاد الا به ، ولا يخضع الا له غير أن الأغلبية منه جاهلية بتعاليمه ، ولم يبق لها من الدين الا العاطفة ، ولهذا لمادعاه قادة الثورة باسم الدين فلب النداء في الحال وقدم في سبيل الدعوة الى الثورة كلما يملك من نفس ومال وجهد .

أسفرت هذه الدعوة المباركة أى دعوة الاصلاح عن استيقاظ الرأى العام .

هذه الهيئة هى التى بعثت الاصلاح والوطنية من جديد في الأمة الجزائرية ، وشمل الاصلاح جميع الميادين من سياسية واقتصادية واجتماعية وعلمية .

حاربت هذه الجمعية الجهل المتفشى في المجتمع والفساد بجميع أنواعه وألوانه ، وآلت على نفسها ألا تترك العمل حتى تنهض الأمة مما تردت فيه ، وتتخلص من العوائد السيئة والتقاليد المنافية لتعاليم الدين حتى يعود الاسلام واللغة العربية الى هذا الوطن من جديد .

كان الاستعمار يحصى على هذه الجمعية أنفاسها ، فيلقى القبض على أعضائها ، ويزج بالمدرسين في السجن ، ويفلق المدارس فكان واقفا لها بالمرصاد لأن هذه الجمعية المحترمة كانت أشد عليه من الحركات الوطنية الأخرى المجردة عن الدين ، والفرق بين هذه الحركة ، وحركة الأحزاب الوطنية فحركة الأحزاب الوطنية سياسية محضة ، فإذا حصلت البلاد على الاستقلال لا تبالى بعد ذلك على أى شكل يكون حكم البلاد ونظامه شيوعيا كان ، أم رأس مال ، بخلاف الحركة الدينية فزيادة على استقلال البلاد تريد أن تكون شخصيتها بارزة في الحكم ، وأن يكون مستمدا من روح الاسلام ومن القومية العربية ...

ومن العوامل التي ساعدت على تأييد الثورة في الجزائر وتشجيع الشعب على خوضها ميثاق جمعية الأمم التي أصدرته بعد الحرب العالمية الثانية ، ينص هذا الميثاق على منح الشعوب المستعمرة حق تقرير مصيرها بنفسها ، هذا الميثاق تحررت به شعوب آسيا وافريقيا تقريبا ، وكاد ظل الاستعمار الثقيل يتقلص من هاتين القارتين ، ولن يعود اليهما أبدا ، ولم يبق بين الدول الكبرى المتقدمة صناعيا ، والشعوب المتأخرة المغلوبة على أمرها الا المعاملات الحرة التي أساسها المحبة والمودة ... وكذلك من العوامل التي ساعدت على إبراز الثورة الجزائرية كفاح العالم الاسلامي المتواصل في الشرق والغرب ، بعثت هذه الحركة التحريرية حماسا فياضا في الشعب الجزائري ، فمنذ بداية القرن الحالى والعالم الاسلامي يكافح ويناضل حتى استقلت شعوبه وتحررت من سيطرة الاستعمار بما في ذلك طرابلس الغرب من بعد الحرب العالمية الثانية ، ثم جاء دور المغرب العربي الكبير ، فأخذت شعوبه تستعد وتتهيأ لخوض المعركة الفاصلة معركة التحرير الكبرى ، ولما لم يستجب الاستعمار لمطالبه الطبيعية وحقوقه الشرعية ثارت تونس في سنة 1951م وتابعتها المغرب العربي .

وكان أول من أعلن العصيان في وجه الاستعمار جلاله الملك محمد الخامس رحمه الله ، فكان يمارض القوانين التي تصدرها السلطة الفرنسية بشدة ، وكان يحضر اجتماع الأحزاب الوطنية

التي كانت تطالب بالاستقلال ، وكان يوجه الأمة نحو أهدافها الحقيقية ، ويؤسس المعاهد العلمية ، فأنزعجت فرنسا من هذه الأعمال ، فألقت عليه القبض ، وأبعدته عن بلاده مع عائلته الى جزيرة (مدغشقر) في المحيط الهادى فبقى فيها معتقلا الى أن تم استقلال المغرب العربى على يد شعبه الباسل .

كان الشعب الجزائرى في هذه الفترة — هاديا الهدوء الذى يسبق العاصفة ، وكان متدمرا من هذا الهدوء الذى لا مبرر له في الوقت الذى ثار فيه شقيقانه ، وأحزاب هذه الأقطار كانت متضامنة فيما بينها بحيث اذا ثار قطر من الأقطار الثلاثة فبقيت الأقطار الأخرى تثور لأن الوطن واحد والمحتل واحد ... لكن قادة الشعب الجزائرى كانوا يعرفون عقلية الاستعمار المتحجرة وتعلقه الشديد بالوطن الجزائرى ، ومواقفه الصلبة تجاه المواطنين لأنهم اصطلوا بناره منذ فتحوا أعينهم ، واختبروا سياسته في حرب الهند الصينية رغم بعدها الشاسع ، واصل الحرب فيها بضع سنوات فكيف بالجزائر التي لا تبعد عن فرنسا الا بمقدار ساعتين فقط عن طريق الجو ؟ وكانوا على يقين من أنه لا يريد أن يسمع باستقلال الجزائر لأنه يعتبرها أرضا فرنسية والجزائر مصدر القوة والثراء له ، وما دام يملكها يستطيع أن يسيطر على البحر الأبيض المتوسط وعلى قارعة افريقيا . كان قادة الثورة متيقنين من هذا كله ، وزيادة على ذلك من أنه اذا ثار الشعب فان الاستعمار سيبطش به بطشا كبيرا ، ولذا يجب عليه أن يستعد استعدادا كاملا بخلاف القطريين الشقيقين ، فان لهما معه معاهدة حماية وكيانهما باق على كل حال ، أما الجزائر فهي مستعمرة هذا هو سبب التريث .

والحكومة الفرنسية من جهتها كانت تعرف مسبقا أن الجزائر لن تبقى مكتوفة الأيدى أبدا أمام هذه الثورة التي تجتاح المغرب العربى الكبير ، وتعلم أيضا شدة مقاومة الجزائريين وصلابة مواقفهم ، ولهذا لما ثارت الجزائر سنة 1954م تساهلت فرنسا مع الشعبين الشقيقين في الاستقلال ، وجمعت قوتها ورمت بها الثورة الجزائرية العارمة الكبرى .

ومن العوامل التي دفعت الأمة الى اعتناق الثورة هي ضغط الحكومة الفرنسية نفسها على الشعب وتنكيلها به تنكيلا شديدا ظلنا منها أنه يهرب القوى ويتراجع عن الثورة .

ففى بداية الثورة وقفت الأمة الجزائرية منها موقف الحذر والتريث حتى يتضح أمرها غير أن الحكومة الفرنسية اعتبرت الأمة كلها ثائرة من أول وهلة فكان اذا أحدث الثوار شيئا من أعمال التخريب فى ناحية ما من نواحى الوطن تسلط عذابها على جميع سكان الناحية لا فرق بين البرىء والمتهم ، ولا بين صديقها وعدوها فتتكل بأصدقائها الخالص كما تتكل بأعدائها ، ولما رأى المعايدون واصدقاؤها هذه الحالة أصبحوا ثائرين .

وكذلك من الأسباب القوية التى أرغمت الشعب على خوض غمار الثورة ، وتأيينه لها بكل ما يملك من قوة وجهد المنظمة الارهابية التى أسسها غلاة المعمرين وأطلقوا عليها اسم اليد الحمراء ...

هذه المنظمة أهلكت الحرث والنسل ، وخربت الديار ، والبلاد وأتلفت الأموال ، وأزهقت الأرواح بالمآت ، وعاثت فى الأرض فسادا كبيرا ، فكانت تدك المنازل دكا ، وتدهم السكان ليلا ، فتروع النساء والصبيان ، وتخطف الشخصيات فى لباس النوم ، فتنفذ فيهم حكم الاعداء حالا ، وكانت تفعل هذه المناكر الوحشية على مرأى ومسمع من الحكومة ، فضج الناس من هذه الأعمال الوحشية ، وأصبح الناس يلتحقون بالثورة رجالا ونساء وهذه المنظمة الملعونة تأسست فى أول الثورة وبقيت الى نهايتها .

ولما تحققت أن الثورة فى تصاعد والجيش الفرنسى فى حالة عجز عن اخماد الثورة فسلحت السكان الأوربيين وتواطأت مع قادة الجيش الفرنسى على إبادة الشعب فكانت تشحن السيارات بالمتفجرات الشديدة المفعول وتضعها فى مراكز العمل ، أو فى المحلات العامة ، فتفجر هذه المواد ، فيسقط الناس بالعشرات موتى وجرحى ، والسكان الأوربيون يطلقون النار من الشرفات على المارين فى الطريق فيتساقطون ما ترى الا الجثث المنتشرة هنا

وهناك ، وتضع القنابل لهدم المنازل ونسف المحلات التجارية وغيرها ، وتخريب منشآت الحكومة واتلاف ما فيها كالمستشفيات والمعامل والمدارس ، والمكتبات العامة الى غير ذلك من التخريب العام الشامل ، بحيث ما كاد الأوروبيون يغادرون البلاد حتى تركوا اقتصادها مخربا ومنهارا تماما .

لهذه الأعمال الوحشية وأمثالها شجعت الشعب على خوض الثورة والدفاع عن النفس والأموال والعرض ، ولا طريق له الا هذه الطريق فهو مرغم على سلوكها ، ولهذا وقف كرجل واحد في وجه الاستعمار طيلة سبع سنوات ونصف ، والحرب متواصلة ليل نهار ، والمعارك دائرة رحاها في كل ناحية ، وكان في زحفه الشديد ينتقل من نصر الى نصر ، ومن قوة الى أقوى حتى اعترف الاستعمار له بحق تقرير مصيره في الحرية والاستقلال .



الاستعداد للثورة

كانت حركات الانتصار للحريات أكثرها اتباعا من الأحزاب الأخرى ، وأشدّها استعدادا للكفاح المسلح ...

ففى سنة 1947م قام بعض المناضلين من هذه الحركة يطالبون بسرعة الاعداد للثورة ، وقد تمكنوا فعلا من انتزاع قرار من المكتب السياسى لهيئة التنظيم السرى الذى يهىء وينظم الاستعداد للقتال ، وفعلا تشكلت منظمة سرية وأطلق عليها أسم (لوص) معناها الشباب الثورى ، وعهد بقيادتها الى السيد أحمد بن بله وجماعة أخرى معه كالسيد محمد بن الوزداد ، والسيد بوجمعة سويدانى ، وسرعان ما اندمج الشباب الثورى فى هذه المنظمة ، وهذه التشكلات العسكرية كانت هى نواة جيش التحرير فيما بعد .

أخذت (لوص) تنتشر وتتسع حتى شمل تنظيمها كل أقاليم الجزائر ، وكانت دائبة على تدريب أعضائها على السلاح ، وقسمت القطر الجزائرى الى خمس ولايات كل ولاية تشتمل على 23 دائرة ، وكل دائرة تضم عددا من الخلايا ، وحرصا على هذا التنظيم السرى حدد أعضاء الخلية بثلاثة أفراد لا يعرفون غيرهم ، وقد نجح هذا التنظيم السرى نجاحا كبيرا فكانت السلطة الفرنسية تجهل وجوده تماما ، وفى 1950م اكتشف الفرنسيون التنظيم السرى فى مقاطعة وهران فتعرض أعضاؤه لحملة من الإرهاب والتنكيل ، وقدم رئيس هذا الجهاز السرى للمحاكمة مع بضعة وعشرين شخصا من أعضائه ، وحكم عليهم بمدد متفاوتة بالسجن بتهمة التآمر على سلامة الدولة .

وفى خلال اكتشاف هذا النظام السرى كان الخلاف الحزبى قد تعمقت جذوره ، وتعرض لهزات عنيفة فقدته السيطرة على هذا التنظيم ، وفى سنة 1952م عقد قادة الحزب فى الجزائر العاصمة مؤتمرا فى غيبة زعيمه الحاج مصالى ، واتخذوا عدة قرارات منها تأليف لجنة جديدة لقيادة الحزب . من ذلك الوقت أصبحت هذه

اللجنة تعرف باللجنة المركزية للحزب ، لكن سرعان ما كان رد الفعل من طرف زعيم الحزب فأصدر بياناً بجل هذه اللجنة المركزية... بدأ الشعب يتذمر من حركة الانتصار لأنها اشتغلت بالخلاف الحزبي في وقت لم تسمح لها الظروف بذلك ، لأن الوقت يدهو الى الاتحاد والعمل والتكتل نظراً للثورة التي كانت مشتعلة الأوار في القطرين الشقيقتين ، وليس من المعقول أن تتعاضد هذه الحركة في نزاعها فتضيع الفرص المواتية من بين أيدي الشعب ، وتذهب المصلحة الوطنية .

مل الشباب المتحمس هذه السياسة وسئم الانتظار وأمقت هذا الانشقاق الذي وقع في صفوف المناضلين وأصبح ينظر باستخفاف وسخرية الى مشاحنات السياسيين ، وعلى هذا الاعتبار قرر الشباب المتحمس أن يستقل بالعمل عن الفريقين معا فأنشأ لجنة وأطلق عليها أسم (كريا) معناها جمعية الكفاح الوطني الثوري ، ولم تلبث يسيرا حتى اندمجت مع بقية منظمة (لوص) وأصبح الجميع يعرف بأسم (كريا) وهذه اللجنة كانت مؤلفة من تسعة أشخاص ، ثلاثة منهم كانوا يقيمون في القاهرة وهم محمد خيدر ، وآيت أحمد ، وانضم اليهما أحمد بن بله بعد ما تمكن من الفرار من السجن وذلك في سنة 1952م ، أما الستة الآخرون هم : رابح بطاط ، كريم بلقاسم ، محمد العربي بن المهيدى ، محمد بوضياف ، مراد ديدوش ، مصطفى بن بو العيد ، وكانت الملاقاة بينهم دائما في جنيف .

وفي أبريل سنة 1953م عقد قادة (كريا) اجتماعا سرا بمدينة الجزائر اتفقوا فيه على الاحتفاظ بمركز القيادة العامة لأحمد بن بله على أن يقوم به في القاهرة بالادارة السياسية والتنظيم الخارجى للثورة وانتهى الاجتماع باصدار منشور وزع على المناضلين ، واستمرت (كريا) في تغذية الجماهير بالمنشورات في الوقت الذي كان يدور فيه التنظيم الثوري على قدم وساق حتى اذا ما أقبل عام 1954م كانت الجمعية الثورية للكفاح الوطني قد امتدت منظماتها الى أكثر مناطق الجزائر ...

وفي شهر يوليو 1954م اجتمع اثنان وعشرون شابا هم قادة العناصر الثورية لمنطقة العاصمة وقسنطينة ووهران وأصدروا

ندام الى الشباب الوطنى يدعونه الى وقف النزاع الحزبى ونبد
الخلاف والفرقة والتجمع على صعيد الكفاح المسلح ضد
الاستعمار ...

وفي منطقة القبائل اجتمع ثلاثة وعشرون شابا وهم قادة
التنظيم الثورى في بلاد القبائل ، وقرروا تلبية الدعوة الى بدء
الكفاح المسلح ، وذهبوا بدورهم يهيئون القوة الوطنية للمقتال .

وفي 20 يوليو خرج أول فريق للشوار الى جبال أوراس حيث
اتخذوا من قرية (ونز) مقرا لقيادتهم ، ومنها بدأوا ينتقلون
ما بين المدن والقرى الجبلية لجميع المتطوعين وتدريبهم على القتال
وكانت قيادة هذه المنطقة تنتقل ما بين العاصمة وقسنطينة
والقبائل ووهران ، وبعد هذه الجولة التى استمرت ثلاثة أشهر
كانت عوامل الثورة قد نضجت ولم يبق الا توجيه الضربة الألى .



تخطيط للثورة وتنسيقها في الداخل والخارج

في شهر يونيو سنة 1954م اجتمع ستة من الجزائريين الثوريين المناضلين وهم السادة : مصطفى بن بو العيد ، ومحمد بن العرب بن المهيدى ، وبطاط رابح وبوضياف محمد ، وديدوش مراد ، وكريم بلقاسم ، وكانوا متصلين بالثلاثة الآخرين الذين هم في القاهرة .

نظر هؤلاء الثوار فيما يدور حول الوطن من المعارك الشديدة التي تجرى في القطرين الشقيقتين فقرروا الاعلان عن الثورة خوفا من اضاءة الفرص ، واطلاع الاستعمار على خطتهم السرية ، فرسموا للثورة تخطيطا محكما ، وتنسيقا في الداخل والخارج ، واتخذوا المركز الرسمي للثورة في القاهرة ، وعلى الحدود الجزائرية من جهة تونس ومراكش مراكز للذخيرة والمؤن ، ومستشفيات لمعالجة المرضى والجرحى ومأوى للفارين من الحديد والنار ، وملاجئ للمشردين والتائهين وتدريباً للجنود ، ومن يعد ما يتم تدريبهم يدخلون الى الوطن ليبدأوا العمليات الحربية ، وكان قادة الثورة الذين يشرفون على تسيير العمليات العسكرية التي تدور رحاها في الوطن من هذه المراكز .

انقسم هؤلاء الثوار الى طائفتين : طائفة ذهبت الى الخارج تبث الدعاية وتهيب الجوعى العالمى وخاصة المسلمين الذين تربطهم بهم رابطة قوية ، لأن العالم الاسلامى باعتبار الروابط الدينية واللغوية والتاريخية ووحدة المصير المشترك أمة واحدة ، ولهذا لما احتل القطر الجزائرى سنة 1830م من طرف الاستعمار الفرنسى أصبحت الأقطار الأخرى كلها مهددة بالاحتلال ، ومن بعد سقطت واحدة تلو الأخرى في قبضته ، وكذلك لما اندلعت الثورة في الشرق العربى الاسلامى امتد لهيبها المقدس الى شمال افريقيا فتحرر كما تحرر الشرق .

اتصل الثوار الذين ذهبوا الى الخارج بالحكومات العربية
وبرؤسائها وبأجهزة الاعلام ، وعقدوا صفقات تجارية مع
المنظمات الغربية لشراء السلاح والمعدات الحربية .

وما كادت الثورة تتغلغل وتعمق في الوطن حتى كانت اذاعات
الدول العربية تشيد بأعمال المناضلين ليطلع العالم أجمع على
ما يقع في هذه البلاد ، وفي مقدمة هذه الاذاعات اذاعة صوت
العرب من القاهرة التي لها الفضل الأكبر في اثارة الجماهير
الجزائرية وتحمسها للثورة ، والمذيع المشهور السيد : أحمد
سميد رمضان لم يدخر وسعا ، ولم يأل جهدا في التعريف بالقضية
الجزائرية والتنديد بالاستعمار ، فانه رافق كفاح الجزائريين من
أوله الى آخره ، كان يذيع بالفتين العربية والفرنسية ، هذه
الاذاعات لها فضل كبير في توحيد الصفوف وايقاظ الرأى العام
ولفت أنظاره الى القضية .

وكان القادة يعقدون ندوات صحفية في عواصم العالم
الكبرى ، فتنقلها هذه الاذاعات في حينها ، وسفراء الدول
الاسلامية كانت السنة حدادا في الدفاع عن الجزائر في جميع
المحافل الدولية ، وشعوب الشرق العربي كانت تنظم أسبوعا
كاملا في كل سنة لجمع التبرعات الشعبية ، بل خصصت مقدارا
كبيرا من ميزانياتها العامة تدفعها للجزائريين في كل سنة ، وكانت
هذه الحكومات تأوى اللاجئين وتمد الثورة بالعتاد والذخيرة الحربية ،
في كل وقت وتداوى المرحى في مستشفياتها وتمنح الرخص
لمسرى الثورة ليتجولوا في البلاد لبث الدعاية في أقطار العالم ،
وتبنت شعوب آسيا وافريقيا قضية الجزائر في جميع مراحلها
وأطوارها ، ونولت الدفاع عنها لدى جمعية الأمم فكانت تشرحها
للفود شرحا مفصلا ، وترد على أقوال العدو ، وتفند آراءه
وحججه وتسمى في جلب أصوات الوفود الأخرى للقضية عند
الاقتراع .

انقسمت الهيئة الأممية في قضية الجزائر على قسمين فالدول
الشرقية والاشتراكية كانت تؤيد القضية الجزائرية وتناصرها ،
أما الدول الغربية فانها وقفت بجانب الاستعمار الفرنسي تشد
أزره وتؤيده في عدوانه وظلمه ، وكانت تعارض بشدة عرض

القضية الجزائرية على جمعية الأمم ، ولكن رغم هذه المعارضة عرضت أكثر من خمس مرات على هذه الهيئة ...

ولما اقتنعت الهيئة الأممية بعدالة هذه القضية وتحققت من أن فرنسا لم تكن جادة في حلها بدأت تتذمر منها وكانت توصي في كل مرة بتقديم فيها القضية بأن تحل حلا سلميا على مقتضى قرار هيئة الأمم .

وكانت وفود آسيا وأفريقيا في هذه الجمعية لا تريد مناقشة القضية الجزائرية على هذا المنبر العالمى الا تفهيم الرأى العام في هذه القضية العادلة . وأما انها متيقنة بأن الصلح لا يكون الا مع فرنسا وحدها .

وبمجرد الاعلان عن الثورة في الجزائر كان لها صدى كبير ، واعانة فعالة من طرف العالم الاسلامى ، بل اعتبرها ثورته ، وبفضل هذه الدعاية الحكيمة والخطلة الرشيدة توصل قادة الثورة الى أهدافهم التى رسموها من أول مرة ، فأصبحت ثورة الجزائر حديث المجالس العالمية سواء منها الخاصة أو العامة وبفضل الدعاية المحكمة جلبت عطف الشعوب ، وأصبحت تنظر الى الجزائريين بعين الاكبار والاعجاب ، وكسبت أصدقاء في الخارج ، فكانوا يمدونها بما تحتاج اليه من اعانة أدبية ومادية ، واحتلت الصدارة في صحف العالم ، وألفت فيها عدة أسفار تنويعها ببطولة الشعب واعجابا بعبقريته الفذة ، قام القادة بهذه الأعمال كلها ، وبالفعل جعلوا قضية الجزائر قضية عالمية لا محلية كما تدعى فرنسا .

أما الطائفة الثانية فانها توزعت على القطر الجزائرى لتقود المنظمات السرية التى كانت تحت اشرافها ، والاتصال بالشخصيات البارزة من الشعب لتلقين النظام الذى تسير عليها الثورة ...

سار هذا النظام منذ بدء الثورة على عاملين أساسيين : العامل الأول هو ايجاد القوى التى بها تستطيع الثورة أن تثقف في وجه العدو ، بحيث تحمى نفسها منه وتدافع عن وجودها ، ولهذا ما كاد الشباب يسمع باعلانها حتى نضر الى مراكز التجنيد الموجودة

في قمم الجبال ، وهذا بفضل الدعاية المحكمة والأعمال المنسقة ، فكانت الأمة الجزائرية تتسابق الى الثورة رجالا ونساء بحيث لو كان لدى القادة السلاح الكافى لانخرط الشعب كله في سلك المجاهدين ولكنهم كانوا يقلبون من الشباب قدرا يحتاجون اليه ، والذي يليق منهم بالخدمة العسكرية ، وكان المشرفون على التجنيد يشترطون فيمن يريد أن يلتحق بجيش التحرير أن يبرهن على حسن نيته بحادثة ما من الحوادث الفدائية تعين له ليكون مقبولا ، والباقي من الشباب يرجئونه الى مناسبة أخرى ، أو يستغلونه داخل المدن والقرى يعمل ما من أعمال الثورة ، وكانو يرغبون في الشباب المثقف الذين لهم علم أو صناعة أو مهنة ، وجلب القادة الفنيين من الخارج لتدريب الجنود على حرب العصابات والسلاح الذى يأتى من الخارج تدريبا عصريا حتى أصبح الجند من جيش التحرير كامل الأدوات والمعدات الحربية لا ينقصه شئ عن الجند العصري في الأمم الراقية ...

ولما يتم تدريبهم يرسلونهم الى داخل الوطن أو جهات معينة منه أفواجا وكثائب متتابعة ليصطدموا بالجيش الفرنسى في معارك واشتباكات عنيفة تستمر أياما وليالى ، وعندما يتم تسليح الجند الجزائري تظهر بطولة أبناء الأطلس التى هى سليقة فيهم ، وإذا بلغ الاتحاد مكانة من الأمة ، الجزائرية والاحساس من مشاعر أفرادها رأيت في الدهماء منها والخاصة همما تعلو وشيماتسمو ، واقداما يقود ، وعزما يسوق فيصبح الكل يطلب السيادة والغلب ، فتتلاقى هممهم وتتلاحق عزائمهم في سبيل المجد ، فيزيلون كل من يقف في طريقهم من الصعاب ، فكان جيش التحرير ينزل ضرباته القاصمة بالعدو فيتمكن الرعب من جنوده وفيالقه فيلوذون بالفرار ويولون الأدبار .

والعامل الثانى هى الدعاية التى اتخذها الثوار لاثارة الشعب ، وبفضلها ثارت الأمة الجزائرية ، وكانت تقبل على التضحيات على اختلاف أنواعها ، وهى التى وحدت صفوف الشعب ، وكان الدعاة يتقنون أساليبها اتقاناً عجيباً ويحذقون فنونها تمام الحذق ، واعتمدوا فيها على الدين ، فكانوا يقولون للأمة الدين قد أوجب عليكم جهاد الكفار بأموالكم وأنفسكم ، ويلزمون

الجند باقامة شعائره من صلاة وصيام واقامة الحدود الشرعية على السكارى والزناة والمعتدين على الحرمات التى حرمها الاسلام ويطبقون أحكامه على الأمة ويعلمونه للأبناء ، والأمة الجزائرية — كما قلنا — متأثرة بالدين ، فلما رأت الثورة سائرا على منهج دينى اندفعت فى أحضانها بقضنها وقضيضها ، وكثيرا ما كان الناس يطلبون الاستشهاد فى سبيل الله .

والناحية التى لا يزال سكانها لم يثروا بعد على الاستعمار فاذا قصدها الثوار فتثور فى الحال وتصير مسرحا للحوادث الدامية ، فيعمدون الى قتل معمر أو خائن أو نفس شىء من منشآت الحكومة ، فتعاقب هذه السكان من دون تفریق أو تمييز ، ولما رأى سكان هذه الناحية العقاب الجماعى فيلتحقون بصفوف الثوار ، وكانت هذه خطة الحكومة فى كل ناحية تنفع فيها الحوادث .

جند قادة الثورة كل من كان له مقدرة من الرجال والنساء حتى الصبيان على العمل ، وكذلك جنود المسلمين الذين هم كانوا فى صفوف الجيش الفرنسى ، وكان كل واحد من هؤلاء المجندين يندس بين الناس ، وينقل الى الثورة كلما يهملها من الأعمال والأقوال ويدعون الى مؤازرتها ... أصبحت الثورة بفضل هذه الخطة المحكمة حديث البيوت والمجالس الشعبية ، وكانت هى الشغل الشاغل للأمة فكان كل فرد مهتما بها ، والأخبار عن حوادث الفدائيين كانت كالسيل الجارى لا تتقطع أبدا ، والناقلون لها يتفلسفون فيها فلسفة عجيبة بحيث يحبطونها بهالة من التقديس والمجد حتى يتمنى كل فرد أن يشارك فيها ليكون بطلا وزعيما ...

بهذه الدعاية المحكمة تشجعت الأمة وارتبمت فى أحضان الثورة ، وسرعان ما تناست كلما كان لها من مصالح فردية ونزعات شيطانية ، وصارت تتنافس فى أعمال الثورة ، فخرجت المرأة من خدرها الى ميادين القتال ، وأصبحت تزاحم الرجل فى العمل ، وصاحب المال أخرج ماله ليكون وقودا للثورة ، فصار كل فرد من أفراد الأمة مسؤولا عنها وفى أوت سنة 1956م انعقد مؤتمر للثورة فى وادى ابن سلام أبى (واد الصومام) تأسس فيه مجلس وطنى وانبثقت عنه لجنتان لجنة للتنسيق ، وأخرى للتنفيذ ... فلجنة التنسيق كانت تنسق البرامج لكل عمل من أعمال الثورة

فقسمت القطر الى ولايات ، وأسندت كل ولاية الى ضابط
عسكري يدير شؤونها مع مستشاريين ، فيتسلم هذا الضابط
من هذه اللجنة السلطة العسكرية والمدنية ويصبح مسؤولا عما
يقع في منطقته لأنه هو القائد العام لها فيدير العمليات العسكرية
على اختلاف أنواعها ، وينظم الخلايا السرية ، ويشرف على أعمال
الفدائيين ، ويثث العيون والجواسيس في صفوف العدو ومراقبة
حركاته وتنقلات جنده مراقبة تامة ، ونقل أخباره الى القيادة
العامة ، والوقوف بالمرصاد للخونة والجواسيس ويحكم المدنيين ،
ويرعى مصالحهم وشؤونهم العامة ، فيحافظ على أمنهم وسلامتهم
والدفاع عنهم وتقييد المواليد والوفيات ، وأخذ الاشتراكات
والجبرعات والزكوات وجمع المئون من سلاح وكسوة وحبوب وغيرها ،
والنظر في الحصومات التي تقع عادة بين الناس بواسطة لجنة تعين
أفرادها الهيئة العليا للمنطقة ، فكان القضاة ينصبون مجالسهم
للحكم في القضايا والنوازل ليلا ، وذلك بمحضر الخصوم والشهود ،
والحكم الصادر ينفذ في الحال ، كل هذه الأمور وغيرها يكون رئيس
الولاية هو الأمر بها ، وعلى علم من تنفيذها ، وعلى اتصال تام مع
لجنة التنسيق فيما يجرى في منطقته من الحوادث .

أما البنود التي اشتمل عليها هذا المؤتمر فيما يخص توقيف
القتال والتفاوض مع فرنسا فانه سيأتي فيما بعد .



تكوين جبهة التحرير

في اليوم العاشر من تشرين الأول سنة 1954م اجتمع قواد التنظيم الثوري بمدينة الجزائر في أحد بيوت المواطنين لبحث الخطوة اللازمة اتخاذها بعد أن تهيأ الاستعداد الثوري المسلح المنظم للعمل ...

قرر المجتمعون أن يأخذوا على عاتقهم المسؤولية التاريخية باعلان بدء الشعب الجزائري كفاحه الوطني المسلح هذا الكفاح الذي تبلور خلال المعارك في الثورة المظفرة الحاضرة وكانت مجهودات التنظيم الثوري قد أصفرت عن ثلاثة آلاف ثائر وطني من مختلف مناطق البلاد ، وعلى رأسهم ستة من الشباب الثوري ، هم الذين التأم عقدهم في هذا الاجتماع ، ولما اطمأنوا الى ما تحت أيديهم من تنظيم ثوري مسلح قرروا بدء المعركة ، وحددوا ميقاتا لها بحيث يعلن عنها في الساعة الواحدة بعد منتصف الليل أول نوفمبر 1954م وفي هذا الاجتماع التاريخي اختفى اسم (كوريا) وبرز اسم جبهة التحرير الوطني التي توحدت فيها جميع العناصر الثورية وجميع طبقات الشعب .

وما كادت الثورة تبدأ أعمالها حتى ذابت فيها جميع الأحزاب والهيآت ، ولم يبق الا الزعيم الحاج مصالي والفريق الذي ثبت معه ، وقد خسر كثيرا من اتباعه لأنهم انضموا الى الثورة وذهبت سمعته ولم يعد له نفوذ ...

رسمت جبهة التحرير ميثاقا وطنيا وأهدافا للثورة وهذا الميثاق هو دستور الكفاح الشعبي الوطني ، فصدر نداء جبهة التحرير الأول الى جماهير الشعب الجزائري يوم 31 أكتوبر سنة 1954م يعلن أهداف الثورة وميثاقها ، ويدعو الشعب الى تأييدها والاندماج فيها ، هذه الأهداف : هي التحرير الكامل من الاستعمار ، واقامة حكومة وطنية ديمقراطية جمهورية ، كما ألقى هذا المنشور تبعة تأخير القضية الوطنية على التوجيه الخاطيء الذي كان يقوم به قادة الأحزاب السياسيين ، وأعلن

هذا الميثاق أن الثورة مكونة من الشباب الذين حملوا على عاتقهم مسؤولية قيادة الكفاح الشعبى في طريقه الثورى السليم لأنهم يمثلون الأحزاب والهيآت والعناصر الوطنية وانتهى الى مناشدة الشعب وتأييد الجبهة والالتفاف حولها .

تولى هؤلاء القادة الستة القيادة العسكرية فتوجه كل واحد منهم الى المنطقة التى حددت له ليقود ثورتها وفق ما يلى : ديدوش مراد قائدا في شمال منطقة قسنطينة ، ابن بو العيد قائدا في جبال الأوراس ، بطاط رابح في العاصمة ، محمد بن المهيدى العربى قائدا في وهران ، كريم بلقاسم في منطقة بلاد القبائل ...

وعلى اثر اتخاذ هذه القرارات السابقة ، كلف هؤلاء القادة محمد بن بوضياف أن يلتحق بالقادة السياسيين الذين هم في القاهرة ليفضى اليهم بنتائج الاجتماع ، وليعمل معهم على قيادة الثورة من الخارج وتزويدها بما تحتاج اليه من سلاح ومال مستتدين في ذلك الى معونة الشعوب العربية ، كما عهد اليهم بتعبئة رأى العالم الدولى لمناصرة الثورة وفضح جرائم الاستعمار ولما نشط القادة العسكريون في خوض المارك نشط كذلك القادة السياسيون في الخارج في تكوين فروع لجبهة التحرير في القاهرة وعواصم الدول الكبرى ...

تم الاعداد والتنظيم بين الجماهير الشعبية في ثلاثة أشهر وقد تم في سرية ونظام دقيقين ، فلم تشعر السلطة الفرنسية بتكوين الجبهة الا بعد صدور أول منشور لها وكان قلم المخابرات السرى الفرنسى يجهل هذه الحركة تماما حتى فوجئت الحكومة بالثورة ، وأعلنت عن غفلة من أعين الرقباء ، والشعب ، وان كان وجودها متوقعا لكنها جاءت على أيدي أناس لا يعرف عنهم الشعب أكثر من أنهم أتباع ومأمرون لا متبوعون ، أما كونهم كيف انفصلوا عن حركة الانتصار ، وأصبحوا يعملون للثورة المسلحة سراحى تهيات أسبابها ولوازمها فأعلنوها للشعب وللعالم أجمع ؟ فهذا لم يكن يخطر على بال أحد سواء من الأمة أو الحكومة الفرنسية .

ولاهمية هذا النداء نبته هنا كاملا وهذا نصه ...

الجزائر 31 أكتوبر 1954م جبهة التحرير الوطنى الى الشعب الجزائرى ... الى المكافحين في سبيل القضية الوطنية ، اليكم

وحدكم نتوجه بندائنا هذا ، فأنتم الذين ستكونون لنا أو علينا ... الى جماهير الشعب بصفة عامة ، والمكافحين بصفة خاصة ... الغرض من اصدار هذه المنشورة ، هو أن نوضح لكم الأسباب العميقة التي دفعتنا الى الكفاح ، وكذلك لكي نشرح لكم برنامجنا .

ان كفاحنا مبني على أساس التحرير الوطني في نطاق الشمال الافريقي ، كما أننا نرغب في أن ننزع عنكم تلك البلبلة التي يعمل على تميتها الاستعمار وعملاؤه من الاداريين والسياسيين المتعنفين ، ونعتبر - قبل كل شيء - أن اقتراب حلقة كفاحنا الماضية قد وصلت اليوم الى حلقتها الأخيرة ، ان مراحل كفاحنا الطويل ، قد وصل اليوم بالحركة الوطنية الى مرحلتها الأخيرة ، تعمل حركتنا الثورية على توفير كل الظروف المواتية لحفز كفاحنا التحريري ، ونرى أن يكون الشعب في النطاق الداخلي موحدا تحت شعار الاستقلال والعمل ، وفي النطاق الخارجي ستعمل ثورتنا على ايجاد الجو الهاديء الذي يساعد على حصولنا على معونة اخواننا العرب وحل مشاكلنا الثانوية بالطرق الدبلوماسية ان الحوادث الثورية الجارية اليوم في كل من مراكش وتونس لتبين بوضوح كيف يكون الكفاح التحريري لشمال افريقيا ؟ وفي هذا بالخصوص نود أن نقول بأننا كنا منذ زمن طريل أصحاب فكرة ووحدة شمال افريقيا ، وتوحيد الكفاح والعمل من أجل التحرير والوحدة المنشودة ، ولكن لم تتكون هذه الوحدة بكل أسف حتى اليوم ، الا أننا نرى اليوم كلا من تونس ومراكش قد أخذت بعزم طريق الكفاح المشترك من أجل الحرية والوحدة بينما تخلفنا نحن عن المسير ، وبقينا نعانى آلام من سبقنا في الطريق الذي كان من واجبا أن نكون أول من سلكه ، فقد كنا في الماضي أصحاب الدعوة لهذا الطريق ، وهكذا تنكبت حركاتنا الوطنية بسبب اعوام مضت علينا من الخمول والعمل الروتيني والتوجيه الخاطيء ، وافتقاد التأييد الواجب من الرأي العام ...

كل هذه الظروف والعوامل جعلت الحركة الوطنية تتكشمش يوما بعد يوم وهذا ما جعل الاستعمار يعتقد أنه أحرز من وراء ذلك نصرا كبيرا في حربه ضد القوى التقدمية الجزائرية .

الساعة خطيرة ، وتخشى أن يستمر الحال على ما هو عليه فيستعصى من بعده العلاج ، ولذا قام نفر من الشباب المكافحين المخلصين ، وتحملوا مسؤولية الكفاح على عاتقهم وجمعوا حولهم اغلبية العناصر الوطنية الشريفة من مختلف الأحزاب والهيئات والطبقات مكونين بذلك جبهة وطنية متعددة ، وبذلك يتحقق الوقت الذى يمكننا فيه أن نخرج القضية الوطنية من طريقها المغلق الذى أوجدها فيه نفود السياسيين المحترفين ، وكفاحهم حول أشخاصهم الى طريقها الصحيح في جانب اخواننا المراكشيين والتونسيين في المعركة الثورية الحقيقية .

أولا : هدفنا الاستقلال الوطنى - اقامة حكومة جزائرية ديمقراطية ذات سيادة في نطاق النظام الاسلامى - احترام جميع الحريات العامة بدون تمييز بين لأجناس والعقائد .

نحن نؤكد في هذا الجانب اننا مستقلون عن الجانبين اللذين يتنازعاان السيادة الحزبية ، وفقا للمبادئ الثورية ، لا تكون حركاتنا موجهة ضد أى هدف كان سوى الاستعمار ، الذى هو عدونا الوحيد العنيد الأعمى الذى يرفض دائما أن يمنحنا أقل حركة بوسائل الكفاح السلمى ، لقد وضعنا المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار شخص ، ونحن نعتقد أن كل ما سبق أسباب كافية لكى ندخل التجديد على حركاتنا ، فنقدم اليكم تحت اسم جبهة التحرير الوطنى ، وذلك لنتجنب كل الأخطاء الممكنة ، ونقدم امكانيات الكفاح الوطنى لكل المواطنين الجزائريين من كل الطبقات الاجتماعية ومن كل الأحزاب والحركات الجزائرية الخالصة النقية لنخوض معركة التحرير دون أى اعتبار آخر ، ولكى نبين لكم بدقة أهداف كفاحنا نرسم فيما يلى الخطوط الرئيسية لبرنامجنا السياسى .

ثانيا : الناحية الداخلية - اجراء عملية تطهير سياسية لاعادة الحركة الوطنية الى طريقها الطبيعى وبذلك نمحى كل ما بقى من الفساد الذى تسبب في تأخيرنا الحالى .

I - تنظيم وتعبئة النشاط الثورى للشعب الجزائرى للقضاء على النظام الاستعمارى .

ثالثا : الناحية الخارجية - الخروج بالقضية الجزائرية الى المجال الدولي .

أ - أن يكون الشمال الافريقى موحدا في نظامه الطبيعي وهى العروبة والاسلام .

ب - تأكيد محبتنا الفعالة لكل الشعوب التى تساعد حركتنا التحريرية .

رابعا : أساليب الكفاح : استمرار الكفاح بكل الوسائل حتى تتحقق أهدافنا وفق مبادئنا الثورية في المبادئ الثلاثة السابقة ، ولكي نحقق أهدافنا سيكون لجبهة التحرير الوطنى عاملان رئيسيان يؤيدهما معا عمل داخل سياسى وحزبى ، تقوم بهما في ميدان السياسة والحرب ، وعمل خارجى يتلخص في جعل المشكلة الجزائرية حقيقة واضحة أمام دول العالم وشعوبه مع التحصيل على معونة حلفائنا الطبيعيين من اخواننا العرب ، وهذا العمل شاق يتطلب تعبئة كل القوى والموارد الطبيعية ...

سوف يكون الكفاح شاقا وطويلا ولكن النتيجة النهائية مؤكدة ببلوغ أهدافنا ، وأخيرا كى نبين رغبتنا في السلام ونتجنب الخسارة في الأرواح وسفك الدماء واراقتها ، نقدم للمناقشة عرضا شريفا الى السلطات الفرنسية ، ان كانت هذه السلطات تنطوى على نوايا حسنة بأن تبادر الى الاعتراف لكل الشعوب التى تستعمرها بحق تقرير المصير ، ونحن اذا نقدم هذا العرض انما لنسد الطريق على الذين قد يحلو لهم أن يسيئوا تأويل حركتنا من العناصر المتمردة وعرضنا يتلخص في الآتى :

أ - فتح مفاوضات مع المخولين لسلطة التحدث باسم الشعب الجزائرى على قاعدة الاعتراف بالسيادة الجزائرية .

ب - التمهيد لهذه المفاوضات يجب أن نخلق جوا من الثقة وذلك بالافراج عن المعتقلين السياسيين ، ورفع كل الاجراءات الاستثنائية وفق تلك التى تتخذ ضد القوى الوطنية المكافحة .

ج - الاعتراف بالجنسية الجزائرية ، وذلك بموجب اعلان رسمى لمحو كل فكرة أو قانون يجعل من الجزائر أرضا فرنسية

رغم الحقائق التاريخية والجغرافية واللغوية والدينية والتقاليد ،
فاذا اعترفت فرنسا بكل ما تقدم نضمن لها ما يلي :

أ - المصالح الاقتصادية للأشخاص والعائلات الفرنسية التي
أكتسبت بطرق مشروعة وشريفة ستكون محترمة .

ب - الفرنسيون الذين يرغبون في البقاء في الجزائر لهم الحق
في الاختيار ما بين البقاء على جنسيتهم الأصلية ، وفي هذه الحالة
يعتبرون أجانب بالنسبة للقوانين الجارية ، وبين الحصول على
الجنسية الجزائرية ، وفي هذه الحالة يعتبرون مواطنين جزائريين
في الحقوق والواجبات ...

ج - تحديد العلاقات بين الجزائر وفرنسا بموجب اتفاقية
تعقد بين الدولتين على أساس المساواة والاحترام المتبادل .
أيها الجزائري :

نحن ندعوك أن تفكر في مضمون ميثاقنا السابق وواجبك
أن تؤمن به ، وتنظم الى صفوفنا لنتنقذ وطننا ونعيد اليه
حرية .

ان جبهة التحرير الوطني جبهتك ونصرها نصرك أما نحن
فقد صممنا على السير بالكفاح حتى النهاية واثقين من حقيقة
مشاعرك المعادية للاستعمار واننا اقوياء بتأييدك ، ونضحي
بأغلى ما نملك في سبيل الوطن .



تنبيه

لا أذكر المعارك الحربية التي دارت رحاها طيلة سبع سنوات ونصف في هذا الوطن ، من تخوم صحرائه من الجنوب الى البحر في الشمال ومن الحدود المغربية من الغرب الى الحدود التونسية من الشرق .

كل هذه البقاع الفسيحة بما فيها من جبال وسهول وصحارى ، ومدن وقرى كانت مسرحا للاشتباكات الكثيرة ، والمعارك الدامية ، والاغتيالات والتخريب والهدم ... ولا أذكر أعمال المعمرين الأوربيين وبطشهم الشديد بالمسلمين ، ولا المنظمة الارهابية التي اقترفت أكبر الجرائم وأشنعها ، وتكالبها على الأبرياء العزل من السكان ، وأعمالها الوحشية التي تجاوزت كل حد ، فكانت تدخل المنازل ليلا ، وتخطف الشخصيات ، وتخرج منها الكلام بالقوة ، ومن بعد تقتلها أو تدفنها حية حتى تموت ، ومن بعد صارت تستعمل القتل الجماعى على مرأى ومسمع من الحكومة الفرنسية ، ولا أعمال الفرقة الأجنبية ، وجنود المظلات الذين كانوا يرفعون الشباب والشيوخ في الشاحنات الى مراكز التعذيب ليستنطقوهم وينكلوا بهم حتى مر الشعب على أشد العذاب وأقساء هولا ، ولا الخسائر التي لحقت المسلمين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم ، وكذلك لا أتعرض للخسائر التي ألحقها الثوار بالمعمرين من الأوربيين الذين كانوا عرضة للشعب في جميع مطالبه وحقوقه الشرعية وخطفهم للغلاة منهم والضباط من الجيش الفرنسى ، وذبح الخونة والجواسيس ، ومصادرة أموالهم ، ولا العزائم التي تسلى بها الشعب ، ولا الاستماتة التي أبداه في مقاومة الاستعمار حتى أحرز على النصر ، ولا الدعاية التي جهز لها الطرفان المتحاربان كل امكانيتهما ، فكل طرف كان يستعمل أساليب وأنواعا من الدعاية لجلب الشعب الى جانبه ، ولا الأموال التي كانت تنفق على هذه الحروب الاستعمارية ، ولا البرامج التي سطرت للقضاء والتغلب على الجانب المعادى فهذا كله لا أتعرض

له ، لأن الثورة الجزائرية عمت الوطن كله ، وهزت كيان الشعوب المستعمرة للمطالبة بحقتها ، فأصبحت تقاوم الاستعمار بالسلاح حتى أحرزت على استقلالها .

وتفصيل حوادث الثورة ليس في مقدور أى فرد كان أن يقوم به وحده ، لأنها اجتاحت البلاد كلها وطالت مدتها ، ولهذا لا يستطيع أحد أن يحصى حوادثها الكثيرة ، اللهم الا اذا تألفت لجان من جميع الولايات التى كانت أبان الثورة - عندئذ - يستطيع رجال كل ولاية أن يسجلوا حوادثها على حدة محافظة على التراث النفيس الذى هو شرف الأبناء والأجداد ، ووفاء للشهداء الأبرار ، والمجاهدين الأبطال .

فبذلك يكون للجزائريين تاريخ طريف أضافوه الى تاريخ أمتهم التليد قديما وحديثا ...

وانما أذكر الخطوط الرئيسية للثورة والحوادث الهامة ، والمراحل التى اجتازتها ، وأتبع سيرها من بدايتها الى نهايتها ، ولا أدخل في التفاصيل وانما أشير الى بعضها لأنها متعددة النواحي مترامية الأطراف ، لعبت فيها الشجاعة والبطولة دورا هاما ، هذا قوى بسلاحه معتمد عليه ، والآخر قوى بحقه وبأئمانه وارادته التى لا تخضع ولا تلين .

من الذى كان يظن أن الشعب يقف في وجه أعظم دولة وأضخم جيش مسلحا تسليحا عصريا ينتزع منه استقلاله ، ولا أحد كان يعلم أن في الشعب عباقة .

يستطيعون أن يسيروا العالم ، ومن كان يتكهن أن الفدائيين يفوصون على الموت غوصا ، وهم غض الشباب رطب الالهاب ، كل هذا لم يستطع أحد أن يعرفه قبل الثورة ، وانما الفضل يرجع اليها هى التى أكتشفت المواهب التى كان منطويا عليها هذا الشعب .

نترك تفصيل حوادث الثورة لغيرنا ، وانما قصدنا الوحيد - في هذا الكتاب هو بيان مفعول الدين كيف حرك الجماهير الى الجهاد في سبيل الله ، فأصبح هو العامل البارز فيها ، فوجد بين صفوف الشعب فصار كل فرد من أفرادها لا يدخر جهدا ولا وسما

في سبيل ما يقدمه الى الثورة ، وأمد المجاهدين بقوة معنوية فعالة لا ينضب لها معين في جميع مراحلها وأطوارها واستجاب الشعب له من صميم أعماقه ، واستهان بما كان له من نفس ومال في سبيل الله ، وفضل الموت على الحياة ، ولو لا الدين لما حالف النجاح الثورة أبدا ، ولم تستطيع أى قوة في العالم أن تزحزح الاستعمار من هذا الوطن .

الدين هو القوة الفعالة في هذا الوطن ، فكل من استمسك به فقد فاز ونجا ، وكل من ابتعد عنه فقد ارتكس وهلك ، ولهذا اعتمد عليه قادة الثورة في دفع الشعب الى الجهاد والتفانى والاخلاص في سبيله ، وكان العدة والزاد ، والحصن الحصين الذى يلجأ اليه المجاهدون في كل زمان ومكان .

لولا النهضة الأخيرة للشعوب الاسلامية لانسلخت عن الاسلام ولكنها برهنت على أنها لا زالت متأثرة به .

وهنا يبدو بوضوح وجللاء أن أشد الأديان مراسا في ابناء الاستعباد هو الاسلام الحنيف .



بداية الثورة في الجزائر

في منتصف الليل من أول نوفمبر سنة 1954م - دوت أرض الجزائر بالطلقات النارية ، وتوالى هجوم الثوار على معسكر الاستعمار الفرنسي ومنشآته العمرانية طول الليل في مختلف الجهات من أرض الوطن ، وكانت جبال أوراس ميدانا لأعنف الهجومات ، وأول طلقة كانت من مدينة أريس ، ووقعت كذلك حوادث في المدن الأخرى من القطر ... أصبحت اذاعة العالم وصحفه تنقل أخبار الثورة وتذيعها عليه ، فدهش الناس من هذه الأخبار ، وكانوا إما بين مصدق لها ومكذب ، وكانوا يسألون بعضهم بعضا ويعقدون اجتماعات ، ويناقشون الأخبار فيما بينهم ، ويعرضون تعاليق الصحف ويسمعون الى كلام المسافرين لعلهم يعثرون على خبر صحيح يشفى غليلهم ويطفئ أوراها ، وتراهم يتهايمسون في الطرق والمقاهى والمحلات العامة ، والسرور باد على محياهم ، والقلوب تكاد تطفر من بين الضلوع من شدة الأنباء السارة ، والأعين تدور يمينا وشمالا ، ودموع الفرح تترقرق في الآفاق .

ولما انتشرت الثورة في الوطن ، وأصبحت حقيقة تنفس الناس الصعداء بعد ما كان في النفوس حسرة ومرارة ، وفي الحلق غصة وفي الصدور ثورة مشبوبة من الحالة التي ارتكس فيها الشعب الجزائري .

وفي صبيحة هذا اليوم صدر بلاغ رسمي من السلطات الفرنسية هذا نصه : (حدث أثناء الليل في عدة مناطق مختلفة من أرض الجزائر على الأخص شرق قسنطينة بمنطقة أوراس عدة عمليات حربية مختلفة بلغ عددها ثلاثين عملية ، قامت بها فرق صغيرة من الأرابيين أسفرت عن قتل ضابط وجنديين في مدينة خنشلا ، وباتنة ، وجنديين من حراس الليل بمنطقة القبائل ، وكذلك أطلق الرصاص على مراكز الدرك ، وألقيت بعض قنابل الحارقة المصنوعة صنعا محليا ، ولكنها لم تسبب في أضرار سوى

في مخازن شركة الحبوب ببلدية بوفريك ، وشركة (سلتاف) للحديد والفليين ، والحاكم العام يؤكد أنه قد اتخذ فور هذه الحوادث الإجراءات اللازمة السريعة لمواجهة هذه الحالة ، والتي هي بين أيدي القائد العام حيث يجرى تنفيذها ، كما استدعينا بعض القوات الاحتياطية لتدعيم قواتنا بمناطق الحوادث .

ان الشعب الذي يثق فيما يتخذه الحاكم العام من اجراءات لتهدئة الحال وضمان الأمن للقضاء على الأقلية المجرمة ، قد سيطر عليه الهدوء ، وضبط الأعصاب في جميع أوساطه - امضاء (روجي ليونار) الحاكم العام . في الجزائر أول نوفمبر سنة 1954م .

هكذا سجلت السلطة الفرنسية ثورة الشعب الجزائري .



أعمال جبهة التحرير

اتخذت جبهة التحرير لجيشها جبال الجزائر محطة رحالهم ، ومراكزها الرسمية لحصانتها ومناعتها ووفرة السكان فيها ، فمنها كان جيش التحرير يوالى هجوماته على العدو ، ويواصل كفاحه ضد المحتل ، وهو في مأمن ومنجاة منه ويستعين بالسكان على أعماله الشاقة واختلط بهم اختلاطا تاما .

قررت جبهة التحرير تعبئة جميع موارد الشعب سواء كانت مالا أو انسانا ، أو غير ذلك من الأشياء الأخرى التى تحتاج اليها الثورة ، لأن الثورة من الشعب والى الشعب ، فيجب أن تستمد قوتها منه .

وقفت الأمة الجزائرية من الثورة في أول الأمر موقف حذر وتربص حتى تبين أمرها وبعدها أتضح شأنها، اندفعت في تيارها، وارتمت في أحضانها بغضها وغضبيضا وأصبحت تبذل كلما كان في وسعها من قوة وجهد ، وكل فرد كان يقدم لها الاعانة اللازمة التى يستطيع عليها عن طيب قلب وهو راض بالمسؤولية التى تناط بمعهدته ، وأنه على علم بما ينجم عنها من أخطار ، ولربما ذهبت بحياته ، ولكن في سبيل الوطن تهون كل تضحية حتى دهش قادة الثورة من هذه الأعمال المشجعة والتضحيات الجسيمة ، فوجدوا كل اعانة وتأييد من طرف الشعب الذى كان يرى لهؤلاء القادة فضلا كبيرا عليه لأنهم فتحوا له طريق الحياة الحرة ، ونفسوا عن كبته الذى لازمه دهرا طويلا ، ومحو عنه ذل العار والمذلة التى لحقته من طرف الاستعمار ...

كان سلاح الثوار في أول الأمر سلاحا تافها فأغلبيته من بناديق الصيد وبعض المسدسات ، وشيء قليل من الرشاشات ، وبعض المتفجرات من الصنع المحلى ، والباقي من الجنود ليس لهم سلاح ، وانما كانوا يحملون الأدوات المنزلية كالفتوس والشاغور ، والخناجر والعصى يلوحون بها في الهواء والخرطوش كان لديهم قليلا جدا غير أن هذا لم يكفهم عن القتال ...

كان الفدائيون من جهتهم ينسفون منشآت الحكومة ، ويتلفون انتاج المعمرين ، وجيش التحرير كان يتعرض للجند الفرنسي في كمائن فيباغونه بضربات هائلة فيتملكه الرعب فيلوذ بالفرار ، والبعض منهم يسقط موتى فيغتم المجاهدون غنائم كثيرة من السلاح والذخيرة ، ويجردون الموتى من السلاح وكذلك الأسرى ، وكانت لهم مهارة فائقة في ابتكار الأساليب الحربية ، واستخراج السلاح من ثكنات الجند الفرنسي ليسلحوا به من لا سلاح لهم ، ولهم مندوبون في الشرق والغرب لشراء السلاح ، وجلبه الى الجزائر . اعتمدت الثورة على المتطوعين من الشعب ، سواء كانوا كبارا أم صغارا ، غير أنهم كانوا يرغبون في جنود المسلمين الذين يعملون في الجيش الفرنسي ، وأصحاب الحرف والمهن ...

انتشر الثوار في شرق قسنطينة وشمالها ، وبلاد القبائل ، واعتصموا بالمجبال الشامخات ، مثل جبال أوراس ، والقل ، والحروش ، وسكيكدة ، وميلة وغيرها ... أصبحت هذه النواحي كلها مسرحا للحوادث الكثيرة والمعارك الدامية وانقطعت الصيلة فيها ، ما بين الحكومة وسكان هذه المناطق ، واذا أرادت أن تتصل بهم ، فتصحب معها قوة كبيرة من الجند ، فأصبح سكان هذه المناطق في جيرة من أمرهم ، فالثوار يأتونهم ليلا ، ويدعونهم الى مؤازرة الثورة ، واعانتها بمالديهم من طعام ، ومال ورجال ، وحكموهم حكما اداريا منظما ، وكل من يخالف أوامرهم يعاقب في الحال ، والحكومة الفرنسية من جهتها تأتيهم نهارا ، فتأمرهم بأن يعتزلوا عن الثوار ، ويقطعوا كل اعانة وصلة بهم ، والويل لمن لم يتمثل لهذا الأمر ، وثبتت عليه الاعانة والتأييد للثوار ، فتعاقبه في الحال بنسف منزله بالقنابل أو المدفع وتارة بالقتل أو السجن ، فاضطر السكان الى أن يكونوا مع الثوار في الليل فيعملون لهم كلما يطلبونه منهم ، وفي النهار يصبحون خاضعين للحكومة الفرنسية ، هذه الكيفية سادت القطر كله . كثر هجوم الثوار على منشآت الحكومة فكانوا ينسفون المعامل والجسور ويقطعون أعمدة التيلفون ، والمواصلات السلكية ، والسكك الحديدية ويفجرون قنوات الماء ، ومحطات الكهرباء ، ويتلفون منتوجات المعمرين كالكروم

والأشجار وحرق صابات القمح وأدوات الفلاحة ، ونسف مساكنهم ومراقبة الطرق ، وتفتيش السيارات والحافلات وحرقها في بعض الأحيان اذا كان صاحبها لم يدفع الاعانة الى الثورة ، ولم يمثل للأوامر التي أعطيت له ، وخطف بعض الشخصيات من غلاة المعمرين ، أو من أعوان الحكومة من الذين يزعمون مسلمين ، أو الخونة من منازلهم ، فينفذون فيهم العقاب حالا ، وكانوا يشنون الفارة الشعواء على المدن في الليل ، فيطلقون الرصاص على الثكنات ومراكز الحكومة ، وأحيانا يصطدم جيش التحرير مع الجيش الفرنسي في اشتباكات دامية لكن سرعان ما ينسحب جيش التحرير من ميدان المعركة بعد ما يضربون ضربتهم ، واذا حصروا فيخرقون الحصار المضروب عليهم ويفلتون منه ، لأنهم غير متكافئين في السلاح مع الجيش الفرنسي . دب الذعر في المناطق التي انتشرت فيها الثورة ، فكثر فيها القتل ، وتعطل كثير من المصالح الادارية ، وأصبح المسافر الى هذه النواحي يخشى على حياته رغم الجيش الفرنسي المنتشر فيها ، لكن الثورة استفحلت فيها ، وتفاقم أمرها ، وأخذت في الانتشار بسرعة مدهشة في نواحي الوطن ، واشتهرت في العالم ، فكان الأحرار منه يكتبون عنها المقالات الضافية ، ويحثون الحكومة الفرنسية على منح هذا الشعب الاستقلال ، والمقاومة معه قبل فوات الأوان ، وكانت محطات العالم العربي تشيد بموافق المجاهدين في الحرب ، وتثنى على شجاعتهم وبسالتهم ، هذه الأخبار كانت تنتزل على قلوب الشعب بردا وسلاما ، وتزيده حماسا واستمساكا بقضيته العادلة .

توسعت جبهة التحرير الوطنى في الحرب ، وذلك بفضل السلاح الذى كانت تستورده من مصر وغيرها الى تونس ، ثم الى الجزائر ، وظلت هذه طريقه الوحيد مدة الثورة بخلاف السلاح الذى كان يأتى عن طريق البحر ، فكانت المراكب البحرية تأتى به من أوروبا ، وتفرغ شحناتها على شواطئ الجزائر ، كان الأسطول الفرنسى يحرس شواطئ البحر الأبيض ويفتش المراكب التى تقترب من المياه الاقليمية ، وصادر كثيرا منها .

أرادت جبهة التحرير أن تبرهن على اتحادها مع المغرب ، وتربط حركة النضال الجزائري بالحركة الوطنية في الشمال الافريقي ، فأظهرت التضامن والاتحاد في الذكرى الثانية لعزل جلالة محمد الخامس رحمه الله عن عرشه وذلك يوم 20 أوت سنة 1955م ، فشنت هجوما على المدن والقرى الواقعة شمال قسنطينة مثل عين أبييد ، وسكيكدة ، وعنابة ، وغيرها من بقية المدن الأخرى .

ثارت هذه النواحي كلها على المعمرين من الفرنسيين القاطنين في هذه الجهة فقتلوا وخرّبوا كلما وصلت اليه أيديهم ، ويقدر عدد القتلى من المعمرين بحوالى واحد وسبعين قتيلا ...

هالت هذه الحوادث السلطة الفرنسية وأزعجتها ، فانتقمت من سكان هذه المناطق شر انتقام ، فهجم الجيش الفرنسى على الدواوير والقبائل ، ففتك بالعجزة والضعفاء والأبرياء فتكا شنيعا ، فكان يحرق الدواوير بما فيها ويتبع السكان الهاربين الى قمم الجبال ، والمختفين في بطون الأودية ، ويأتون بهم في شاحنات فيجمعهم في مكان واحد ويطلقون عليهم النار .

ورغم هذا العذاب والتقتيل ضاعف سكان هذه المناطق من نشاطهم الحربى ، وصاروا يتسابقون الى الجهاد في سبيل الله رجالا ونساء وكانوا يقدمون أموالهم الى الثورة قياما بواجب الوطن وحقوقه المقدسة وفي أيلول سنة 1955م أصدرت جبهة التحرير منشورا الى نواب المسلمين على اختلاف مجالسهم بأن يقدموا تسليماتهم من هذه المجالس لكى لا يتركوا للحكومة الفرنسية أى وسيلة تتذرع بها ...

فبهذا التسليم قطع الشعب صيلته بالحكومة ، وأصبحت جبهة التحرير الوطنى تمثل الأمة تمثيلا حقيقيا ، وبهذا التسليم انحل المجلس الوطنى الجزائرى الذى أسس من بعد الحرب العالمية الثانية .

أصبحت الهيئات والمنظمات الوطنية تذوب في الثورة ، مثل النواب الذين نظموا هيئة وطنية ، وطالبت من الحكومة الفرنسية

أن تتفاوض مع الثوار وفي سنة 1955م وصلت الثورة الى مقاطعة
وهران تحت قيادة العرب بن المهيدى وبدأت تنتشر يمينا
وشمالا .

أصدرت القيادة العليا للثورة الى الشخصيات البارزة
والأحزاب والهيئات أن ينضموا الى جبهة التحرير لتوحيد الكلمة
وجمع الصفوف وفي هذه السنة 1955م قدمت جبهة التحرير قضية
الجزائر الى هيئة الأمم المتحدة لتتظر فيها وذلك بواسطة الوفود
الأسوية الافريقية فسجلت في جدول أعمال هذه الهيئة ولكنها لم
تناقش ، لأن الوفد الفرنسى امتنع عن حضور جلسات هذه
الهيئة .

وفي هذه السنة 1956م ألقى القبض على السيد رابح بوطاط
الذى كان مسؤولا عن العاصمة من طرف السلطة الفرنسية ،
وتمكن كذلك الجيش الفرنسى من القبض على قائد جبل أوراس
السيد مصطفى بن بو العيد ، وحبسه في سجن قسنطينة .

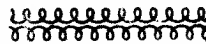
وفي سنة 1955م عقد رؤساء شعوب آسيا وأفريقيا مؤتمرا في
مدينة (باندوك) من جمهورية أندونيسيا المسلمة لتأييد الشعوب
المستعمرة لهاتين القارتين ، وللحد من سيطرة الاستعمار ، وكان
أقطاب هذا المؤتمر هم السادة : السيد جمال عبد الناصر رئيس
الجمهورية العربية المتحدة ، والسيد نهر رئيس الولايات الهندية ،
والسيد شواى لاي رئيس الصين الشعبية ... فقرر هذا المؤتمر
باجتماع اعانة الشعب الجزائري على استقلاله ماديا وأديبا ونص
في لوائحه الداخلية على أن هذا المؤتمر سيعقد في كل سنة في
عاصمة من عواصم هاتين القارتين ، يكون اما بطلب من أهلها ،
أو اللجنة الدائمة هي التى تعين مكان الاجتماع .

ونحن شاهدنا اعانة شعوب القارتين الفعالة للجزائريين
كيف كانت تمد الثورة بكل ما تحتاج اليه من العتاد الحربي
والذخيرة ، والدفاع عنها لدى جمعية الأمم .

وفي كانون الثانى سنة 1956م تأسس الاتحاد العام للعمال
الجزائريين تحت اشراف جبهة التحرير الوطنى ، وفي هذا الشهر
استشهد السيد مصطفى بن بو العيد ، وفي نيسان من هذه السنة

1956م التحق عباس فرحات رئيس حزب البيان مع السيد توفيق المدنى كاتب هيئة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وبعض الشخصيات من الجمعية بالقاهرة انضموا الى أعضاء الجبهة السياسية الخارجية .

وفي هذه السنة تكون اتحاد الطلبة الجزائريين ودعتهم جبهة التحرير الى مقاطعة الامتحان في الكليات الفرنسية ، ولقيت هذه الدعوة استجابة واسعة من طرف الطلبة ، ودعت كذلك التجار والفلاحين والشعب كله الى تموين جبهة التحرير بالمال والأشياء الضرورية ، وفي هذه السنة أصدرت الجبهة مجلة عربية أسبوعية للتعهد عن أعمال الثورة ، وهى مجلة المجاهد ، وفي التاسع من شهر نسيان سنة 1956م - ألقى القبض من طرف السلطة الفرنسية على كاتب هذا الكتاب ، وذلك في مسجد (بلكور) من العاصمة في يوم الجمعة بحيث أنزل من فوق المنبر انزالا ، وخطف من المحراب خطفا ، وفي الخامس من شهر تموز من هذه السنة وقع اضراب عام في الجزائر بمناسبة احتلال الجزائر من طرف الاستعمار دام خمسة أيام ، وكان انتصارا عظيما لجبهة التحرير ... توسعت أعمال الفدائيين في هذه السنة في الأرياف وخاصة في المدن ، وانتشرت الدعاية بصفة واسعة في الخارج للتشهير بالقضية الجزائرية وبصفة خاصة في أمريكا الجنوبية وآسيا وشمال أوروبا .



موقف الحكومة الفرنسية من الثورة وصداها في الداخل والخارج

كانت الحكومة الفرنسية متألّفة حينذاك من أحزاب اليسار ، ورئيسها (م مانديس فرانس) ينتمى الى الجناح الأيسر من الحزب الراديكالى ... والحاكم العام على القطر الجزائرى هو (م ليونار) الذى قدم تصريحه الرسمى عن حوادث الثورة التى أشرنا اليها سابقا ...

حاولت الحكومة اخفاء الحقيقة وتجاهلت الثورة ، وزعمت أنها من فعل العصابات قطاع الطرق الذين لا هدف لهم سوى السلب والنهب ، والحقيقة أنها كانت عالمة بأنها ثورة لا شك فيها ، ولذا وقفت منها من أول وهلة موقفا ايجابيا ، فاعتقلت عند بدايتها نحو ألفى شخص من المشكوك فيهم وحلت الأحزاب ، وأودعت بعض أعضائها السجن ، وقد أدلى رئيس الحكومة بتصريح قال فيه «ان الجزائر فرنسية والتفاوض الوحيد هو الحرب» .

واجهت الحكومة الفرنسية الثورة بموقفين حازمين : الموقف الأول عسكري بحث ففى اليوم الثانى وصلت الى ميناء عنابة ثلاث فرق من جنود المظلات ، وأعلن الحاكم العام في الجزائر حالة الطوارئ في المناطق التى كانت مسرحا للحوادث ، وبدأ يطبق فيها القوانين الاستثنائية ، ففرض الإقامة الجبرية على بعض الاشخاص ، وأخذ يراقب المتنقلين والمسافرين ، ومنع الاجتماعات العامة ، وكان البوليس يراقب الجزائريين ، وأنشأ محاكم عسكرية لا يجوز الطعن فيها أبدا ...

قدّرت الحكومة الفرنسية الثوار بألفين الى ثلاثة آلاف مقاتل ، وقال الحاكم العام يمكننى القول بأننى سأقضى على هؤلاء المشاغبيين أعداء الوطن خلال أيام . وقال أيضا سأقضى على الثورة في بضعة أشهر أو تنطفئ وحدها ، بعد ما تنكل الحكومة بهم وبأعوانهم ... وأعلن صراحه في بلاغاته الرسمية قال : لقد

سيطرنّا على الموقف تماما بعد حملة التهذئة التى اتخذها الحاكم العام . لكنه تراجع وعاد يقول : — بعد الخسائر التى ألحقها الثوار بالجيش الفرنسى ، وأعمال الفدائيين فى المدن — ان عدد الخارجين على القانون المشاركين فى حوادث الاجرام يبلغ ألف شخص ، وقد طلبت مزيدا من الجنود الذين يصلون فى الحال الى المناطق البعيدة ، والى بلاد القبائل الصغرى ولم يدر هذا الحاكم بأن الثورة ستتطور ويستفحل أمرها وتسطو على الحكومات الفرنسية فتحطمها واحدة بعد الأخرى بل تسطو على الجمهورية الرابعة فتزيلها من الوجود ، ولا يهدأ لها قرار ولا تسكن لها نامة حتى يتحرر الوطن كله من قبضة الاستعمار .

أعتبرت الحكومة أن مندوبها فى الجزائر قد فشل فى مهمته وخاب فى مسعاه فسحبته وعينت خلفا آخر له .

ولما رأت الحكومة أن الثورة قد أصبحت عامة فى شمال افريقيا فخافت من هذا اللهب المقدس المندلع أن ينتهى بأحراقها فى هذه الأقطار وانفصالها عنها كما انفصلت الهند الصينية* من قبل ، لأن هذه الأقطار لا تعدم المساعد والمعين واذا قدر لها أن تنفصل فمستعمراتها فى القارة الأفريقية سيكون لها نفس المصير ، فأرادت أن تطفىء هذه الثورة بشيء من الحرية بحيث اعطاء الثوار بعض الحقوق .

قدم وزير الداخلية (م ميترا) فى خمس يناير سنة 1955م مشروعا لتطبيق قانون 1947 — الذى صرح به الجنرال ديغول فى الجزائر ، وهو ادماج الجزائريين فى فرنسا ، فعرضه على الجمعية الوطنية للمصادقة عليه ، فعارضه أوريبو الجزائر معارضة شديدة ، ولما قدم للاقتراع لم يحظ بالأصوات اللازمة من طرف هذه الجمعية فسقطت حكومة (مانديس فرانس) ...

كلف رئيس الجمهورية (م ادقارفور) بتأليف الحكومة ، وكان هذا أيضا من الحزب الراديكالى الأيسر . عينت الحكومة الجديدة (م جاك سوستيل) واليا عاما على القطر الجزائرى ، وصل إليها فى خمسة عشر من فبراير 1955م كان هذا الوالى من الموالين لسياسة شارل ديغول فى الجمعية الوطنية ، ولكن (جاك

سوستيل) تنكر له وأصبح خصما لدودا لسياسته نحو الجزائر حينما أعلن تقرير المصير ...

جاء هذا الولي الى الجزائر يعمل معه اصلاحات اجتماعية يعنى تطوير الأنظمة مع لأعتراف بوجود شخصية جزائرية متميزة ثقافيا واجتماعيا ، وكان يجول في القطر ، وينتقل من بقعة الى أخرى ويصرح بقوله : ان الحكومة عازمة على اصلاحات هامة وتغييرات كبيرة في ميدانى الاقتصاد والاجتماعى ستكون بعيدة الأثر في حياة المواطنين ، وكان ينوه بهذه الاصلاحات في جميع خطبه التى كان يلقيها ليفصل الشعب عن الثورة ... ولم يدر أن الشعب أصبح لا ينخدع بهذه المخدرات ، ولا تنطلى عليه الحيل ولا المجاملات .

ومدة اقامته في هذا الوطن وهو يكرر في هذه الالفاظ بدون عمل : نشر التعليم والثقافة ، تعلم الصناعة لتتقدم البلاد ماديا وأديبا ، القضاء على البطالة بجميع أنواعها حتى ترتفع معيشة السكان ، ويضارع هذا الشعب شعوب العالم الحر .

ولكن الشعب لم ير هذه الاصلاحات الا ما يسمع عنها في الصحف والاذاعات ، هذه التصريحات والاصلاحات التى يشيد بها هذا الحاكم العام ما هى الا تقليد لكل وال جديد ترسله فرنسا الى هذا القطر .

أما الثورة فوقف منها موقفا حازما ، فأخذ في الحال في تعزيز القوات العسكرية وجلبها من فرنسا ، وارسالها الى المناطق التى شبت فيها الثورة ، فكانت النجذات تتوالى مدة اقامته وأخذ يلقي القبض على المشبوهين والمشكوك فيهم ظلنا منه أنهم يعملون مع الثوار في الناحية التى تقع فيها الحوادث ، وعلى رجال السياسة وعلماء الدين الأحرار ، فكانوا يستنطقون في مراكز التعذيب ، ومن بعد ذلك يرسلون اما الى السجون أو الى المحتشدات الكبيرة التى بدأت تفتح في كل ناحية ولما عجزت المحاكم عن استنطاق المتهمين لكثرتهم ، فأخذ يوسع فيها ويجلب لها القضاة من فرنسا . أعجب المتطرفون من غلاة الاستعمار وأصحاب اليمين بسياسته تمام الاعجاب لأنه كان يستعمل القمع الشديد في المناطق التى تدور فيها المعارك الدامية وحوادث الفداه ليرهب السكان ،

ويحصر الثورة في أماكن معينة ، ولكن الثورة كانت تفك الحصار وتشتعل في نواحي أخرى .

وفي تشرين سنة 1955م طلب رئيس الحكومة (م ادقارفور) من المجلس الوطني أن يمنحه الثقة ، فرفض المجلس هذا الطلب وكان القانون الفرنسي يخول لرئيس الحكومة أن يحل المجلس الوطني فعله وأعاد انتخابه من جديد في شهر كانون الأول 1955م وأنتصرت الجبهة الجمهورية والاشتراكيون ، والاتحاد الوطني الاشتراكي المقاوم والحركة الشعبية ، والراديكاليون .



الحكومة الفرنسية الاشتراكية

أسفرت الانتخابات عن تأليف حكومة اشتراكية صعدت الى منصة الحكم برئاسة (م غى مولى) وذلك في شهر يناير 1956م وأتتبع هذه الحكومة الجديدة نفس السياسة السابقة نحو الثورة بالرغم من أن هذا الرئيس الجديد أعلن أثناء الحملة الانتخابية بأن هدفه هو تحقيق السلام في الجزائر ، وصرح بأنه سيزور الجزائر وفي السادس من شهر فبراير سنة 1956م زار الجزائر ليباشر الأمور بنفسه ولكن ما كاد يصل الى ساحة الولاية العامة بالجزائر حتى لقاءه المعمرون بجموعهم الهائجة وفي مقدمتهم غلاة المعمرين المتطرفين بمظاهرة صاخبة لم يكن يتوقعها أبدا بحيث أهانوه فيها اهانة كبيرة ، فكانوا يقاطعون خطابه بالصراخ والتصفيق ، ويرمونه بالقاذورات ، وقوارص الكلم حتى ألجأوه عن التخلي والتسليم في سياسته التي كان يعتزمها في الجزائر فغير خطته تماما أزاء هذه المظاهرات التي جاء من أجلها ، فألقى الحل الذي كان يعتزمه ، وأصبحت حكومته حكومة متطرفة فبدلت الوزير الذي كان معينا كوال عام للقطر الجزائري وهو الجنرال (كاترو) هذا الرجل كان معروفا في جميع الأوساط برسول السلام برجل آخر اسمه (م لوبير لاکوص) جبار عنيد يقال أنه من نجل الجنرال بيجو السفاح . وفي أبريل من هذه السنة توالى الامتدادات العسكرية والتعزيزات الحربية الى الجزائر ، فاستدعى رئيس الحكومة 80 ألف جند من جنود الاحتياط فأصبحت قوة فرنسا في الجزائر ما يقرب من نصف مليون جنديا ، وفي الثانى عشر من هذا الشهر نفسه تقرر القاء المجلس الجزائري ، وجندت الحكومة أوربى الجزائر ، وانتشر الجيش الفرنسى على التراب الوطنى من أقصاه الى أقصاه ، وخيم في كل ناحية ، وأعلنت الحكومة الاشتراكية حربا منظمة على الثورة والشعب معالاهوادة فيها ، وأصبح السلم الذى كان ينتظره العالم من هذه الحكومة بعيدا جدا .

ولما أستعدت الحكومة الاشتراكية للحرب أعلن رئيسها (م غي مولى) عن الحل الذى يريده للجزائر ، وكان يتخلص في ثلاث نقاط : ايقاف القتال ، الانتخابات ، المفاوضات ، ولم يصرح ما هو نوع الحل ، ودعا جيش التحرير الى تسليم سلاحه ، وقال ليثق الثوار أن الحكومة الفرنسية لن تنتقم من المقاتلين ، وفي تصريح آخر أراد أن يحدد علاقة الجزائر بفرنسا فجاء بموقف غامض لمخصه في العبارة الآتية فقال : (ا ن الجزائر ليست أقليما فرنسيا لأن أغلبية السكان تتصف بسميزات اجتماعية وثقافية مغايرة للفرنسيين وليست الجزائر في نفس الوقت بلدا عربيا لأن سكانها من البربر ، ولا هى دولة اسلامية لاستيطان الأوربيين فيها ، وانما أقول ان للجزائر شخصية خاصة تربطها بفرنسا روابط لا تنفصم عراها في جميع الميادين) .

وفي صيف هذه السنة أوصى الحزب الاشتراكى في مؤتمر له بأجراء مفاوضات مع جبهة التحرير لمس النبض كما يقال ، ولكن الحكومة اعتبرت مثل هذه المفاوضات توريطا لها لأنها تتضمن اعترافا بجبهة التحرير ، وقفت زمنا طويلا ، وهى تتردد وفي النهاية أكتفت بارسال مبعوثين غير رسميين تقابلا مع بعض أعضاء جبهة التحرير في يوغسلافيا .

تطورت الحرب وأظلم الجو وأكفهر ، واختفى السلم ، وكان رد الفعل من طرف الثوار قويا جدا على خطة الحكومة الاشتراكية ، وكانت العاصمة وبقيت المدن الأخرى مسرحا لحوادث الفداء الدامية وأصبحت منشآت الحكومة ومنتوجات المعمرين عرضة للتخريب والتهديم والاتلاف ، ففى سنتى 56 - 57 كانت حوادث الفداء في العاصمة وحدها تزيد على ألفى حادثة في الشهر الواحد ، وعمت الحوادث الوطن كاملا حتى اضطر المعمرون الى مغادرة سكناتهم وضياعهم ولجأوا الى العواصم والمدن الكبيرة ليكونوا تحت حماية الجند الفرنسى ، والذى بقى في مكانه كان يؤدى الى جيش التحرير الأعانة المالية .

جدت الحكومة الاشتراكية من جهتها في معاقبة المسلمين معاقبة جماعية بحيث صارت تأخذ البرىء والمسالم بالمحارب ، وتلقى

القبض على من شارك في الثورة وعلى من لم يشارك فيها ، فالشعب كله كان في نظرها مشاركا فيها ، فأرادت بهذه الأعمال الوحشية أن تلقى الرعب في قلوب المسلمين لينفصلوا عن الثورة ، وكانت توقف الشخصيات في الناحية التي تكثر فيها الحوادث وتحصرها بالجنود والمصفحات كي لا تتسرب الى غيرها من المناطق الأخرى .

أما الأشخاص الذين لهم ماض سياسي ، أو سمعة طيبة في أوسط الشعب أو رجال الدين كانت تلقى عليهم القبض أين ما كانوا وتزج بهم في المحتشدات الكبيرة ، والسجون المظلمة بعد ما تستنطقهم في المحاكم ، وهذه المحاكم هي مزارع المعمرين ومراكز الشرطة وثكنات الجنود ، بخلاف المراكز الرسمية المشهورة للأعتقال . كل هذه المراكز أتخذتها الحكومة الاشتراكية للتعذيب والتنكيل بالشعب ، فأشحنتها بآلات التعذيب المختلفة الأنواع والأشكال وجنود المظلات والبوليس السرى ورجال الدرك مع كلابهم الشرسة ، يسلط على المتهم الضرب أولا ، ثم يعلقونه بالأحبال والسلاسل ويحمون الحديد في النار حتى يحمر فيكونون به لحمه في جميع جسده ولا سيما الأماكن الحساسة ، ومن بعد يضعون على الأجراح الملح ، ويبقى على هذه الحالة من التعذيب مدة تتراوح ما بين ستة ساعات الى ستة عشر ساعة حسب المعدين له ، ومن بعد ينزلونه ، وجروحه الدامية فاغرة الأفواه فيغطسونه في أحواض الماء القذر المعدة لهذا الغرض خصيصا ، ويلزمونه بشرب هذا الماء بواسطة أنبوب حتى تمتلئ معدته من فضلات الإنسان وغيرها ، ومن بعدما يمتلئ بطنه يدوسونه بأرجلهم فيخرج الماء من المنافذ ، ولما تتم هذه العملية يعيدون عليه السؤال . مع من كنت تعمل ؟ وأين السلاح ؟ الى غير ذلك من الأسئلة المخرجة فان أبى يجلسونه فوق القارورة ويطلقون عليه الكلاب الشرسة فتمزقه تمزيقا ، والضحية في هذه الأحوال كلها مجردة من الثياب منهوكة القوى خائزة الأعصاب ، وإذا فقدت الوعي والأحاساس يسلط عليها تيار كهربائي فيهز كيائها هذا عنيفا تكاد روحها تخرج ويا ليتها تخرج ، وتبقى الضحية في هذه الحالة من العذاب مدة من الزمن تتراوح ما بين شهر الى ثلاثة أشهر حتى تخرج ما عندها من المعلومات عن الثورة ،

فعندئذ ينتهى البحث معها وكثيرا من المذبذبين الذين لم يلاقوا حتفهم في هذا التعذيب يخرجون مشوهين ومعطوبين من هذه العمليات في ذواتهم أو في عقولهم ، ومن ثم ينقلون الى المعتقلات أو السجون على حسب التهمة والأعتراف ، وكان تفتيش السكان وترويع النساء والأطفال ، وحصر المدن والقرى هدفاً لجنود المظلات والحرس المتنقل ، ورجال الدرك ، وهذا هو شغلهم الشاغل ليلاً ونهاراً ، وفي أى وقت شاءوا يدخلون الى المنازل ويعبثون بأثاثه ، ويتلفون ما فيه من الأواني والأطعمة ، وينهبون النفائس من الجواهر والحلى والدراهم ، ويتعدون على الشرف والعفاف أمام الأب والزوج والأخ الى غير ذلك من اهدار الكرامة البشرية ، والاستخفاف والازدراء بالقيم والمثل الانسانية بحيث تجاوزوا كل حد وقانون وعرف في تاريخ البشرية الطويل العريض .

وتارة يحاصرون القرى في الليل ويطوقونها من كل ناحية ، ويخرجون أهلها وهم في لباس النوم رجالاً ونساء وأطفالاً الى الملاعب العامة فيفحصون أوراق تعريفاتهم والويل لمن حامت حوله الشكوك فينقلونه في الحال الى مراكز التعذيب للاستنطاق وهكذا يفعل الجيش الفرنسى بالمسلمين في كل ناحية من نواحي الوطن .

هذه الكيفية من التعذيب لازمت الشعب الجزائري طوال سنى الحرب ، وهذا العذاب يستعمل للرجال وللنساء والأطفال المراهقين بدون تمييز .

والمنظمة الارهابية التى نظمها المعمرون لها اليد الطولى في هذا الميدان ، فكان أفرادها يرتدون لباس الجند ويأتون الى المنازل ليلاً فيخطفون الأشخاص المقصودين ويذهبون بهم الى حيث لا يعلم أحد ، فكم من شخصية بارزة أختطفت في لباس النوم ليلاً لا يسمع الا الصراخ والعويل في ظلمة الليل البهيم مثل العالم الجليل الشيخ العربى التبسى وغيره .

أتينا بهذه النبذة القصيرة عن أعمال المتحضرين الذين يهذبون الشعوب ليقارن كل عاقل بين معاملة جيش التحرير

للأسرى الذين كانوا يقعون في قبضته ، فكان يعاملهم معاملة حسنة فيفضلهم على نفسه في المأكل واللباس ، هذه الأخلاق النبيلة التي أتصف بها جيش التحرير في ثورته هي من تعاليم الاسلام الذي يعامل الانسان معاملة كريمة تليق به .

اننا نختصر في هذا الغرض على الأهداف الهامة التي كانت تمكر الجو على السلم في جميع الحكومات الفرنسية وبصفة خاصة الحكومة الاشتراكية كانت تتبع باهتمام كبير حركات الشعب المغربي والتونسي نحو الثورة الجزائرية فتحصى عليهما أنفاسهم .



خطف الزعماء الخمس من الجو

كانت فكرة المغرب العربي الكبير قد خامرت الرؤساء السياسيين منذ زمن بعيد ، ولما ثارت هذه الأقطار الثلاث ، وتحرر الشعبان الشقيقان تونس والمغرب الأقصى ، وبقيت الجزائر وحدها في المعركة مع فرنسا ، ولكنها كانت سائرة في طريق التحرير .

أراد رؤساء الأقطار الثلاث أن يبرزوا فكرة اتحاد المغرب العربي الكبير الى الوجود . لأن الوقت قد حان ، فكان قادة الأقطار الثلاث ينتقلون من قطر الى قطر لتبادل الآراء والأفكار ، ومن بينهم زعماء الجزائر الذين كانوا لا يفارقون أقطار المغرب العربي الثلاث .

اتفق قادة الاقطار الثلاثة على اتحاد المغرب العربي الكبير الذى هو خطوة كبيرة في تحقيق أهداف هذه الشعوب ، ولم يبق الا الاعلان عنه في اجتماع رسمى يحضره الرؤساء والشخصيات البارزة من الأقطار الثلاثة ، فعينوا العاصمة التونسية مكانا لهذا الاجتماع التاريخي ، وذلك في شهر تشرين الأول سنة 1956م وكان زعماء الجزائر الخمس في المغرب الأقصى ضيفا لدى جلالة الملك محمد الخامس - رحمه الله بمناسبة هذا الاجتماع ، قرروا أن يسافروا معه الى تونس على متن طائرتين طائرة تنقل الملك وحاشيته والأخرى تنقل الزعماء الجزائريين ، وأسرعت الشخصيات والأعيان من هذه الأقطار الى مكان الاجتماع التاريخي الخطير ...

ولما علمت السلطة الفرنسية بهذا الاجتماع أرادت أن تبطله ، فأوعزت الى مواطنيها الذين يعملون في مطارات المملكة المغربية بعرقلة هذا الاجتماع وأخبرتهم بما عزم عليه القادة العسكريون من خطف الزعماء الجزائريين من الجو ، ولكن يجب فصلهم عن الملك في سفره - .

طبق العمال الفرنسيون هذه الأوامر الصادرة اليهم من القيادة العسكرية في الجزائر بكل دقة ومهارة غير مكثرئين بحكومة جلالة الملك ، ولما حان وقت السفر أقلعت طائرة الملك صباحا ، وتظاهر العمال الفرنسيون باصلاح الطائرة التى تنقل الزعماء الجزائريين ، وكان هذا الاصلاح مقصودا ليفصلوا بين جلالة الملك والزعماء ، وفي المساء أقلعت هذه الطائرة فتعرضت لها السلطة العسكرية الفرنسية في الجو ، وأرغمتها على التوجه الى الجزائر والنزول في مطار دار البيضاء ، وسرعان ما امتثل سائق الطائرة ، ونزلت في أول الليل في المطار المذكور .

وجد الزعماء الخمس الشرطة في انتظارهم فقيدوهم وساقوهم الى السجن ، وبهذه العملية خرقت الحكومة الفرنسية القوانين الدولية ولم تبال بالاتفاقيات التى بينها وبين الملك ، ولم تحترم شخصيته ولا كرامة شعوب المغرب العربى الكبير ...

وكانت تظن الحكومة الفرنسية بهذه العملية تقضى على الثورة في الجزائر ولكنها خابت في تقديرها وتفكيرها ، اعتبر الشعب الجزائرى هذه الحادثة ما هى الا جزء من حوادث الثورة الكثيرة ، فزادته تماسكا وثباتا وعزيمة وصلابة ، فقام في الحال قادة آخرون مقام الزعماء الأولين كانوا أشد مراسا وقوة فواصلوا الحروب .

ولما سمع الرؤساء والجماهير التى كانت تنتظر في وصول الزعماء الى مكان الاجتماع بهذا الحادث المفجع ، ثارت تائرة شعوب هذه الأقطار وهاجت لهذه الالهانة والاحتقار ، وعرفت المكيدة من أين جاءت ، جاءت من الجالية الفرنسية التى لا زالت تقطن في هذه الأقطار ، هى التى كانت سببا في هذا الحادث المؤلم .

أما الذين ضبطوا أعصابهم من هذه الشعوب فاكتفوا بالاحتجاجات المصارخة على هذه الأعمال التى هى منافية للأخلاق والمروءة وللقوانين الدولية ، واهانة لصاحب الجلالة محمد الخامس لأن الزعماء الجزائريين كانوا في ضيافته .

أما الشعب المغربى فلم يستطيع أن يضبط أعصابه ، فصب جام غضبه على الجالية الفرنسية التى كانت تسكن في المغرب

الأقصى ، فدهما الثائرون من المغاربة ، فأتلفوا لها ما يقرب
من أربعمائة مزرعة ، وقتلوا وأحرقوا وهدموا وحطموا كلما
وصلت إليه أيديهم ، وانقطعت العلائق بين فرنسا وبين هذه
الأقطار ...

المسؤول الوحيد عن هذه الأعمال القرصنة هو الوزير
الفرنسي المقيم في الجزائر .



الهجوم المثلث على مصر

كانت لمصر محطة كبيرة تذيع الأخبار وتدعو الى تحرير الشعوب وكان قسم منها سمته صوت العرب ، كان هذا القسم خاصا بالشؤون العربية ، يوجه الجماهير العربية ضد الاستعمار الغربى ، وينشر مساويه ويفضح أعماله التى كان يرتكبها في الجزائر ، ويدعو الى مؤازرة الثورة وتأييدها فكان لهذا الصوت أثر بليغ في نفوس الجزائريين بحيث حرك النخوة والشهامة فيهم...

ضاقّت الحكومة الاشتراكية الفرنسية بهذه الاذاعة الواسعة الانتشار ذرعا واعتبرتها اعانة كبيرة للثورة لأنها اللبت عليها الشعب ، فخبهته من غفلته ، وبعثت فيه الشجاعة والتضحية ، وعرفته بأعدائه ألا وهو الاستعمار ، فأصبح لا يرضى الا بالاستقلال والحرية التى تأتى عن طريق الكفاح المسلح ، فأنخرط في سلك الثورة ، وهذا من جملة الأسباب في الهجوم المثلث على مصر ، وكان في شهر تشرين الثانى سنة 1956م .

الاضراب العام الذى دام ثمانية ايام

وفي شباط سنة 1957م فتحت جمعية الأمم جلستها السنوية ، وقيدت قضية الجزائر بصفة رسمية في جدول أعمالها بطلب من الشعوب الأسوية والافريقية لتناقش على هذا المنبر العالمى ، فناهزت جبهة التحرير هذه الفرصة ، وأرادت أن تبين للعالم بأن هذه الثورة شعبية لا كما يدعيه الاستعمار الفرنسى بأنها ليست من الشعب ، وانما هى من المشوشين وقطاع الطريق تريد النهب والسلب فقط ...

ولما قدمت القضية للمناقشة من طرف الهيئة الأممية ، أصدرت جبهة التحرير أوامرها للشعب بأن ين عزل عن العمل ثمانية ايام ليتحقق العالم من تضامنه واتحاده مع الثورة ، فاطاع الشعب هذه الأوامر ، وأضرب عن العمل بجميع طبقاته ، وبرهن على أنه من وراء جبهة التحرير ، فهى التى تمثله تمثيلا ، حقيقيا ، فتحقق العالم من أن هذا الاضراب العام كان تأكيدا وتدعيما للثورة ، وصار حجة فاطعة في يد جبهة التحرير تدحض به أقوال الخصم في المحافل الدولية والاجتماعات العامة .

بدأ العالم يعطف على هذه الثورة ويؤيدها ، وانقسمت الهيئة الأممية في شأنها فبعضها يؤيد فرنسا ، ويعتبر هذه القضية قضية فرنسية لا دخل لمجلس الجمعية فيها ، ويفوض حل القضية اليها ، وبعض من هذه الهيئة يلزم الحياد عند الاقتراع ، والباقي يؤيدها .

وقفت الحكومة الفرنسية من هذا الاضراب موقفا حازما ، فقررت منعه منعا باتا ، وأخذت لذلك جميع الاحتياطات والتدابير اللازمة لمجابهته بالقوة ، فأوعزت الى القادة العسكريين بأن يحلوا هذا الاضراب ويبطلوا مفعوله بأى وسيلة كانت ، حتى لا تتكرر مثل هذه الوقائع ، والعقاب الصارم لمن حدثته نفسه بالامتنال لأوامر الثورة فيكون عبرة لغيره ، ويجب عليهم

أن يظهروا العواصم من حوادث الفداء الدامية التى خيم الرعب على سكانها منذ نشوب الثورة .

وكان بطل هذه العملية هو قائد جنود المظلات الجنرال (ماسو) فبدأ هذا الطاغية يهىء في المعتقلات ، ويفتح سجوناً أخرى ، ويعد أنواعاً من أساليب العذاب والابادة للمواطنين ، وحشد قوة هائلة من الجند في كل ناحية من نواحي الوطن ، وحاصر جميع المدن والقرى ، وأخذ ينذر السكان المسلمين ويهددهم عن طريق الاذاعة ومنشورات كتبت خصيصاً تحذر السكان من مغبة هذا الاضراب الذى أمرت به الجبهة ، وقال (كل من يمثل لهذا النداء سواء كان من التجار أو العمال أو غيرهم يعتبر ثائراً ، فتحل عليه العقوبة ، فالتجار تصادر أموالهم ، وتغلق محلاتهم الى أجل غير مسمى والعمال يطردون من وظائفهم ويعاقبون ، فوزع هذا التهديد على السكان المسلمين) ...

ولما وصل اليوم المعين للاضراب أصبح الشعب كله مضرباً عن العمل حتى الشعوب العربية شاركت في هذا الاضراب تضامناً مع الجزائريين وفي صبيحة هذا اليوم هجمت الجنود الفرنسية في كل ناحية من نواحي القطر على المحلات التجارية في المدن والقرى ، فكسرت أبواب الدكاكين وأتلفت ما فيها من البضائع والمواد ، وأشحنت النفيس منها في شاحنات الجند ، والباقي أباحته الى الجالية الأوربية ، ومن بعد ذلك يغلق المحل وتعلق عليه لافتة مختومة بطابعها (ممنوع الفتح الا برخصة من طرف الجنود) وكانوا يحملون الناس الى الملاعب العامة للبحث عن أسباب الاضراب ، ومن بعد ينقلون الى السجون أو المعتقلات .

هذه المعتقلات كثيرة جداً ، وكل يوم يدخل اليها آلاف من المواطنين على اختلاف طبقاتهم ذكورا وإناثا ، وكم من نفوس سيقت الى العذاب ظلماً وعدواناً ، وكم من أموال أتلفت جمعها أصحابها بعرق الجبين أصبحت الأمة كالأنعام تحمل في شاحنات الجند الى المزاجر والمشانق والتعذيب ، فأموالها مصادرة ، ومساكنها مخربة ومهدومة ، وشرفها مداس وكرامتها مهدورة ، ولم تجد ملجأ تلجأ اليه الا الصبر الذى لا شكوى فيه ، فمرت كلها - تقريباً - على التعذيب والتنكيل .

أما الحيوانات فكان الجند الفرنسي يجمعها ، ويصطفى منها نفسه المختارة والتي تليق به ، والباقي يطلق عليها النار لكي لا يستفيد منها جيش التحرير . الخلاصة أن الجزائريين نكبوا - في هذه العملية - في الرجال والأموال وفي الشرف نكبة لانظير لها في تاريخ الانسانية ، والمحظوظ منهم من كان في الجبل حاملا سلاحه ، أو في السجن صابرا محتسبا أو في الخارج بعيدا عن الوطن . نشأ عن هذه الحالة استياء عام وغضب شديدان من جراء هذا التعمسف فأصبح الشعب يغلي من هذا الظلم الصارخ ، والاهانة التي أصابت كبريائه فآثر فيه الاحتقار ، فأصبح يدافع عن نفسه دفاع المستमित ، فالذي كان مترددا ولم يشارك في الثورة انضم اليها في الحال ، والجبران صحا من جبرته وتردده ، وأصبح لا يشك في مصيره في الفناء ، أدرك الشعب كله أنه لا تنجيه من هذه الابادة المحققة الا الوقوف صفاوا حدا في وجه الاستعمار ... والحقيقة أن هذه المعاملة السيئة من طرف الاستعمار هي التي كانت سببا في اتحاد الشعب ، وانخراطه في صفوف المكافحين ، فأصبح يتسابق الى مراكز المجاهدين في رؤس الجبال يقدم اليهم نفسه والمعونة المالية وغيرها عن طيب نفس ليكافح الجند الفرنسي الباغي رجالا ونساء حتى اظطر قادة الثورة أن يردوا الناس الى أماكنهم .

ولا يفهم من هذا أن الشعب كانت صفوفه كلها طاهرة من الخونة بل كان يوجد بعض الخونة من الشعب الذين لا يخلو منهم زمان ولا مكان أغراءهم الاستعمار بدعايته وأمواله ، فيعدهم وما يعدهم الا عرورا ، ويمنيهم بالأمانى الكاذبة ، فهؤلاء الخونة من ذوى الضمائر الخربة ، وبسبب الطمع وعدم الوعي والشرف يجدون في قتل اخوانهم ، وتعذيب مواطنيهم ، فلاستعمار يريد أن يحارب الشعب بعضه بعضا ، ولولا قوة الثورة لوقع الانقسام في صفوفه ، ولكن موقفها الصارم لهؤلاء الخونة ، ومعاقتهم معاقبة لا هوادة فيها هو الذي حفظها من الانقسام ، فكان الثوار يذبحون الخونة كما تذبح الانعام ، ويتركونهم على قارعة الطريق ليعتبر بهم أمثالهم ، هذا الصنف من الخونة كان أشد على الثورة من الاستعمار .

ومن بين هؤلاء الخونة أين الونيس ، وابن الحاج الجيلالي وكلاهما ينتميان الى حزب حركة الانتصار ، فتحالفا مع الاستعمار الفرنسى وأمدهما بالسلاح والعتاد الحربى والأموال .

فتمركز أين الجيلالى في واد الفضة ناحية الأصنام ، وابن الونيس في ناحية سيدى عيسى والجلفة فكانا يحاربان في جبهة التحرير مع الجيش الفرنسى ، فعاثا في الأرض فسادا ، وقتلا خلقا كثيرا لا يحصى عددهم أما نهب الأموال وتعذيب الشعب ، فتعذيب الاستعمار لا يعد شيئا بالنسبة الى تعذيبهما ، ولكن في النهاية قضى عليهم وعلى أعوانهم جيش التحرير ، وأما الذين جندهم الاستعمار من (الحركة) الذين كانوا يقاتلون في صفوفه ، فهم كثيرون جدا .



الأسلاك الشائكة على طول حدود الجزائر شرقا وغربا «ومراقبة البواخر من ناحية البحر»

ولما تحقق قادة الثورة من أن فرنسا عازمة على مواصلة الحرب وإبادة الشعب ، عزموا على تكوين جيش منظم تنظيما عصريا من الشباب ليدافع عن الوطن ، فبدأوا يجمعون الشباب ويرسلونهم الى القطرين الشقيقتين تونس ، أو المغرب الأقصى ، ومن ثم يوزعونهم ، فبعضهم يذهب الى الشرق العربي ، وبعض الى أوربا أو الصين الشعبية يتدربون على حرب المصابات ويتلقون دروسا على مختلف الأسلحة المصرية ، والبعض من هؤلاء الشباب يبقى في القطرين الشقيقتين يزاوّل تدريباته ، وبعد ما ينتهى الشباب من التدريبات العسكرية ، يرجعون الى تونس أو المغرب ليدخلوا الى الوطن .

في هذه الفترة بدأ جيش التحرير يتكون على أساليب ونظم فنية ، وسلاح عصري ، وتمركز على الحدود الجزائرية من جهتي الغرب والشرق .

وكانت الحكومة الفرنسية على علم تام بهذه الخطة ، فأراد الجيش الفرنسي أن يحتل تونس والمغرب ليضمن الحدود غير أن الحكومة الفرنسية خافت من تدخل جمعية الأمم لأن تونس والمغرب عضوان فيها ، فعمدت الى تطويق الحدود الجزائرية من جهتي القطرين معا بأسلاك شائكة مكهربة ملفمة لتمنع تسرب المجاهدين من الدخول الى الوطن ، وتمنع كذلك المؤنة والذخيرة الحربية من الدخول الى الجزائر ، وسمته (خط موريس) لأنه هو صاحب الفكرة ، وفي نفس الوقت كان وزير الدفاع ...

هذه السدود من الأسلاك الشائكة عاقت كثيرا أعمال الجبهة ، وعرقلت نشاطها ، وسببت لها صعوبات كثيرة ومتاعب جمة ، كان أغلب الجيش الفرنسي في الحدود ، ومجهزا بالردار ، فكل من يقترب من الأسلاك الا وينقل احساسه في الحال الى مركز المراقبة ، لهذا أصبح المرور عليه صعبا جدا رغم الآلات التي

كانت تستعمل ضدها ، وكان لا بد من المرور على هذه الأسلاك الشائكة والمخطوط النارية ، لأن أوامر القيادة والمؤونة والذخيرة كانت كلها على الحدود ...

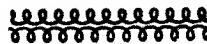
فرضت السلطة الفرنسية المراقبة على البواخر التي كانت تمر في البحر الأبيض المتوسط خوفا من حمل السلاح الى الجزائر ، لأن الجبهة عقدت صفقات شراء مع بعض المنظمات الأوربية تباع لها السلاح ، فتحمله المراكب وتفرغ شحناتها في نقطة معينة من شواطئ البحر الأبيض المتوسط وفعلا ألقى الأسطول الفرنسي القبض على عدة باخر كانت مشحونة بالأسلحة والذخيرة ، فصادرها في الحال ، وأصبح أهلها يحتجون .



القانون الاطارى

ولما عجزت الحكومة الفرنسية على القضاء عن الثورة عمد الوزير المقيم العام في الجزائر الى لعبة يريد أن يموه بها على الثورة والشعب ويخدعه بهذه الحلول الزائفة ، فساسة فرنسا لزالوا يحلمون - كما كانوا في الماضى - يظنون أن الشعب الجزائرى لم يبلغ سن الرشد ، فينخدع بالمجاملات ، ويقنع بالتعللات ويرضى بالتوافه .

اقترح الوزير المقيم (م لاكوست) على البرلمان الفرنسى أن يمنح الشعب الجزائرى القانون الاطارى ، وهذا القانون غير معقول لا في نوعه ولا في معناه وانما عقلية الاستعمار تأتى بالمعجزات ولا تعرف المستحيل ، ومع هذا مكث البرلمان الفرنسى يدرس في هذا القانون ما يقرب من سنة ، فكان يختار المواد التى تترك الجزائر مرتبطة دائما مع فرنسا أكثر مما كانت ، وفي كل جلسة يناقش البرلمان القانون الاطارى ، فينزع منه المواد التى تسمح للجزائريين بنصيب من الحرية ، وفي جلسة أخرى ينقص بعض المواد التى قررها في الجلسة الماضية لأنها تجعل الجزائريين يتمتعون ببعض الحقوق وهكذا كان ينقص من المواد المقررة ، ويضيف اليها مواد أخرى حتى أصبح هذا القانون خاليا من كل معنى ومحتوى .



سقوط الحكومات الفرنسية على التوالي

عجزت الحكومة الاشتراكية الفرنسية عن القضاء على الثورة ، وسئمت الحرب التي طال أمدها رغم النشاط الذي اتسمت به في الميدان العسكري ، ورغم سياسة الارهاب والبطش اللذين اتخذتهما ازاء المسلمين ، ورغم التصريحات باستقلال الشخصى ، والانتخابات من بعد وضع السلاح ، وهذه التصريحات كلها كانت تمويها وخداعا ، وفراغا في فراغ لا فائدة منها ... وفي حزيران سنة 1957م سقطت حكومة (قى مولى) وأخلفتها في الحكم حكومة (بوجيس مونيرى) فسارات أشواطا قصيرة ، ثم سقطت ، ومن بعد هذه الحكومة صعدت الى منصة الحكم حكومة (فليكس قيار) ، وهاتان الحكومتان كانتا امتدادا لحكومة (قى مولى) ، فهذه الحكومات كلها كانت تنتسب الى الحزب الاشتراكى الفرنسى ، سارت هاتان الحكومتان على نفس الخطة التي سارت عليها الحكومة الأولى ، ولم تغير شيئا منها .

وفي هذه المدة شاعت أعمال الزجر التي يستعملها الجيش الفرنسى في العالم ، وذلك بواسطة الاذاعات والجرائد والمناشير المصورة التي كانت توزع على الناس والافلام السينمائية التي كانت تكشف عن الجرائم التي يرتكبها الجيش الفرنسى في الجزائر ، فضج العالم من هذه الأعمال الوحشية فتبرأت الأحزاب الاشتراكية العالمية من الحزب الاشتراكى الفرنسى الذى خالف مبداه في الحرية والمساواة وكذلك العقلاء من الفرنسيين فكانوا ينصحون حكومتهم بحل هذه القضية حلا سلميا .

لكن الوزير المقيم في الجزائر عارض هذا الحل ، ووقف في وجه كل من يريد المفاهمة مع جبهة التحرير الوطنى بكل شدة ، وطلب من الحكومة الفرنسية أن تمنحه ربع الساعة الأخيرة يعالج فيه الوضع الجزائرى لعله يجد حلا مقبولا من الطرفين ، لكن هذا الربع طال حتى بدأ بعض الفرنسيين ينادون بسقوط الوزير ، واتهموه بأنه كان حجر عثرة في طريق المفاهمة ، وسببا في تعكير

الجسور ، واضطراب الأحوال وكانت الحكومات في سقوط متوال والاقتصاد في انهيار وخراب واختلقت أحزاب فرنسا فيما بينها في قضية الجزائر ، فبعضهم يطالب بالمفاوضة مع جبهة التحرير وباستقالة الوزير المقيم ، والبعض الآخر يطالب بالحرب ، وبابقاء الوزير في منصبه فكادت حرب أهلية تندلع بينهما .

وفي هذه المدة ضاقت القيادة العليا للجيش الفرنسي من حركات جبهة التحرير التي كانت على الحدود التونسية ، ومرورها على الأسلاك الشائكة ، لأنها جلبت الآلات اللازمة لقطع هذه الأسلاك ، ودربت فرقاً على ذلك وكانت تشرف على المرور ، وتنقية الطريق من الألغام لكي يمر المجاهدون بسلام ...

اعتبرت القيادة العليا للجيش الفرنسي هذه الأعمال من جانب الحكومة التونسية عملاً معادياً لفرنسا فقررت أن تعاقبها ففي شهر شباط سنة 1958م أمر الضباط الفرنسيون بتقنبلة ساقية سيدى يوسف داخل التراب التونسي ، وأنها لا تبعد كثيراً عن الحدود الجزائرية انتقاماً من الحكومة التونسية التي سمحت لجبهة التحرير بإقامتها فوق أرضها ... فوجئت هذه القرية الهادئة بسقوط القنابل ، وانفجارها على المنازل فكانت تخر على من فيها من الأبرياء الأمنين ، ماترى إلا النار مشتعلة هنا وهناك ، والأرواح تزهرق ، والناس في هلع وذعر لا يدرون ما دهاهم .

كان هذا العمل ظلماً وعدواناً صارخاً على دولة محايدة معترفا بسيادتها واستقلالها فثارت الحكومة التونسية بالاحتجاج لدى جمعية الأمم ، وأزرتها في ذلك بعض الدول ، واستاء الرأي العام العالمى من جراء هذا الهجوم الغادر الذى لا مبرر له ، وبدأت الاعانات والتبرعات من لدى المحسنين تصل الى المنكوبين من هذه القرية باستمرار .

اعترفت حكومة (فليكس قيار) بهذا الاعتداء ، وتوسطت أمريكا وانجلترا في هذا النزاع خوفاً من تدخل مجلس الأمن ، في هذه القضية ، فانتدبت كل منهما مندوباً عنها ليكون وسيطاً في الصلح ما بين حكومة باريس وتونس ولم ترض أى حكومة

منهما بالشروط التي تقدمها الدولة الأخرى ، ولم ترضيا
بالاقتراحات التي تقدم بها الوسيطان .

وفي هذا الأونة بدأت الحكومة التونسية تطالب بجلاء القوات
الفرنسية المرابطة بترابها ، وهكذا بقيت الحكومتان في أخذ ورد
حتى سقطت حكومة (فليكس قيار) ومن ثم أصبحت الحكومات
الشعبية الفرنسية لا تستطيع أن تثبت أمام الثورة .

بدأ رئيس الجمهورية الفرنسية (م كوتى) يستشير الأحزاب
فيمن يوليه دفة الحكم ، وقد امتنع النواب عن الترشيح لرئاسة
الحكومة وأصبحوا يفرون من المسؤولية خوفا من الثورة الجزائرية
العارمة .



تصاعد الثورة في الداخل والخارج

قال (فرانتى فانون) في منشورات للحكومة الجزائرية المؤقتة (ان الانسان الجزائرى هو انسان جديد ظهر في وهران وفي جبال أوراس ، وهو لن يحرر الجزائر فحسب ، ولكن يحرر شمال افريقيا وسيحرر العرب كلهم ، وسوف يكون النموذج والمثل الأعلى للمحارب العربى في سبيل عقيدة وفي سبيل حياة أفضل انتهى .

الثورة الجزائرية ثورة تحريرية شعبية تقف بجانب الثورة الفرنسية والروسية والصينية الشعبية والفيتنامية ، وأنها أكمل نموذج للثورة العربية الكاملة وأمجد صفحة في تاريخ الثورات الاسلامية ... ليست ثورة الجزائر ضد الاستعمار فحسب ، وانما هى حرب تحريرية شاملة تهدف الى تحطيم حلقة رئيسية من حلقات الاستعمار العالمى .

ولقد حققت الثورة الجزائرية آمال الشعوب المستعمرة ، سواء في آسيا أو في افريقيا ، أو في أمريكا اللاتينية في الحرية والاستقلال ، ومنذ اعلانها وحركة التحرير سائرة في العالم ، ولم تتوقف ولو لحظة واحدة ، حتى كاد يتحرر العالم الثالث تقريبا ، الشيء الذى عجزت عنه ثورات الشعوب الأخرى من قبل ثورة الجزائر .

وتحرير الجزائر قضية تهم الجزائريين وحدهم ، ولكنها في نفس الوقت تهم العرب جميعا لا بدافع الأخوة الاسلامية فحسب ، ولكن بدوافع المصالح المشتركة ... استعمار الجزائر كان الثغرة الأولى التى دخل منها الاحتلال الغربى الى العالم العربى كله ، ولهذا أصبح كل عربى مسلم - من بعد الاستقلال يعد ثورة الجزائر ثورته .

الثورة الجزائرية الكبرى تهم كل الأحرار في العالم لا بدافع العطف على الحرية ، ولكن بدافع الاشتراك في مصير الشعوب المستعبدة ، لأن الجزائر هى البوابة الكبرى التى دخل منها

الاستعمار الغربى الى القارة الافريقية حتى سقطت في قبضته كلها .

استقلال الجزائر معناه استقلال القارة السوداء ، ولهذا لما هبت شعوب هذه القارة لتحرير بلدانها وجدت الاستعمار محطما منهوك القوى بسبب ثورة الجزائر العارمة ، فنالت هذه القارة استقلالها بدون اراقة الدماء وبدون صعوبة تذكر .

ثورة الجزائر الكبرى قضت على طفيان الجيش الفرنسى ، وعلى نظام جنرالاته ، وعلى جميع السفاكين والمتعطشين للدماء ، والمتجبرين والمتحكمين في رقاب العباد فلقتهم درسا قاسيا ، فجعلتهم ينسحبون من القارة السوداء بدون حرب ...

وكان ضباط فرنسا أمثال ماسو ، وسالان ، وشال ومن لف لفهم يخوضون منذ عشرين سنة غمار حرب ضروس في العالم عساهم أن يحرزوا على نصر ما ولذا كانوا يحاربون الشعب الجزائرى الأعزل بأقوى قوة ، وأكبر عتاد حرب وأضخم جيش مما كان عليه أيام حربهم مع ألمانيا ، وفي حربهم مع الجزائر كانوا يستعملون هذه العبارة (كفانا اهانة ... كفانا استسلاما) ولكن أنى لهم الانتصار ، والشعب الجزائرى قد استيقظ من سباته ، وبدأ ثورته باسم الله ، ووقف بكل عزم وصلابة في وجه جبروت الاستعمار موقف رجل واحد ... لم يكن أحد يعلم أو يظن على الأقل أن الثورة ستصل الى ما وصلت اليه من القوة حتى انتصرت على أعظم جيش استعمارى في العالم ، وأرغمته على تغيير نظامه الذى كان يستعبد به الشعوب ، ولا أحد كان يظن أن الاستماتة التى أبداها كل من الطرفين المتحاربين في سبيل احراز النصر لا السياسيون المحنكون حتى قادة الثورة أنفسهم كانوا يجهلون عما تسفر عنه الثورة من الأحداث الجسام رغم تخطيطهم لها ، وتقديرهم للخسائر التى تنتج عنها ، والأهداف التى تصل اليها ...

وكذلك الحكومة الفرنسية لم تكن في يوم من الأيام تتكهن بهذه الصعوبات التى لاقتها في هذه الثورة الا أنها تدرك ما ينطوى عليه الشعب الجزائرى من طاقات حية على حسب مواقفها

معه في الماضي ، ولكنها لم تتوقع أن الشعب يتحد ويقف كرجل واحد في وجهها ، ويبرز بهذا التكتل والنظام الدقيق الذي أصبح مضرب الأمثال ، وانما كانت تظن أن هذه الثورة كالثورات الماضية ، فسرعان ما تفشل بسبب الاختلاف ومحاربة بعضهم بعضا ، ونسيت أن الشعب أصبح لا يتحمل حكم الاستعمار ، والحرمان الذي فرضه عليه منذ الاحتلال ، ولهذا وغيره اندفع في هذه الثورة كالتيار الجارف باسم عقيدته الاسلامية ودينه الحنيف ، والشعب اذا حارب باسم الاسلام لا تستطيع أى قوة مهما كانت أن ترغمه على التقهقر وهذا ما وقع ...

كانت فرنسا تظن أن هذه الثورة كالثورات الجهوية التي قامت في عهد الاحتلال كثورة عين التوتة ، وثورة مليانة ، وثورة أولاد سيدى الشيخ ، وثورة بلاد القبائل ، هذه الثورات كلها مهما بلغت من العنف لم تكن تكتسى صبغة نظامية ...

أما ثورة أول نوفمبر فقد أكتسبت من أول وهлит صبغة دينية وطنية ولهذا أن هذه الثورة لا تشبه الثورات التي خاضها الجزائريون مع الاستعمار من قبل .

كان المسؤولون من فرنسا يعلمون شدة مواقف الجزائريين الصلبة ، ومقاومتهم العنيفة الطويلة النفس لهذا عمدوا الى تسوية مشكل الهند الصينية ومنحوا الاستقلال للمغرب وتونس ليتفرغوا للحرب في الجزائر التي بدأت في الانفجار ، فاذا قضوا على الثورة في الجزائر ، فانهم لا يبالون بالاستقلال الذي منحوه الى تونس والمغرب ماداموا يملكون الجزائر ، لا يؤثر هذا الاستقلال على مصالح فرنسا ، بهذا تفرغت فرنسا من جميع المشاكل الخارجية ، وجمعت كلما كانت تملك من قوة ورمت بها الثورة في الجزائر .

خاض الشعب الجزائري حرب التحرير بكل قوة وعنف ضد الفاسيين ، فأصهرته هذه الحرب بحوادثها المؤلمة حتى التحم بعضه ببعض ، وأبرزه هذا الانصهار الى الوجود على سجيته الأصلية ، وشخصيته الاسلامية الفذة اللامعة ...

فأصبحت السهول والجبال والأودية والمدن والقرى من أرض الجزائر كلها ميدانا للكفاح ، وبطاحا للمعارك الدامية ، والاشتباكات الكثيرة ، وكان المجاهدون الأحرار يخرجون من هذه الحروب الطاحنة ظافرين منتصرين في كل معركة لأنهم يباغتون العدو ليلا ونهارا حسب ما تسمح به الفرص فينزلون به ضربات قاسية في لمح البصر ، ومن بعد ينسحبون بسرعة من ميدان المعركة ، لأنهم لا يستطيعون أن يواجهوه وجها لوجه لأنه متفوق عليهم في المتاد والقوة ، ومن بعد يختفون لم يقف لهم على أثر ، كأن الأرض ابتلعتهم وهذا هو شأنهم في جميع المعارك قلما كانوا يقابلونه .

فهذه الانتصارات الرائعة هي التي كانت سببا في تحمل الشعب من ويلات الحرب وتمرسه بالآفات ، فأصبح لا يبالي بالمذاب الذي سلط عليه من بداية الثورة فكان بعضه في أعماق السجون ، والبعض على أعواد المشانق ، وتحت شفرات المقاصل ، وقذائف المدافع ، وقنابل الطائرات كانت تدك القرى والمنازل دكا ، وتحرق كل شيء فيها ، ورصاص الجند كان يحصد النفوس حصدا لم ينج أحد من هذا البركان المتفجر الا من اتخذ الجبل حصنا وملجأ يكافح ليله نهاره بدون انقطاع ، أو فر الى الخارج من هذا الأتون الملتهب ، والباقي من الشيوخ والعجزة والاطفال والنساء جمعوا بين الأسلاك الشائكة للعرى والجوع والمرض ...

والعامل الوحيد لهذا الصبر على هذا الحال ، والصمود في وجه العدو ، وتحد طغيانه وجبروته ، وظلمه بجميع أنواعه هو الاسلام الذي بعث روح القوة والمقاومة التي لا تلين في نفوس المجاهدين ، وكان شعارهم (الله أكبر) ... وصلت قوة الجيش الفرنسي في هذه المدة الى خمسمائة ألف جندي مدججين بسلاح الحلف الأطلسي ، ويؤيدهم ما يقرب من مليون أوربي جزائري سالت دماء الجزائريين على أرضهم أنهارا ، وباليات الجيش الفرنسي وقف عند هذا الحد ، بل كان يستعمل السلاح الذي حرمه القانون الدولي ضد الجزائريين هذا السلاح الفتاك المبيد لكل شيء (هو النابالم) الذي لم يستعمل في الحرب العالمية الثانية فاستعملته فرنسا ضد الثوار ... كان الجيش الفرنسي يقتل

الاسرى من جيش التحرير ، بل يمثل بهم ... استنادا الى وزارة
الأخبار للحكومة الجزائرية المؤقتة ، والى ما نشرته صحيفة المجاهد
تقول : ان جميع الممارك المسلحة العظمى التى قامت بها شعوب
آسيا وافريقيا للتحرر ، كان الاستعمار فيها يدافع عن وجوده
بوحشية وشراسة ، وأصبح استعمال (النابالم) هو السلاح
المفضل عنده فقد استعمله في كوريا ، وفي الفيتنام ، وفي الجزائر .

لماذا يستعمله ؟ لأنه سلاح تدمير شامل ، ويحدد مساحة
مفعوله ، ويحرق كلما كان على وجه الأرض ، وهذا السلاح كان
(يحلم به الجنرال بيجو ، وسانت أرنو) وكل غزاة الاستعمار .

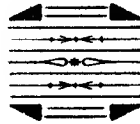
انشئت الحضارة الغربية على التمييز العنصرى ، والعروق
الجنسية ، فروحها ومفاهيمها ومقاييسها تتصرف ازاء الشعوب التى
هى من غير جنسها على أنها لا تقيم لها وزنا ، ولا تفهم الا القوة ،
اذن يجب ترويعها ، ويعلن المعمرون صراحة في الجزائر ، (ان
الثوار يشيعون الارهاب ، وأن الخوف يجب أن ينتقل اليهم) هذا
ما قاله الأسقف الفرنسى (ساليج) سنة 1900م ، (ان الخوف
والاحتقار والقوة هى ما يلزم للشعوب المتخلفة حتى تبقى
مستكنة) وهذه النظرية عند المستعمرين لاتزال تتكرر بدون
انقطاع ، بل ان الكلمات التى يطلقها علينا المستعمرون تدل
على تصورهم لنا ، انهم يطلقون علينا الأسماء التالية :
المستعمرات شعوب متخلفة . افريقيا المحاطة بالأسوار ، آسيا
المنحطة ، النمل البشرى ، الجماهير المخيفة الديدان الوسخة الى
غير ذلك من الأسماء والنموت التى تدل على تصور الرجل المتمدن
لنا .

وعندهم ازاء هذا النمل ، وهذه الديدان ، وهذه العصابات
الفوضوية لا يوجد أى جرم في ابادتها ، بل ان ابادتها عملية
صحيحة في مستوى عالمي انها داخلية عندهم في نطاق اباد
الحشرات .

وعملياتهم الحربية ضدنا يطلقون عليها أسماء تستوحى
من هذه النفسية ذاتها فالجنرال شال أطلق على عملياته التفتشية

بعملية المشط الدقيق ، والجنرال فور سماها عملية التطهير الأكبر ، وهذا التطهير عبارة عن عملية الحرق التي لا تبقى ولا تذر .

الجيش الفرنسي ظل يستعمل (النابالم) عدة سنوات في الجزائر ، وهم الذين كانوا يستنكرون أعمال القائد الأمريكي (مارك ارثر) في كوريا لسنة 1951م وينسون اليوم هذه العملية الوحشية ، وأمريكا هي التي تزود فرنسا بهذا السلاح المبيد ، فالجزائر توجه التهمة الى هؤلاء المجرمين وهي تحمل في يدها الشهادة القاطعة .



النابالم في الفيتنام

يقول الصحافي الكبير (م. دومنيك) مدير جريدة الفكر (اسبرى) الذى أصبح يشتهر باستعمال العنف ، ويجمع المتطرفين ، ويقول : منذ تسع سنوات ما تزال هناك صفة انسانية للحرب أو هل ما يزال هناك سبب للاحتجاج على عملية التدمير للسكان الأبرياء ؟ ان العالم كله قد تعود على هذه الفكرة وهى أن الحرب عند ما تحدث تكون عامة لا رحمة فيها ، لقد أصبح من الضروري ابادء العدو بالجملة ، وما دون ذلك فهى عواطف سخيفة هذه هى الفكرة التى تحملها الدول المتمدنة ازاء الشعوب المتخلفة ، وآخر مولود من أسلحة التدمير للشعوب الضعيفة اخترعه الاميريكان لفنائها وهو (النابالم) وهو عبارة عن جليد من البنزين تلقىه الطائرات ، فيحدث حريقا في كل ما يمسسه من أرض ونبات ، وحيوان ومساكن انه لا يبقى شيئا وفي الهند الصينية كانوا يظنون أن الحرب التى يخوضونها مع الاستعمار عملية بوليسية ولم يدركوا أنها حرب ابادية الا عندما بدأ فيها (النابالم) .

ويرجع الفضل الى عبقرية الجنرال الامريكى (دولاتور) كان هو أول من بدأ باستعمال هذا السلاح في معركة هانوى ، وأعلن أنه سلاح الطيران ، قد أباد (بالنابالم) وحدة للعدو فوق الجبال ، ويواصل (دومنيك كلامه قائلا) : لم تعد هناك فائدة في الاحتجاج على أعمال الطيران الأمريكى في (كوريا) ولكننا نستطيع أن نطلب من الانسانيين المسيحيين والاشتراكيين الذين يحكموننا ، هل يتحملون مسؤولية استعمال هذا النوع الجديد من الحرب ؟ وهل يهضمونها مع التقاليد التحريرية التى ينادون بها ... ؟ مجلة أسبرى ، سنة 1951م .

وفي الجزائر جاء في العدد 49 من كراس الشاهد المسيحى في زاوية يوميات القائم مقام (س) في صفحة 51 ما يلى يوم 25 - 8 - 1958م ان وسائلنا مهولة فلكى نفتح الطريق أمام قافلة كنت

أقودها ، تحصلت على 3 سيارات جيب ، و4 سيارات شاحنات ، و5 آلات راديو وطائرة اكتشاف ، وقوة نارية كنت أسيرها بواسطة الراديو ، و4 سيارات رشاشة ، وإلى جانب كل ذلك قوة احتياطية ، وقوة مدفعية مستعدة في كل لحظة لاستعمالها ضد الفيران والكهوف ، وعندنا أخيرا أوعية خاصة تحمل (النابالم) الذي هو سلاح مستعمل بصفة عامة انتهى .

صدر أخيرا كتاب الجزائر عمرها عشرون عاما في سنة 1960م كتبه (الآن مانيقي) المراسل السابق في مصلحة الصحافة التابعة للجيش الفرنسي تحدث فيه عن رحلة في شرق الجزائر فقال : النار ! النار ! في كل مكان في المرتفعات تشاهد خطوطا هائلة من الحريق تهاجم الجبال ، وتصعد إلى الغابات وأبعد من ذلك تشاهد النار أنها حرائق مهولة في مساحات شاسعة بعيدة أنها حرائق (النابالم) جبال بأكملها تشتعل وتحترق حتى لا يأوى إليها الثوار !!



النبالم في الجزائر (بقلم جان لاكنر)

في صحيفة (الموند) عدد سبتمبر سنة 1958م النص الكامل لهذا السلاح الذي استعملته فرنسا في الجزائر ضد جيش التحرير يقول ضابط من جيش التحرير الوطني عندما سئل عما جرى في معركة جبال الونسريش ، فصرح بما يلي : عن عملية (كرون) قال : انتخبت كتائب المنطقة الرابعة والسابعة من الولاية الخامسة ، ووحدة الكمندوس التابعة لعبد المؤمن ، ووحدة الكمندوس في المنطقة السابعة ، والعناصر الرئيسية من أجهزة النظام السرى في الولاية الرابعة ، انتقلوا كلهم الى الولاية الخامسة ، وكان مجموعهم يتجاوز 40 رجلا ، وبعد ذلك اجتمع ضباط الولاية الرابعة والخامسة ، فتسلم سى محمد قيادة العمليات في قطاع باب اليكوش من الولاية السادسة ، ومعه وحدات الولاية الخامسة 40 كتيبة من الولاية الرابعة من بينها كتيبتان الكريمة والزيرية وأضيفت وحدات جهوية لتعزيزهم ، وبذلك بلغ عدد المجاهدين لآباس به ...

قرر سى محمد القيام باشتباكات مشددة طيلة 15 يوما ضد العدو ، وفي أثناء ذلك قدمت الكتيبة الزيرية من المدية وغنمت 25 قطعة سلاح من بينها مدفع رشاش ، وبقينا في اشتباكات مستمرة مع العدو ، رغم القذف الجوى ، واستعمال النبالم ضدنا .

النبالم ، مستعمل بكثرة ضدنا ، وعندما نشتبك مع العدو نحمل المرتفعات فيصعد اليها العدو ، وعن الطلقات الأولى من جانبنا ينسحب الجند الفرنسى من ميدان المعركة ، ويبدأ سلاح الطيران في العمل مستعملا الرشاشات والنبالم ، يلقي من الطائرات الثقيلة ب 26 والخطبة التى يستعملها المجاهدون في هذه الحالة هى أن يلتصقوا بالجيش الفرنسى المنسحب ويلحقونه وعندئذ يصب (النبالم) على المرتفعات المهجورة ، وهكذا فان خطط حرب العصابات وسرعة الحركة هى التى تمكن جيش التحرير من النجاة من النبالم .

معركة الونشريس : جرت هذه المعركة على الصفة التالية ،
بقينا 15 يوما في اشتباكات متصلة مع العدو ، والعدو لم يكن
يتوقع منا هذا الاستقبال فانسحب من المنطقة تاركا منشورا
يعطى للمجاهدين مهلة 8 أيام للاستسلام (وفي الوقت نفسه أعلن
الناطق الرسمي بلسان القيادة الفرنسية عن ابادتنا جميعا)
فسحبنا المجرى والمصالح الادارية ، وعقدنا اجتماعا جديدا
قرر أثناءه سى محمد ما يلي :

أولا : انسحاب الفرقة الرابعة الى داخل الولاية الرابعة .
ثانيا : التوغل في المناطق الخامسة التي كنا انسحبنا منها لنكون
فراغا حول العدو بعد المعارك العنيفة التي جرت فيها ، وعندما
رجع العدو بقوات ضخمة ليسحق كتائبنا التي ألحقت به أضرارا
كبيرة لم يجد شيئا فقرر البحث عنا في جبال منطقة الجزائر
العاصمة ، وفي أثناء البحث كانت كتائب الولاية الخامسة
من خلفه تتوغل من جديد في مناطقها ، وتوزعت على شكل فرق
صغيرة من الفدائيين تتبعهم الأجهزة الادارية والمجرى .



هزائم مريعة في جبل مزى للجيش الفرنسي يستعمل النابالم

وصف معركة جبل مزى كما رواها جنودنا الأربعة لمراسل المجاهد في 18 - 5 1960 أصدرت وزارة الأخبار في الحكومة الجزائرية لمؤقتة بلاغا عن معركة جرت في جبال مزى استعملت أثناءها القوات الفرنسية قنابل النابالم أصابت بها أربعة من جنودنا ... دارت هذه المعركة الرهيبة التي استمرت من 5 الى 8 ماي 1960م في جبل مزى القريب من جنان بورزق في الجنوب الغربي من القطر الجزائر ، وكانت قوانا في هذه المعركة مؤلفة من خمس كتائب مجهزة بأحسن الأسلحة وأحدثها ، فلديها الى جانب الأسلحة الاتوماتيكية الخفيفة مدافع رشاشة ومدافع الهاون من عيار 81 ، وأجهزة لا سلكية تسهل لنا الاتصال بالقيادة العليا في كل حين ، وكانت قوانا تملك زمام المبادرة في هذه المعركة وتحتل مواقع حصينة فوق القمم العالية ، وقد صدرت اليها الأوامر بأن لا تكشف عن مواقعها الا بعد أن يقترب العدو بمسافة قصيرة جدا بحيث لا يتمكن من الانسحاب ، ولا يستطيع الطيران والمدفعية المعادية التدخل في المعركة نتيجة تلاحم الجانبين واختلاطهما ...

وفي مساء يوم 5 ماي احتلت احدى وحداتنا جبل مزى ، بينما أخذت الكتائب الأخرى مواقعها في جبل زرانين المقابل للمركز العسكري الفرنسي في حجرة مقييل ، وجبل فرطاسة المواجه لجنان بورزق وهكذا كونت وحداتنا نصف دائرة ، وكمنت في احكام لقوات العدو المنتظر مجيئها .

وفي صبيحة اليوم التالي قامت أربع طائرات ب 26 ، وطائرتان ت 6 بعملية استطلاع ثم جاءت بعدها سبع طائرات عمودية فأنزلت الجنود الفرنسيين دفعتين متواليتين في مكان يدعى الحجرة المدفونة ، ومن هناك انطلقت القوات الفرنسية تقتضي آثارنا دون أن تعثر علينا لأننا كنا قد أحسنا تضليلها وأخفيها

مواقعنا عنها حتى وقعت في الكمين المنصوب لها دون أن تتنبه وفعلنا تقدمت القوات الفرنسية داخل الكمين حتى صارت على بعد عشرين ميتر من مرمى أسلحتنا دون أن تشعر بأى شيء غير عاد ، واستعمل المجاهدون عنصر المفاجأة لينقضوا على العدو انقضاضا ساحقا ويصلوه جميعا متواصلا من نيران أسلحتهم الأتوماتيكية ، ولم يمر غير وقت وجيز حتى أيدت تلك العناصر المعادية التي وقعت في الكمين ، وبدأت نجدات العدو تتوالى على ميدان المعركة تحت حماية المدفعية الثقيلة التي كانت ترسل قنابلها دون أى ضبط ، وتحديد من المراكز العسكرية في جنان بورزق ودرمل ، واتسع ميدان المعركة وحمى وطيسها بعد قدوم هذه النجدات ، وقد استطاعت قواتنا المتمركزة خلف الصخور المتينة ان تكبد هذه القوات المعادية الجديدة خسائر فادحة ، وان تردّها على أعقابها وتضطرها الى الانسحاب بعد أن ترك العدو في ميدان المعركة ما يزيد على 300 جنديا بين قتيل وجريح ، وبعد انسحاب القوات البرية تدخل الطيران الذى استمر يقنبل المنطقة حتى منتصف الليل في حين كانت النجدات العسكرية تتهاطل من كل جهة محاولة ضرب الحصار حولنا ، ولكن قواتنا استطاعت أن تخرق الحصار وان تشق طريقها حتى بين صفوف العدو ماضية الى مواقع أخرى أكثر ملائمة للمعركة ...

ومع مطلع النهار في اليوم الثانى شن العدو عملية واسعة محاولا فرض الحصار علينا من جديد ، فتعرض لوابل من النيران ، واضطر الى التراجع ، وتدخل الطيران والمدفعية مرة أخرى كما قدمت النجدات عن طريق السكة الحديدية ، وسيارات النقل ، والطائرات العمودية التي تجاوز عددها الثلاثين طائرة ، والتي كانت توالى نقل النجدات العسكرية بدون انقطاع غير أن المقاومة البطولية الرائعة التي أبدّاها جنودنا البواسل جعلت العدو يعتمد في المعركة على الطيران بصفة خاصة ، فتدفقت فوق ميدان المعركة أفواج متوالية من الطائرات التي تجاوز عددها الخمسين : طائرة من نوع ب 26 ، 29 وت ، كانت هذه الطائرات تطلق نيران رشاشاتها الخفيفة ، وترمى قنابل النابالم ، وهى قنابل مستطيلة الحجم تنفجر بمجرد نزولها وتطلق دخانا أسود

يتبعه لهيب متدفق يشق عنان السماء ويلتهم الأحجار والاشجار وكل شيء يعترضه ، وتنطلق منه رائحة كريهة تشبه رائحة الكبريت ، وقد أصبح ميدان المعركة جحيما من اللهب الذى يزداد انتشارا مع الأرض ، وارتفاعا في الجو ، ولكن أبطالنا استطاعوا أن يواجهوا جرائم العدو بروح بطولية صامدة ، وأن يقتحموا صفوف العدو السميكة التى كانت تفرض عليهم حصارا شديدا ، وهكذا شق أبطالنا طريقهم داخل جحيم السماء والأرض ، واستطاعوا أن ينقذوا اخوانهم الجرحى رغم تكاثر قوات العدو التى كانت ترد من كل جانب وان يحملوهم الى المواقع الأمانة حيث يجدون العلاج السريع ، ثم قدموا الى المغرب ليكونوا دليلا حيا وشهادة ناطقة أمام الرأى العالمى على جرائم الاستعمار الفرنسى ووحشيته التى ستزيد في التعجيل بعمره الكريهة والقضاء عليه الى الأبد ...

هذه النصوص أختيرت من المقالات والوثائق التى نشرت بجريدة المجاهد اللسان المركزى لجهة التحرير الوطنى - الجمهورية الجزائرية المؤقتة - وزارة الأخبار ...



صدى الثورة في الخارج

نالت هذه الثورة اعجاب العالم وتأييده حتى الفرنسيين أنفسهم كانوا ينوّهون بهذا الكفاح البطولي ، ويحثون ولا تهم على التفاهم مع الجزائريين .

كانت اذاعة العالم كلها تتكلم على الثورة الجزائرية بكل لسان وتشرح مقاصدها وأهدافها ، والأسباب التي ثار الشعب من أجلها ، وكانت تشيد ببطولة المجاهدين الأبرار ، وتندد بسياسة الاستعمار الفرنسي الذي كان يطبقها على المسلمين .

عقد من أجل هذه الثورة مؤتمرات كثيرة في الشرق والغرب رسمية وغير رسمية من جميع طبقات العالم وهيّاته بما في ذلك الحكومات والمحافل الدولية وأخص بالذكر منها مؤتمر باتدوك الذي تكلمنا عليه سابقا .

تبنت الدول الأسوية الافريقية القضية الجزائرية برمتها لدى جمعية الأمم ، وكانت في كل سنة من سنى الحرب تقريبا تقدم الى مجلس هذه الهيئة ما ترى الا اللسن تتبارى والعقول تتصاول وتتقارع بالحجج والبراهين ، والافكار تتصادم والنقاش يحتدم ، والمحاورة تشد وتقوى ، وشقة الخلاف تتوسع ، والجدال قائم بين رجال الشرق الناهضين ، ورجال الغرب الفاصبين من فوق منبر عالمي ، رجال الشرق يريدون التحرير والانطلاق حتى يسترجعوا مكانتهم وسيادتهم ، ورجال الغرب يحافظون على امتيازاتهم في هذه البلدان ، ويسترون مطامعهم الاستعمارية تحت شعار الديمقراطية والأخوة والمساواة .

رغم هذه الحروب المهولة التي لم يخمد لها أوار منذ سبع سنوات ، ورغم الخسائر التي لحقت الطرفين ، ورغم اهتمام جمعية الأمم ، وغيرها من الجمعيات الأخرى بايجاد حل عادل يضمن حقوق الطرفين ورغم تدخل الدول الحليفة وتوسطها لجعل حد لهذه الحرب القائمة على قدم وساق في هذه البقعة من

العالم لينعم سكانه بالسلام ورغم الصيحات التي كانت ترتفع من أنحاء العالم حتى من الفرنسيين أنفسهم ، ومن رجال الديانة المسيحية . كلها مطالبة بانهاء هذه الحرب المجرمة في أقرب وقت ممكن رغم هذا كله لم يتوصل الطرفان الى الحل المنشود ...

ولا نعلم قضية شغلت بال الرأي العام العالمى ، واهتم بها ساساته الكبار مثل قضية الجزائر والفيتنام في هذا العصر فهزتا كيان العالم قاطبة وحفزتا الشعوب المستعمرة الى خوض معركة الحرية والاستقلال .

سببت الثورة الجزائرية مشاكل كثيرة وأتعبا جمة للشعب الفرنسى في الداخل والخارج حتى أصبحت حكوماته عاجزة عن حل هذه القضية ، وارجاع السلم الى هذه الأوطان ، بل كانت في سقوط متوال ، واقتصادها في انهيار مستمر فبلغت نفقات الجيش المحارب في الجزائر في اليوم الواحد ثلاث مليارات ، وأحيانا أربع مليارات من الفرنك القديم .

أخذت الأزمات تشدد وتأخذ بعنق الشعب الفرنسى ، فأصبحت تهدده بالانفجارات والانقسام لأن الحالة الداخلية كانت تنتقل من سوء الى أسوأ ، ولا تقل الحالة الخارجية عنها خطورة ، فالعالم كله أدان فرنسا على سياستها المتبعة في الجزائر ، وكان يندد بها حتى ضاق الشعب الفرنسى ذرعا بها لأنها لا تعرف الا الحرب ...

انقسم الشعب الفرنسى نحو قضية الجزائر الى قسمين ، فأحزاب اليسار كانت تطالب بالمفاهمة مع الجزائريين وتسوية المشكل بالسلم، والأحزاب المتطرفة اليمينية من غلاة الاستعمار كانت تعارض كل مفاهمة وكل حل يقع مالم تكن الجزائر فرنسية ...

اصبح الشعب الفرنسى يعقد المؤتمرات تلو المؤتمرات ، بل كل حزب كان يعقد مؤتمرا عاما وخصوصا فتناقش القضية الجزائرية فيه نقاشا حادا من جميع وجوها ، وتقدم التقارير واللوائح والتوصيات الى الحكومة ...

ولما كان منطق الثورة منطقا صحيحا ومعقولا وحجتها قوية وما هي الا امتداد للمقاومة الشعبية التي سبقتها منذ الاحتلال

فتبين للشعب الفرنسى بأن الجزائر ليست فرنسية كما يزعم
المعمرون ، وما هو الا شعب أجنبى عن فرنسا له كيانه ومقوماته
وعاداته أستعمر في وقت ما ، والآن هب يدافع عن حقوقه
الشرعية ، ولهذا اعترف أكثره بالواقع ، وأصبح يؤازر الشعب
الجزائرى في مواقفه ويندد بهذه الحرب التى لا مبرر لها ...

هذه الثورة غيرت مجرى التاريخ لا في آسيا وافريقيا فحسب ،
بل حتى في فرنسا نفسها ، فانها غيرت نظريتها المتيقة ازاء
مستعمراتها وأصبحت تتفاهم معها على تقرير مصيرها ...

ان اصرار الرجل الافريقى والأسوى على السيادة على أرض
آبائه وأجداده أحبط مساعى الاستعمار ، وأرغمه على الاعتراف
بحقوق الانسان مهما كان ...

والفضل في ذلك يرجع الى الثورتين الكبيرتين الشهيرتين في
القرن العشرين : ثورة الجزائر الكبرى في افريقيا ، وثورة
الفتنام في آسيا ، فبهاتين الثورتين خسر الاستعمار مستعمراته في
كل من القارتين ، فانتصار الثورة الجزائرية على الظلم والظفیان
كان أكبر انتصار حققته الشعوب المستعمرة في هذا العصر ...



تخطيط للعمليات العسكرية الفرنسية

بدأ قادة الجيش الفرنسي عملياتهم الحربية الواسعة النطاق ضد الثوار باتباع حرب تقليدية ، وهى القضاء على الثورة بقتلهم أو أسرهم ، ففشلوا في هذه الخطة ، ولم ينجحوا ، فرجعوا أسباب هذا الفشل الى نقص في العتاد ، فضاعفوا من قوتهم وعتادهم الثقيل وزيد في الجيش .

هكذا كلما خسروا في حربهم مع الثورة يطلبون المزيد من الجند والسلاح وحكومة باريس لا تبخل عليهم بالامدادات الضخمة فوضعت تحت تصرف قادتها في الجزائر كلما كان لها من قوة ومن قوة حلفائها أيضا ، وكانت دائما تلبى نداء ضباطها لا ترفض لهم طلبا أبدا حتى بلغ عدد قواتها في الجزائر - بعد عام واحد من اندلاع الثورة - خمسين ألف جندي مزودين بأحدث الأسلحة .

جرب جنرالات فرنسا برامج القتال وأنواعه في هذا الوطن وجميع المخططات الحربية الحديثة ، واستخدموا جميع أنواع الأسلحة من قديم وحديث ، وثقيل وخفيف ، ومع هذا كله كانوا يقاسون العجز والفشل والخيبة أمام قوات الثوار المتواضعة وبقي هذا العجز ملازما لهم الى مفاوضة (اييفيا) .

كل هذه الأساليب من البرامج الحربية المحكمة ، والهجمات العنيفة ، واستعمال الآلات المهندسية على اختلاف أنواعها وأشكالها ، والتخريب والتدمير اللذين سلطا على البلاد ، والبطش والفتك اللذين استعملتا ضد المسلمين لم تغن عنهم هذه القوات كلها ...

عندئذ أفاق جنرالات فرنسا على الحقيقة التى لا تقبل الشك بأنهم يخوضون حربا حقيقية ، ويقاتلون شعبا قويا عقيدا عقد العزم على استرجاع سيادته المنصوبة وكرامته المهدورة أدرك جنرالات فرنسا هذا كله ، وأدركوا أيضا أن عدوهم الذى يقاتلهم ليس بعصابات ثائرة أو من الذين رفعوا راية العصيان

والتمرد لغرض ما ، وانما هو جيش نظامى له كيانه وعقائده وأهدافه ، جيش مدرب يتقن فنون القتال ، والشعب بأجمعه يحتضنه ويأتمر بأوامره ، ويمده بكل ما يحتاج اليه ...

وعلى هذه الحقائق الناصعة التى لا مواراة فيها أعاد جنرالات فرنسا تخطيط برامجهم الحربية بعد اجتماعات عديدة ودراسات عميقة أسفرت هذه الدراسات عن برنامج حربي يهدف الى استئصال شافة الثوار ، ونشر الخراب والدمار في الوطن ، يبدأ هذا البرنامج بهجوم عام شامل على مواقع جيش التحرير ، عرف هذا البرنامج باسم المربعات (الكدرياج) أى القتال عن طريق المربعات ...

بدئى في تطبيق هذا البرنامج سنة 1955م - توزعت القوات الفرنسية في كامل القطر الجزائري على شكل مربعات تنتشر على طول مواقع الثوار من غربى الجزائر الى شرقها مع ضرورة تقارب المراكز العسكرية لكى يتسنى نجدة أى مركز يفاجأ بالهجوم حتى تتمكن القوات الفرنسية من ابادة المهاجمين بسرعة ...

ولما شنت القوات الفرنسية الهجوم العام على مراكز جيش التحرير ، توقف زحف هذه القوات الفرنسية أمام مناعة خطوط الدفاع للثوار ، وأخذ جيش التحرير يشن هجوما معاكسا على مراكز المربعات ، بحيث كان يشغل بعض المراكز بمناوشات رمزية تقوم بها وحدات صغيرة ، وبقيّة الثوار يكمنون له في الطريق المؤدية الى هذه المراكز ...

ومما يسر على جيش التحرير وسهل مهمته تبعثر الجيش الفرنسى وتشبثه فوق أرض الوطن الشاسعة الواسعة الأطراف والأرجام الممتدة من الغرب الى الشرق ، والذي أعانه على تسديد ضرباته الى القوات الفرنسية هو وجود بعض القرى والمدن داخل نطاق هذه المربعات ، فكان جيش التحرير يتسلل اليها ، ويختفى بين السكان ، فلم يتسطع العدو أن يميز بين سكان هذه القرى ، وبين المجاهدين ، فكان يضع الالغام في الطرق والقنابل في المنشآت العمرانية فتنسف المنازل والمصانع

والجسور ، وكل من يمر عليها من سيارات ودبابات فأصبحت القوات الفرنسية عرضة لأعمال الفداء داخل خطوطها حتى اضطرت القيادة العليا أمام هذه الأعمال المتواصلة الى اخلاء مناطق العمليات العسكرية من السكان وحشدتهم داخل معسكرات محاطة بأسلاك شائكة ، تظن أنها بهذا العمل تضمن عدم تسلل الفدائيين الى المراكز الفرنسية . وأنها في نفس الوقت تقطع التموين على جيش التحرير ، فبهذه الخطة تعزل الثوار عن الاتصال بالشعب فيسهل العثور عليهم والتمكن من ابادتهم لهذا جمعت سكان القرى ، وحشدتهم في معسكرات الاعتقال .

وبعد أن أصبحت مناطق العمليات خالية من السكان تقابلت القوتان وجها لوجه ، ودارت المعارك ليلا ونهارا دامت اربعة اشهر لم يتوقف القتال خلالها ولو يوما واحدا ، فكانت المعارك تدار حتى بالسلاح الأبيض ، فظهر حينئذ الجنرالات فرنسا قصور برامجهن عن تحقيق الأهداف التي رسموها فأصبحت القوات الفرنسية مرة ثانية عرضة لهزيمة محققة لوعرة السلوك والدروب ، وسرعة حركة النوار فعدل جنرالات فرنسا عن هذه البرامج ، ورجعوا الى برامجهن التقليدية لقد جلب حرب المربعات (الكدرياج) الى جانب الفضيعة العسكرية العار والحزى لفرنسا لأنه لطمح سمعتها ومرغ شرفها في الأحوال ، لقد استفاد جيش التحرير من برامج المربعات واخلاء السكان من مناطق العمليات ، كان جيش التحرير يقلل ما استطاع من هجماته على العدو في المناطق الأهلة بالسكان خوفا من انتقام الجيش الفرنسي من الأهالي فلما أخليت المناطق من السكان تجرد للقتال بلا خوف ، وفي النهاية تغلب الثوار على أكثر مراكز العدو .

كان الجنرال ديغول منذ الساعة التي تسلم فيها الحكم يشارك في اخطط والبرامج الحربية لسحق الثوار ، وقد خط برامج كثيرة شارك فيها القادة العسكريون والمدنيون من المتطرفين وغلاة الاستعمار على السواء ، فالعسكريون من جهتهم كانوا يستعملون القوة بجميع أنواعها وأشكالها الفضيعة من التنكيل والتخريب والقتل الجماعي ، وكانوا مخيمين في جميع القرى والمدن والأحواز يحصون على السكان أنفاسهم وحركاتهم

وسكناتهم ... والمدنيون من ناحيتهم يبرقون ويلوحون بالوعود الكاذبة والحلول الزائفة والدعاية المغرية لكن سرعان ما تنبسط ديفول واتباعه وقواده وسائر مؤيديه من الطغاة الذين يستعبدون الناس فوجدوا أنفسهم جميعا يتخبطون في متاهات لا حد لها ودوامة لا قرار لها ، فلم يكن الجنرال ديفول أسعد حظا من أسلافه الذين كانوا في الحكم اذ لقيت مشروعاته الحربية نفس المصير من الخيبة والهزيمة الذي لقيته البرامج السابقة ، وقد أدرك حينئذ أن عجز الحكومات السابقة عن قمع الثورة لم يكن نتيجة تقصير كما يشاع ، وإنما قوة الثورة هي التي كانت سببا في فشل الحكومات ...



عملية التطهير المعروفة بعملية (جوميل)

بدأت القيادة العليا للجيش الفرنسي تفكر في خطة أخرى للقضاء على الثورة بعد ما فشلت في جميع برامجها وخططها الحربية ، وراح جنرالات فرنسا يعصرون أفكارهم مرة أخرى ، وبعد عدة من الشهور بذلوا فيها جهدا غير قليل من التفكير ، وأخيرا استطاع الجنرال شال القائد العام للقوات الفرنسية في الجزائر أن يعثر على برنامج جديد وسريع ما أبدا ارتياحه التام واعجابه الشديد بهذه الخطة وقال الآن أصبنا الهدف ، وبدأ يختار لهذا البرنامج من الاسماء وكلما أطلق عليه أسما من الأسماء لا يعجبه فيبد له باسم آخر فمرة يسميه الشرارة ، وبعد حين يعدل عن هذا الاسم ويسميه التوأمين الى غير ذلك من الأسماء التي توافق النتائج المرجوة منه ... ولما عزم على تطبيق هذا البرنامج أعلن عنه أنه سيسحق الثورة ويبيد جيش التحرير .

مهد الجنرال شال لبرنامج هذا بحملة كبيرة في الصحف وأشاد بهوله وخطورته ، وراحت الدعاية الفرنسية تعظم من شأنه ، وقد أشرف الجنرال ديغول على اعداد ما يلزم لنجاح هذا البرنامج الخطير فزاد في عدد القوات المقاتلة في الجزائر من خمسمائة الى سبعمائة ألف جندي ...

حرص الجنرال شال على تجنب الأخطاء التي كشف عنها فشل البرامج السابقة عند تطبيقها في ميادين القتال ، وأهم هذه الأخطاء هو تشتيت القوى المقاتلة ، وبرنامج شال يحرص على جمع القوات الفرنسية والهجوم بها على مواقع جيش التحرير ، ويكون على موقع بعد موقع ، وبعدما ينتهي من تطهير منطقة من مناطق الثوار ، ينتقل الهجوم الى المنطقة المجاورة ، وهكذا حتى يقضى على قوة جيش التحرير الموزعة بين الولايات والممتدة من غرب الجزائر الى شرقها ...

بدأ الجنرال شال بتطبيق برنامجهِ على الولاية الخامسة في وهران ، زحفت القوات الفرنسية على امتداد الولاية دون أن

تصطدم بوحداث جيش التحرير ، انتهت العملية في هذه المنطقة ، واعتقد الجنرال شال قد نجح ، وأن منطقة وهران قد تطهرت من الثوار ، وأخذت صحف الاستعمار تشيد بهذه الانتصارات الباهرة ، وتغنى راديو باريس بهذه العمليات الحربية الموفقة الناجحة التي قام بها الجنرال شال في 17 من افريل 1959م ، نشرت الصحيفة الاستعمارية (الجنرال ديغول) يهنئ القادة العسكريين على عملياتهم الأخيرة في وهران وفي الحال وجه الجنرال شال كل ماله من قوات للولاية الرابعة ، وما كادت قواته تخطو أولى خطواتها داخل الولاية الرابعة حتى نشط جيش التحرير الذي كان في الولاية الخامسة الذي كان مختفيا حتى ذهبت الحملة العسكرية وأخذ يهاجم قوات شال من خلف ، ولم يكن شال يتوقع هذا ، لأن الولاية الخامسة قد تم تطهيرها ، وتوهم شال أن هذه الوحدات الصغيرة هي كل ما لدى الثوار من قوات في هذه المنطقة فواصل زحفه على الولاية الرابعة ، ولم يكد يتغلغل فيها حتى فوجيء بهجمات جيش التحرير تنهال عليه من الولاية الخامسة ، فوقعت القوات الفرنسية في مأزق لم تكن لها به علم ، وتحتم على القائد العام للقوات الفرنسية ان يختار من أمرين واحدا أما أن يطلب النجدة من فرنسا ليرد بها هجمات جيش التحرير ، وأما أن يقسم قواته ليدافع بها في الجهات التي فتحتها له الثوار ...

أما طلب النجدة من فرنسا فقد كان مستحيلا تقريبا لأن القوات الاحتياطية من الجنود التي كانت في الجزائر ، قد دفع بها الجنرال شال الى الولاية الرابعة ، وكانت حكومة الجنرال ديغول قد رفضت جميع الامدادات العسكرية الى الجزائر ، فلم يبق الا تقسيم قواته ... وهكذا وجد الجنرال شال نفسه في الخطاء الذي حرص على تلافيه ، فقد أجبره جيش التحرير على تشتيت قواته ، وأصبحت برامجه لا تختلف عن سابقتها من البرامج الأخرى .

لقد بدى برنامج شال في وهران ، والونشريس ، ثم الحضنة وأخيرا في بلاد القبائل وفي المنطقة انتهى برنامج شال ولم يعد صالحا للعمل

كانت عملية (جوميل) تمثل في نظر فرنسا المرحلة الخامسة ، ونظرا للدعاية التي أثرت حولها ، والآمال الكبيرة التي علقتها عليها حكومة فرنسا والرئيس ديغول .

أختصت هذه العملية بتطهير منطقة بلاد القبائل من جيش التحرير تمتد مساحة هذه العملية من مدينة دلس الى شرقي مدينة بجاية ساحل البحر ومن الجنوب تمتد من مدينة البويرة الى قرية قنزات ، واستعملت القيادة العليا الفرنسية في هذه العملية أكبر قوة مسلحة كما صرح بذلك الجنرال «زلي» القائد العام فقال : (لقد وضع في متناول الجنرال شال كل القوى اللازمة لنجاح عملية «جوميل») وأجمعت الصحف الفرنسية على أنها أضخم وأكبر عملية حربية نظمت في الجزائر منذ بداية الثورة ... بدأ الهجوم بمحاصرة بلاد القبائل وفق الخطط التالية ، قامت الطائرات العمودية بنقل جنود المظلات الى جبل «أكفادو» شرقي العزازقة ، وهو مركز من مراكز الثوار الهامة ، وفي نفس الوقت كانت سفن الأسطول تنقل الجنود الى الشاطئ الصخري عند رأس (سيقلى) غربي مدينة بجاية ، وانطلقت الجنود تتسلق الجبال وتتخذ مواقعها عند المسارب والدروب الجبلية الضيقة بينما قامت أربعة آلاف سيارة مصفحة ، ومائتا دبابة بمحاصرة الطرق الكبيرة ، ولم تقتصر عملية «جوميل» على محاصرة جيش التحرير بمنطقة القبائل فحسب بل شمل الحصار مات المدن والقرى الواقعة في نطاق العملية وعدم الدخول اليها والخروج منها وكان الجند يفتش جميع المنازل والأكواخ ، وكان يساعد القائد العام الجنرال شال في هذه المعركة الخامسة التاريخية الجنرال فور وآخرون ... بادر جيش التحرير الى تجزئة وحداته الى وحدات صغيرة قليلة العدد ، وعمل على تجنب الممارك ، وهو نفس العمل والخطة التي اتبعها في وهران ، وجبال الونشريس غير أنه كلف فرقة خاصة بعمليات تخريب المواصلات ، وبث اللغام في طريق السيارات الحربية ، ونصب الكمائن للقوافل العسكرية .

رغم القوات الفرنسية الكثيرة لم تتمكن من اكتشاف مواقع جيش التحرير فوجدت فراغا هائلا في الجبال والغابات والشعاب ،

ورغم هذا الحصار المحكم كان القديانيون يتسللون الى داخل مدينة بجاية ويهاجمون مراكز عسكرية ، ويخطفون اثنين من المعمرين ، وفي اليوم التالى من بداية العملية عثرت القيادة الفرنسية على جثث مائتين من جنود المظلات أبيدوا جميعا على أثر نزولهم من الطائرات العمودية فوق جبل «اكفادو» بينما جرح مائة آخرون أثناء هبوطهم ، وفي نفس اليوم قتل جيش التحرير واحدا وعشرين جنديا من جنود فرنسا ، وجرح ثلاثة وأربعين في اشتباكات خفيفة وقعت في كل من مدينة صدوق ، وأقبو ، وفي قرية تيقزيرت وفي جبل أنشار ...

ومع هذه العمليات كلها فان القوات الفرنسية لم تقف على أثر لوحداث جيش التحرير ، فأخذت تنتقم من السكان الأبرياء كما هي عادتها ، فكانت تضرم النار في القرى والغابات الواقعة في نطاق هذه العمليات بقنابل النابالم المحرقة ، وعلى هذه الحطة دارت معركة «جوميل» .

ولما بدأت القوات الفرنسية في تطبيق برنامج شال في بلاد القبائل أكثر من التصريعات قبل العملية بتأكيد الانتصارات والقضاء على الثورة ، فأكد الجنرال شال عدة مرات بأنه سيتمكن عن قريب من القضاء على الثورة (بالقوة العسكرية) وصرح ناطق بلسان القيادة الفرنسية الى صحيفة «لورور» الفرنسية في عددها الصادر 31 - 7 1959 قائلا سنعرف في أقل من شهر أن كانت هذه الحرب ستستمر الى ما لا نهاية لها أم انها ستنتهى في القريب ، وأستطيع أن أؤكد أنها ستنتهى في القريب ...

ولما فشلت هذه العملية ، وخاب الجنرال شال في برنامجه في بلاد القبائل خيبة تامة كما خاب سابقا في المناطق الأخرى ، أخذ جنرالات فرنسا يحاولون أن يستروا هزيمتهم الشنيعة بأقوال جوفاء ، فصرح الجنرال فور يوم 3 . آب - 1959م قائلا : (الواقع أن عملية جوميل ليست شيئا خارقا للعادة ، انها ليست الا استمرارا للعمليات ، وظروف الحرب في الجزائر تفرض علينا أن نغير في كل يوم نفس العمل الذى قمنا به أمس ، هذه الحروب تتطلب منا أن يكون السكان في معونتنا ، واذا لم نحصل على

تأييد السكان ومعونتهم لنا ، فان هذه الحرب لن تكون لها نهاية ، وفي اليوم التالي نشرت الصحف الفرنسية تصريحاً للجنرال شال قال : (الواقع أن عملية جوميل ضعبة وشاقة الا أننا نعرف ذلك منذ البداية ، فالعدو يذوب بكيفية عجيبة كالزئبق لكننا سنتمكن من الانتصار عليه) ...

واذا قارنا هذا الهجوم بالهجوم الذى وقع في شهر نوفمبر سنة 1958م الذى قاده الجنرال فور ، فنجد أن هجوم شال لا يعد شيئاً بالنسبة اليه ، الجنرال فور في هجومه العام حشد كلما كان في الجزائر من قوات مسلحة وقاد في هجومه سبعة عشر جنرالاً من بينهم ماسو ، راؤل سالان ، ميزروج الخ ...

واستمر الهجوم شهرين من القتال المتصل ، وانتهى بالفشل التام ...

ولقد فشل برنامج شال في مناطق وهران ، وتجمد في بلاد القبائل كما تجمدت صخورها .

وانى أسوق الى القراء الكرام ما قاله أحد الضباط الفرنسيين الذى كان مشاركاً في عمليات جبال الونسريس نشرت صحيفته (لى مانيتيه) الفرنسية في عددها الصادر في 8 شهر تموز 1959م قال الضابط الفرنسى «الحقيقة أن جبهة التحرير منظمة حتى داخل مراكز التجمع ، ويجب أن نعرف ما يختفى وراء البلاغات الفرنسية من حقائق ، فقد سمعتم من غير شك عن العمليات الكبرى التى جرت في الونسريس ، وعن نجاحها ، الواقع اننا لم نتعمق في المناطق المنيعه أكثر من 25 كلم ، ولم نحصل على أية نتيجة جديدة من الناحية العسكرية ، أما الجبال فهى محرمة على جنودنا ، فلا يضع فيها واحد منا قدمه ، وفرق الكماندوس الخاصة بعمليات المطاردة لا تتوغل بعيداً ، أما عدد القتلى في بلاغاتنا نمد فيها جميع الضحايا المدنيين بما فيهم من نساء وأطفال ، وقد تمكن الثوار من أن ينتزعوا منا السلاح خلال هذه العمليات لكننا نحن لم نتمكن من العثور على سلاح واحد للثوار مما أعاد الى أذهاننا ذكرى الهند الصينية ...

لقد خاب برنامج شال في جميع خطواته رغم أنه عزز برنامجه باختيار القادة الذين لهم دربة ومهارة أمثال «بيجار» كما أتى بوحدات خاصة من جنود المظلات لمطاردة جيش التحرير في الجبال ...

وأسوق بعض آراء العسكريين الفرنسيين قال «بيجار» يوجد في الجيش الفرنسي بالجزائر جنرالات أكثر من اللازم مع أن الممارك تربح في الميدان لا في مكاتب الجنرالات ، وكذلك كثرة السيارات والدبابات فانها تعرقل الجيش عن خفة الحركة وتعوقه عن سرعة القتال ...

سافر الجنرال ديفول بعد ما مضى على عمليات «جوميل» شهران الى الجزائر ، واجتمع بشال وجميع القادة العسكريين والضباط المشرفين على تسيير العمليات ، وأخذ يبحث معهم على النجاح الذي أحرزوا عليه في هذه العملية الواسعة ، فوجد مظاهر الفشل أكثر من مظاهر النجاح ، واذا كان ثم نجاح في هذه العمليات فسرعان ما يتلاشى .

فوقف الجنرال ديفول في مركز القيادة (أرتوى) فعملية «جوميل» كانت تسيير من هذا المركز ، وحاول أن يتعرف على كيفية تطبيق برنامج شال على هذه المساحة الشاسعة التي يمتد طولها الى أكثر من ألف وخمسمائة كلم ، قال الجنرال شال هذه هي خريطة الجزائر ، وكلما نجحنا في تهدئة جهة من الجهات طوينا الجانب الذي تقع فيه هذه الجهة ، اننا بدأنا هجومنا على معاقل الثوار من الحدود المغربية من ناحية غرب الجزائر وسنواصل هذا الهجوم الى الحدود التونسية من الشرق ونضمن أن لا نرجع الى الورااء مطلقا ، فاذا ما وصلنا الى الحدود التونسية بهذا الزحف تكون التهدئة قد نجحت ، وعندئذ نستطيع أن نعلن للعالم أن الحرب في الجزائر قد انتهت ...

وعلى ضوء هذه الخطة المسطرة استعرض الجنرال ديفول كل مراحل هذه البرامج منذ أن بدى بتنفيذها في أوائل فبراير سنة 1959م - فوجد أن البرنامج بدأ من الغرب أى من الولاية الخامسة من مقاطعة وهران ، ثم تقدم الى الونسريس ، فجبال

الحضنة ، ثم واصل سيره الى بلاد القبائل حيث توقف تماما وعجز عن مواصلة زحفه الى بقية مناطق الثورة شرقا عندئذ أدرك الجنرال ديغول الفشل الذى أصاب برنامج شال لأنه لم يستطع أن ينتهى من أعماله الحربية من الناحية الغربية حتى عاد نشاط الثوار من جديد الى مقاطعة وهران كما كان من القوة والانتساع ، وكذا عاد نشاط الثوار الى جبال الونسريس ، وجبال الحضنة وقتل جنرال كبير وهو «جارو» واثنان من ضباطه الكبار خلال احدى المعارك .

وفي اليوم الذى غادر فيه الجنرال ديغول تلقى تقريراً رسمياً عن العمليات الحربية فوجده مليئاً بهجمات جيش التحرير امتداداً من الغزوات في غرب الجزائر الى القالة في شرقها ، كان يتلو أنباء المعارك التى دارت في ذلك اليوم في وهران ، والونسريس والحضنة وقسنطينة ، وسوق اهراس حتى فوجيء بمصرع الجنرال جارو في احدى المعارك ...

ولمس الجنرال ديغول تغير نغمة ضباطه بحيث صار الجنرال شال يطالب بمزيد من الامدادات .

ولما سأل الجنرال ديغول القائد العام في الجزائر وأركان حربه عما اذا كان بوسعهم تحديد موعد انتهاء عمليات التهدة أجابوا بأن ذلك متروك للظروف الحربية وحدها ، ولا يمكن التنبؤ به ولو بصفة تقديرية لصعوبة الموقف ، وعلى اثر ذلك صرح الجنرال ديغول قائلاً : اذن لا يزال الطريق آمناً طويلاً ...

هذا ما كان من برنامج شال القائد العام للقوات المسلحة في الجزائر فانه باء بالفشل التام والخيبة المريرة ، وتبخرت آمال جنرالات فرنسا في الهواء ، لقد عجزوا عن تحقيق أى انتصار عسكري على جيش التحرير ، وأفلسوا في جميع برامجهم وخططهم الحربية بحيث أحبطت لهم الثورة جميع الهجمات العنيفة .

اصطدام التطرف الفرنسى بالواقع الجزائرى

لقد ثبت لدى الجنرال ديغول ، ومن سبقه من حكام فرنسا عجزهم عن قمع الثورة عن طريق القوة الحربية ، بلغت الثورة الجزائرية في هذه المرحلة الأخيرة مبلغا عظيما من القوة ، تعقدت الأحوال وتشعبت الأمور في جميع الميادين ، فأصبح الشعب لا يفكر ولا يحلم الا بالقتال دفاعا عن النفس والوطن ، وتصلب كل من المتخاصمين في موقفه الذى اتخذه لنفسه ، والحرب مشتعلة الأوار ، ولهيبها في تزايد وتصاعد رغم التضحيات الجسيمة التى تكبدها الطرفان المتحاربان ، وكل الحلول فشلت عن حل هذه القضية الشائكة رغم توصيات جمعية الأمم ، ولا الوساطة التى كانت تعرض نفسها لحل هذه القضية ، ولا صرخات الشعوب المنددة بهذه الحرب القذرة ولا الخسائر الفادحة التى أودت بالأموال والأنفس ، اذن ما هذه القضية التى استعصت عن جميع الحلول ؟ هذه قضية الجزائر فهى بالنسبة لكل من المتحاربين قضية حيوية فالفرنسيون يعتبرون القطر الجزائرى أرضا فرنسية بحتة ويعتبرونها أيضا همزة وصل بينهم وبين مستعمراتهم المنتشرة في القارة الافريقية ، وعلى هذا الأساس اذا استقل القطر الجزائرى ، فيضعف الاتصال بين فرنسا ومستعمراتها ، وتفقد أيضا ضفة البحر الأبيض المتوسط الجنوبية ، وهذا ما وقع فعلا .

ولهذا كان المسؤولون من الفرنسيين يصرحون دائما بقولهم ، كيف تكون فرنسا بدون الجزائر ؟ فانهم كانوا يعتبرون الجزائر خطا ثانيا للدفاع عن فرنسا ، وهذا ما وقع بالفعل في الحرب العالمية الثانية ، لما احتل الألمان أرض فرنسا لجأت الحكومة الفرنسية الى الجزائر ، ومنها واصلت الحرب ضد النازيين ...

وباستقلال شمال افريقيا يفقد الغرب مركزا هاما للدفاع عن مصالحه الحيوية ، وهذا معنى تصريح رؤساء الحكومات الفرنسية فانهم كانوا يقولون الحرب القائمة في الجزائر ما هى

الا دفاع عن الغرب وسلامته من الأخطار التي تهدده في المستقبل ...

هذا هو سر تصلب الفرنسيين بخلاف الفوائد الأخرى التي يجنونها من هذه الاقطار ، فهي بالنسبة الى النفط الأولى تعد ثانوية ...

وسبب تصلب الجزائريين في مواقفهم فهو معروف لأن حكومة الجنرال ديغول وقفت منهم موقفا لا يستطيع أحد أن يفهمه بحيث عمدت الى شعوب افريقيا السوداء فمנתها استقلالها ومنعت منه الجزائريين الذين يقاتلون من أجله مقاتله شديدة وأرغمتهم على التفرنس بالحديد والنار ، وأقحمتهم قسرا في صلب الدستور الفرنسي ، بأن لا شيء لهم الا الاندماج في الشعب الفرنسي .

لما رأى الجزائريون حياتهم مهددة بالاضمحلال والفناء من هذا القطر كما هو معلوم لدى العام والخاص استماتوا في كفاحهم ضد الاستعمار ، وأصبحت لهم هذه الحرب قضية موت وأحياة ، فالجزائريون يختارون واحدا من اثنين : أما شعب متحرر من جميع القيود مستقل من السيطرة الأجنبية ، يباشر سيادته كاملة ، واما موت نهائية لا حياة له في هذا الوطن فاختر الاول ، هذا هو سر تصلب الجزائريين ، وسر خلق المشاكل والصعوبات التي اعترضت حل هذه القضية ...

هذه الثورة أفقدت قادة فرنسا رشدهم ، وأخرجتهم عن اتزانهم فجعلتهم يفقدون كل سيطرة على أعصابهم حتى أرتكبوا أغلاطا فاحشة وأعمالا إجرامية كبيرة لا ينساها لهم التاريخ ولا تتسامح لهم بها الأجيال الصاعدة .

اصطدمت فرنسا بمقاومة شعبية صلبة منذ الاحتلال لا تعرف التراجع ولا تخشى العذاب ، ولا ترهب من الموت ، وب عقلية صحيحة لا التواء فيها ولا غموض لأن الشعب الجزائري صريح لا يعرف طريق اللف والدوران ، أما أن يأتي بحقه كاملا ، واما أن يتحطم ...

وفي هذه المصادمات وقع ما وقع من خسائر وويلات ونكبات مما لا يستطيع أحد أن يعبر عنها ، وفي النهاية تغلب الحق على

الباطل مع كثرة جيوشه ، وقضى على جيروت الاستعمار وغطرسة القادة الفرنسيين . وعلى العنصرية البغيضة والأناية الجامعة ، والنظريات المتطرفة والعقليات المتعجزة ...

كانت سياسة فرنسا سياسية عدم تفاهم مع جميع الشعوب التى تحت سيطرتها ، ولهذا كانت دائما تفضل الحرب على التفاهم ، وهذه السياسة التقليدية استعملتها في الهند الصينية ، وتونس والمغرب العربى رغم معاكسات الظروف لها ، وانفردت بها عن بقية الاستعمار العالمى ، بحيث بقيت وحدها متمسكة بنظريتها الرجعية التى أكل وشرب عليها الدهر ، ولو لا ثورة الجزائر الكبرى أرجعتها الى صوابها حتى أصبحت تتفاهم مع مستعمراتها في الشرق والغرب لكانت لا تزال تواصل الحرب معها الى الآن وإلى الغد ...

وكل حكومة من حكومات فرنسا صعدت الى الحكم في ابان الثورة الجزائرية الا واستعملت القوة أكثر من الحكومة التى سبقتها ... فحكومة (قى مولى) الاشتراكية هى التى أوصلت الجزائر الى الهوة السحيقة بتشدها واستعمال القوة الرادعة في وجه الجزائريين ولو أبدت استعدادا للمفاهمة أو على الأقل تطبيق برامج حزبها الاشتراكى بشرط أن تكون مغلصة فيه ، فلعل لم تصل الحالة الى ما وصلت اليه ...

ولما غادر (قى مولى) الحكم أصبح يحمل لواء المعارضة ويحث الحكومة التى أخلفته على التفاهم مع الجزائريين ، ويقول في تصريحاته الكثيرة (الانتصار بالقوة مستحيل) .

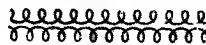
وهذا الجنرال ديغول لعل الرجل الوحيد الذى يستطيع أن ينفذ ارادته ، ولا يخشى من المعارضة ، لما صعد الى الحكم أخذ في استعمال القوة أضعافا مضاعفة على ما كان عليه أسلافه ، ولم يقبل الوساطة ولا التفاهم مع الجبهة المسيرة للشعب الجزائري ، وكان يراوغ ليفالط رأى العام العالمى ، وظهر من أول صعوده الى الحكم بمظهر محرر الشعوب ، فجدد الدستور ومنح الأقطار الافريقية السوداء استقلالها الشئ الوحيد الذى من أجله

يحارب الجزائريون بمنحه الى غيرهم من الأقطار الأخرى ،
ويعارض الجزائريين بالقوة في آمالهم ...

ولما عجزت قواته عن اخضاع الثورة تمنى لو يجد أناسا من
الجزائريين لم يشاركوا في الثورة ليتفاهم معهم على سياسة التدريج
والمراحل ولكنه لم يجد حتى هذه وباء بالفشل الذريع في جميع
المحاولات ... هذا السلوك الملتوى الموح من قادة فرنسا هو
الذى وقف عقبة كأداء في سبيل التفاهم والسلم الحقيقي .

واذا نظرنا الى ما تحتله الجزائر في الأوساط الفرنسية من
المكانة المرموقة لعل نلتمس العذر لهؤلاء القادة ، فأى حكومة
كانت تستطيع أن تبنت في القضية الجزائرية بدون موافقة
الأحزاب ، وبصفة خاصة أحزاب اليمين المتطرفة ؟ ولهذا كلما
تشكلت حكومة تخشى من المسؤولية اذا هى أعزمت الحل بدون
رضى الأحزاب ، فكانت تخشى من نشوب حرب أهلية ، ولما لا
تجد مخرجاً من هذا المأزق تقدم تسليمها وتغادر الحكم ، وتترك
الحالة كما هى ، وهذا ما وقع فعلا ، فالمعمرون وأحزاب اليمين
وقادة الجيش ثاروا على حكومة فيملان لما عزم هذا على المفاوضة
مع جبهة التحرير الوطنى ، وكذلك الجنرال ديغول لما صمم على
حل القضية ثار عليه قواده والمعمرون في الجزائر .

وفي النهاية بدأ الشعب الفرنسى بصفة عامة ، والمسؤولون
بصفة خاصة يدركون مطالب الشعب الجزائرى ، وأهميتها
الكبرى واستماتتهم في سبيلها ، وتحققوا من أن الشعب لا بد
أن يصل الى حقوقه عاجلا أو آجلا ، وسيصبح عربيا مسلما لا
كما تدعى فرنسا بأنه قطعة منها واستعمال القوة لن يجدى
شيئا ...



معاملة جنرالات فرنسا للشعب الجزائري ومخططاتهم الحربية

ان جنرالات فرنسا كلهم تقريبا لا انسانية لهم اذا نظرنا الى أعمالهم الاجرامية التى يتكلم عنها التاريخ أيام الاحتلال لهذا الوطن وأيام ثورة 1954م التى شاهدناها نحن بأنفسنا يبقى الانسان مدهوشا أمام وحشية هذا الشعور ...

فكر هؤلاء القادة حقا في ابادة الشعب الجزائري عن طيب خاطر بحيث جعلوا من التقتيل والتخريب والتهديم مذهباً يدينون به ومبدأ يطبقون بنوده ، فجنرالات فرنسا هم الذين قاموا بمأساة الحرب الجزائرية المريعة قال مجرمهم الأكبر السفاح الجنرال (بيجو) في خطبته التى ألقاها في مجلس النواب بتاريخ 16 يناير سنة 1840م — فقال اننا في حاجة الى جحافل دهماء من المعمرين الفرنسيين والاوربيين لتجلبهم الى الجزائر ، فمن اللازم أن تعطوهم أراضى مرعة ، ومراعى ترعى أنزلوا بها المعمرين ولا يهتمكم أمر أربابها ...

يجب توزيع هذه الأراضى للأوربيين حتى يصبح أهلها الأولون نسيا منسيا ، وأخيرا يجب أن نجعل نصب أعيننا هدفا متينا محكما هو أن ننشئ اقليما فرنسيا ، ولذا فاننا في أمس الحاجة الى غزو واسع النطاق يشبه غزو الفوط وان لم نفعل هذا ستكون نتيجتنا أو هن من نسيج العنكبوت .

وشاطره في هذا الرأى الجنرال روفيقوا القائد الأعلى لجيش الاحتلال فقال : (حيث أننا لن نستطيع أن نمدنهم فما بأيدينا الا اقصاؤهم في الفياقي والغفار ، ويستبعدون كما تستبعد الوحوش الى الأماكن النائية ، ويتحتم عليهم حينئذ أمام اتساع رقعة استيطاننا وتعميرنا الا التقهقر نحو الصحراء والمفاوير .

جعل جنرالات فرنسا أرض الجزائر نهبة الناهب محفوفة بالأرزاء منزوفة بالدماء حتى كادت تصبح قاعا صفصافا ... قال

الدكتور بوديسون في كتابه خواطر عن الجزائر سنة 1954م لا يهم فرنسا أن تخرق في سياستها الاستعمارية المقاييس الأخلاقية وقيمها ، ولكن الذى يهمنا قبل كل شيء هو تأسيس مستعمرة نملكها بصفة نهائية ، ننشر على الشواطئ البربرية المدنية الأوربية ، ومن البديهي أن أقرب الطرق لبلوغ غايتنا هو نشر الرعب ، ففى استطاعتنا أن نحارب أعداءنا الأفريقيين بالحديد والنار ، وأن نضرم نار الفتنة بين قبائل التل والصحرَاء وأن نبلو السكان باستهلاك الكحول ونشر الفساد وبث عقارب النزاع والفوضى بينهم)

قال أندرى مورو في مكسيكو أمام جماعة من الطلبة عن الاستعمار الفرنسى الانسانى قال : (ان الاستعمار في روحه وصلبه لا يمكن أن يكون انسانيا ما هو الا قتل واغتيال) .

وكان جنرالات فرنسا يتشوقون دائما الى دماء الغزل والضعفاء والأبرياء من الشعب الجزائري شامخين بأنوفهم مزهوين بأنفسهم مغترين بقوتهم حانقين على الثوار غاضبين على الشعب ولقد أسند لهم الحكم في هذا الوطن ابان الثورة ، وأطلق لهم العنان في التصرف التام في الشعب بدون مراقبة ، وهم في ثورة شديدة من الغضب والحقد على الجزائريين الذين وقفوا في وجوههم طيلة هذه السنين من الحرب ، وهم من هم مكانة وشهرة في العالم ؟

جمع هؤلاء الجنرالات السكان من رؤس الجبال والسهول والأرياف والصحاريء ، وحشدوهم مع أهليهم وذويهم من نساء وأطفال وعجزة داخل معسكرات محاطة بأسلاك شائكة ، ومن بعدها أقاموا عليهم حراسا شديدا غلاظا لا يعرفون للرحمة معنى ، بعد ما دكت منازلهم دكا وأتلفت محصولاتهم ، وحرقت قراهم ، بحيث ترك المسلمون كلما كان لهم من دور ومتاع وضيعات ، وأجبروهم على الإقامة في هذه المحتشدات مختلطين ببعضهم ببعض كالحيوانات التى تساق الى الحضائر ، وتركوهم فريسة للجوع والعري والأمراض ، فكانت الأوبئة تفتك بهم فتكا عظيما ، ففزع العالم عامة والشعب الفرنسى خاصة لما يجريه هؤلاء

القادة من مذابح جماعية بطيئة رهيبة لأن سكان البادية تقريبا زج بهم في هذه المحتشدات الهائلة ، البلاغ الرسمي يعترف بأكثر من مليون جزائري بين هذه الأسلاك الشائكة .

توالى الاحتجاجات على هذه الأعمال الوحشية من طرف العالم وقام الأحرار من الشعب الفرنسي من ناحيتهم بحملة دعائية واسعة في الصحف ، فكانوا ينددون بأعمال المعمرين وفضح جرائمهم ، والتشهير بالظلم والابادة التي كان يجرونها قادة الجيش في الجزائر ...

اضطرت الحكومة الفرنسية الى تشكيل لجنة للتحقيق في اوضاع هذه المعسكرات ونزلائها ، كانت هذه اللجنة مؤلفة من ستة أعضاء موظفين كلهم فرنسيون ، وهم بطبيعة الحال خصوم للثورة ، وبعد أن زارت خمسة عشر معسكرا رفعت الى الحكومة التقرير الآتي ، وهذا نصه قالت فيه ...

1 - ان جميع المعسكرات والتجمعات أقامتھا القوات الفرنسية بمحض سلطتها والأسباب التي دعت الى اقامتها هي أسباب عسكرية بحتة ، وهي تنظيف المناطق التي ينشط فيها الثوار .

2 - ليس لهذه المعسكرات سجل رسمي ، وهو ما لا نستطيع بصفة رسمية أن نؤكد عددهم على وجه التحديد الا ان المؤكد لدينا هو أنهم لا يقلون عن مليون شخص .

3 - لاحظنا أن عدد الرجال في هذه المعسكرات أقل بكثير من عدد النساء .

4 - كلما يحدث تجمع من هذا القبيل تنقطع أسباب الحياة بشكل يكاد يكون تاما ، وهو ما جعل الحياة المادية للأهالي في هذه المعسكرات تشكل في أغلب الحالات حالة مؤلمة ...

وهذه المعسكرات محاطة بالأسلاك ، ومهما حاولت معهم السلطات ، فان حياتهم الاجتماعية لا يمكن أن تكون مثلما كانت عليه بواسطة مواردهم الخاصة ...

5 - الحالة الصحية تجاوزت كل حد للتماسة ، فمثلا في كل تجمع يوجد ألف طفل يموت كل يوم اثنان ، أما الحالة الصحية للنساء والرجال بصفة عامة قد بلغت درجة من الضعف حتى ، أصبحت العقاقير الطبية أمامها غير ذات أثر يذكر ...

6 - يلاحظ أن تجمع الأهالي بهذه الصورة يجعل حياتهم الاقتصادية مقضيا عليها بالفناء ، اذ جىء بهم الى هذه المعسكرات لينقطعوا فيها عن موارد العيش ، وكلما أصيب هؤلاء السكان في حياتهم المادية كذلك أصيبوا في حياتهم المعنوية وفي كرامتهم ، لأن حياتهم كلها داخل المعسكرات متوقفة على ما يقدمه لهم من صلبات الشؤون الأهلية (صاص) من صدقات لا تتجاوز أحد عشر كيلو غراما من شعير في الشهر لكل شخص دون اعتبار نصيب الأطفال ويضاف الى ذلك أن عدد كبيرا من سكان هذه المعسكرات قد توقف عليهم هذا المورد الوحيد لحياتهم ، وذلك منذ شهر ونصف لم نستطع أن نعرف سبب ذلك .

وختمت اللجنة تقريرها بقولها : ان الاجراءات السابقة جعلت ما يقرب من مليون شخص بين النساء والاطفال والرجال مهددين بمجاعة ، وان الوسائل الادارية المادية لا يمكن أن تطبق في هذه المعسكرات بأية حال ، ولذلك ينبغي تغيير هذه الأساليب الادارية بالنسبة لحشود المعسكرات هذه مع مراعاة النشاط الاقتصادي لهؤلاء الناس ، والذي بدونه يستحيل عليهم أن يواصلوا الحياة ...

هذا هو تقرير اللجنة ، ولكن هل انتهى القادة العسكريون من برامجهم الابدائية كلا ؟ ان جنرالات فرنسا كانوا دائما يضعون اباداة الشعب الجزائري هدفا لهم ، وهم في كل مرة يبيؤون بالحيلة المريرة والفشل الذريع .

ثورة معمري الجزائر مع الجيش الفرنسي على الحكومة المركزية في باريس وسقوط الجمهورية الرابعة

في هذه السنة أى السنة الرابعة من اندلاع الثورة الجزائرية أصبح الشعب الجزائري قويا جبارا فوسائل الفناء والدمار التي استعملها الجيش الفرنسي ضده أصبحت عاجزة تماما عن ابادته ، فكان كالجوهر النفيس لم يزدده العذاب الجهنمي الا قوة وعزيمة وصلابة واتحاد حتى قضى على جميع المخططات ...

عجز الجيش الفرنسي عن مواجهة الثورة بالقوة ، ولم يستطيع القضاء عليها كما كان يدعى ، أو ينال منها نيلا ، أو يحط من قيمتها وكرامتها ...

وفي هذه الآونة أصبح جيش التحرير يعد بعشرات الآلاف منظما مزودا بأحسن الأسلحة مدربا على مختلف ضروب حرب العصابات والحرب النظامية على السواء ...

أصبحت الثورة تتقدم نحو أهدافها ، فصارت تتحكم في سياسة فرنسا الداخلية والخارجية معا ، أثرت على علاقتها مع الدول الأسوية الافريقية بصفة عامة ، وعلى تونس والمغرب بصفة خاصة ...

اثورة الجزائرية هي التي كانت سببا في أزمة وزارية لفرنسا وسقوط حكوماتها ، والحيرة والاضطرابات التي وقعت فيها الجمهورية الفرنسية الرابعة حتى أزيلت من الوجود ، وأصبحت الحرب في الجزائر عبئا ثقيلا على اقتصاد فرنسا ، اذ قدر نفقات الحرب خلال عامى 56 - 55 الى سبعمائة مليار فرنك قديم في السنة ، وحرمت البلاد اليد العاملة نتيجة دعوة الجيش الاحتياطي الى الحرب ، وانخفضت القوة الشرائية ، وضج الشعب الفرنسي من كثرة الضرائب ، من أجل هذا وغيره ارتفعت الصيحات في فرنسا مطالبة باءنهاة الحرب في الجزائر وراجت كذلك اشاعات بأن م فيملان الذى دعى حينذاك لتولى رئاسة الحكومة ، كان ينوى التفاوض مع جبهة التحرير ...

ولما تحققت أحزاب اليمين ، وفي مقدمتها غلاة المعمرين بهذه الشائعات ثارت على سياسة التفاوض والتخلي عن الجزائر الفرنسية ، وأخذت تسعى للقضاء على كل من يريد أن يسلك هذا السبيل من الحكومة التي تريد المفاهمة والمفاوضة مع جيش التحرير ، واتصلت هذه العناصر بقيادة الجيش العليا ، فوجدت هذه القيادة متضمنة الى الغاية من هذه المحاولات التي يريد بعض الساسة من الفرنسيين أن يتلاعبوا بمصالح فرنسا العليا ، ولهذا يتحتم على الجيش أن يتدخل في الشؤون السياسية ، وكثيرا ما كان يوجه النقد الى الحكومات لتساهلها في ادارة انقال مراعاة لاعتبارات سياسية ، بحيث كانت تمنع الجيش من تتبع الثوار وراء الحدود التونسية كما أنها كانت تتهاون في نشر أخبار تعذيب الجزائريين مما يتبط روح الجيش المعنوية ، وأستاء أيضا من مقتل ثلاثة من الفرنسيين نفذ فيهم حكم الاعدام جيش التحرير وذلك ردا على حكم الاعدام الذي نفذ من قبل في مواطنين جزائريين من طرف السلطة الفرنسية ...

من أجل هذا وغيره كان الجيش يريد انقلاب الحكومة ليقضى على أحزاب اليسار المتقدمين في فرنسا ، يتولى مقاليد الحكم ليمحي عنه آثار الهزيمتين اللتين حلتا به ...

الأولى عند توقيع الهدنة مع ألمانيا 1940م والثانية في حرب الهند الصينية وغيرها من الهزائم الأخرى التي كانت تحل بهذا الجيش المغتر بقوته الشامخ بأنفه الى السماء المزهو بكبريائه وطفياه يفلب على طبعه التجبر من أن يتفاوض مع قادة جيش التحرير ، ، وكيف يتفاوض معهم وهم قد تركوا جروحا غائرة وآثارا واضحة في ذاته ، ووصمة عار في شرفه لا تمحي على مر الدهر .

هذا هو السبب في تأييد الجيش للانقلاب وغضبه الشديد على الجزائريين فانه يرى كل مفاوضة أو تنازل من طرف السلطة العليا لقادة جبهة التحرير يمس بشرفه وعظمته واذا كان شيء من هذا القبيل لا بد من خضوع الثوار الى الجيش الفرنسي أولا

وقبل كل شيء ، ومن ثم يعطى لهم شيء ما تحت الحكم الفرنسي ، أما المفاوضات الدند للند فففيه اهانة فلا يرضى بها الجيش أبدا .

هذه طبيعة المعمرين انهم لا يريدون التفاهم مع غيرهم أبدا ولم يتعظوا بما وقع لهم بالهند الصينية ولا بالمغرب العربي ... ولم تكن هذه المرة الأولى يتمرد فيها المعمرون على الحكومة المركزية خلال الثورة الجزائرية فقد حدث في يوم 6 فبراير 1956م أن ثار المعمرون على الحكومة الاشتراكية وأجبروا رئيسها على تبديل الوالى العام الذى عينه للجزائر وهو الجنرال كاترو محتجين بأنه أشترك منذ قليل في المفاوضات التى أدت الى دعوة محمد الخامس الى الحكم في المملكة المغربية ...

ولما تمت المؤامرة ، واتفق المعمرون مع قادة الجيش المحارب في الجزائر على الانقلاب لكي يتخلصوا من حكم اليسريين التقدميين الذين يريدون مسaire الظروف والتطورات العامة .

وبعد ما اتفقوا على الشخصية التى تتولى الحكم بعد الانقلاب وهذه الشخصية الجنرال ديفول بطل الحرية كما يسمونه هى التى ينادى بها الجيش رئيسا للحكم لأنه يتمتع بسمعة طيبة في الأوساط الفرنسية ، وهو الرجل الوحيد الذى يستطيع أن يوحد كلمة الشعب لأنه محبوب من جميع طبقاته .

ولكن رجال الانقلاب كانوا يريدون أن يجعلوه رمزا للحكم فقط ليس له من النفوذ شيء ، أما التسيير للحكم فهو لمديرى الانقلاب ، وقرروا أيضا بأن تبقى الجزائر فرنسية قلبا وقالبا ذاتا وروحا مهما كانت الأحوال ، ومواصلة الحرب ضد الثوار الى أن يقضى على الثورة تماما ، ولا يتنازلون عن شيء ولو كان حقيرا تافها ، فكل شيء يتنازلون عنه يؤدى حتما الى الاستقلال ، والانفصال عن أم الوطن ...

الحل الوحيد للجزائريين - في نظرهم - هى المساواة في الحقوق والواجبات في دائرة القانون الفرنسي ، وتجريدهم من قوميتهم وشعائهم الدينية والأخلاقية ، وادماجهم في العائلات الفرنسية حتى يصبحوا مواطنين فرنسيين هذا ما اتفق عليه أصحاب الانقلاب ...

نداء الجنرال ديغول لتولى رئاسة الحكم

وفي 13 ماي 1958م - أقام المعمرون بالاستلاء على الولاية العامة في الجزائر .

وسرعان ما انضم اليهم معظم قادة الجيش الفرنسي وعلى رأسهم «رأول سلان» قائد الأركان الحربية و «جاك ماسو» قائد فرقة المظلات وأعلنوا الى العالم استلامهم للحكم في الجزائر ، وألقوا بجان أمن في أنحاء الوطن لتدير الحكم في البلاد وشكلوا مجلسا عسكريا يتألف من احدى عشر عضو برئاسة زعيم الانقلاب «الجنرال ماسو» وأول عمل قام به هذا المجلس هو ارسال نداء الى الجنرال ديغول لتولى مقاليد الحكم ، وهرقيات التهديد الى كل من رئيس الجمهورية والوزراء ورئيس الجمعية الوطنية في باريس الذين يريدون فصل الجزائر عن فرنسا ، الويل لهم أن لم يستجيبوا لهذا النداء وعهدوا بالحكم في الجزائر مؤقتا الى الجنرال (رأول سلان) هذا ما وقع في الجزائر .

أما في فرنسا فقد تفاقم الأمر واضطربت الأحوال وانقسم الفرنسيون على أنفسهم ، فالعناصر الرجعية الاستعمارية هللت وكبرت لهذا الانقلاب ، وانضم الجيش كله سواء كان في فرنسا أو في البلدان الأخرى الى هذه الثورة .

بدأت لجان الانقاذ تنتشر في الجزائر وفي فرنسا ، وأعلن الرأسماليون انضمامهم الى هذا الانقلاب ، وأخذت أحزاب اليمين تمهد الطريق الى الدخول في الحكم، وتطالب برجوع الجنرال ديغول الى الرئاسة ...

وسرعان ما احتل رجال الانقلاب جزيرة (كورسكا) من طرف جنود المظلات ، وفي 16 - أيار 1958م ، أعلن الجنرال سالان بصفته القائد العام للقوات الفرنسية في الجزائر تأييده لعودة الجنرال ديغول الى الحكم ، واستعد الجيش الفرنسي لاحتلال العاصمة الفرنسية نفسها ، وكانت العناصر المتطرفة تمهد

الطريق لذلك ، وفي 19 - من ايار ، نشرت صحيفة الفقارو كتابا للمرشال الفونس جوان الاستعماري الحقود قال فيه (انه لم يعد يؤمن بالزعماء السياسيين لأنهم يسعون بأن يجعلوا البلاد تقبل منح الاستقلال للجزائريين) وقال نائب فرنسي لقائد قوات الحلف الأطلس (لم تعد أقل ثقة في كلام زعمائنا انهم لم يكفوا منذ أربع سنوات عن دفعنا في مزالق الاستسلام ...

وقال المرشال جوان : ان هناك أمرا فقط يستأثر باهتمامنا من الآن فصاعدا هو زيادة العسكرية واستبعاد كل مفاوضة مع قاطعي الرقاب ، لقد طالبت بذلك منذ زمن بعيد دون أن أجد أدانا صاغية) وضاعف الانقلابيون الفاشيشت من جهودهم المؤيدة بالقوة المسلحة فرض الجنرال ديغول على الحكم لتبقى الجزائر فرنسية الى الأبد ...

وكان الانقلابيون يرمون من وراء ذلك اقامة حكم دكتاتوري مطلق في فرنسا ، واتخذوا اسم الجنرال ديغول مطية للوصول الى أهدافهم لئلا من الشهرة الواسعة ، وبعد الصيت في الأوساط الفرنسية وفي غيرها من البلدان المستعمرة ... هذه هي نظرية الجيش الفرنسي ، ومن التف حوله من غلاة المتمردين والمتطرفين من الأحزاب اليمينية في هذا القائد المشهور ...

عقد الجنرال ديغول ندوة صحفية مساء يوم 16 ايار 1958م أظهر فيها استعداداته لتولي رئاسة الجمهورية الفرنسية كما فعل قبل ذلك في أزمة وطنية خطيرة للغاية الا أنه حرص على أن تكون توليته للحكم عن طريق الدستور ، ولم ينس أن يخاطب رجاله المتمردين في الجزائر ، ومؤيديهم من الفاشيشت في فرنسا وأصحاب المصالح الاستغلالية من رجال الحكم قائلا : ان مستقبل فرنسا وماضيها مرتبطان بمستقبل الجزائر وماضيها فتتفلس المتطرفون عند ما سمعوا هذا التصريح الصعدهاء وظنوا أنهم بفضل هذه الثورة العارمة والانقلاب الموفق ضمنوا فرنسية الجزائر.

وفي 20 - ايار 1958م صرح مجرم الحرب (لاكوست) ، في باريس مهددا حكومة «فلملان» قائلا لا يستطيع أى شيء أن يوقف زحف الثورة الجزائرية الفاشية

أما القوة الشعبية الديمقراطية كانت تعارض عودة الجنرال ديغول الى الحكم ، ومنذ الانقلاب أصبحت حكومة (فلملان) تواجه أخطر أزمة تمر بفرنسا ، وفي ساعة مبكرة من صباح يوم 16 - ايار 1958م ، صرح رئيس الحكومة عقب الانتهاء من اجتماع مجلس الوزراء بأنه سيطلب من الجمعية الوطنية اقرار مشروع قانون يقضى بإعلان حالة الطوارئ في البلاد وقال : استعرضت الحكومة في اجتماعها آخر تطورات الموقف وهى تعتمد على الجيش الذى يؤمن بتقاليده التى تحتم عليه أن يكون وصيا على الوحدة ...

أسفر اجتماع المجلس الوطنى عن قرار يمنح حكومة (فلملان) حالة الطوارئ لمجابهة قضية إعادة الأمور الى مجاريها الطبيعية بين الحكومة والجيش ، وعلى الفور أمرت الحكومة بالغاء اجازات جميع الجنود والضباط وعودة المجازين منهم الى وحداتهم فوراً ، وعلى أثر صدور هذا القرار أصبحت القوات الفرنسية المسلحة في التراب الفرنسى تحت السلاح وفي حالة استثنائية وفي 17 - ايار 1958م أصدرت منظمة العمال سلسلة من البيانات تعلن اعتزامها عن الاضراب والقيام بمظاهرات ضد دعوة الجنرال ديغول الى الحكم ، وأخذت القوى الديمقراطية تعبىء قواها للدفاع عن النظام الجمهورى الديمقراطى ، فتشكلت في عدد مدن لجان معادية للفاشيشت ضمت في صفوفها ممثلين عن أكثر الأحزاب ، ومنظمات الشباب والنقابات ، وأخذت على عاتقها تنظيم الجماهير وتعبئتها للدفاع عن الجمهورية ضد الانقلاب الفاشى الزاحف بالتهديد الى الحكم ، وعقدت مؤتمرات شعبية للطلاب والعمال ضد الحرب في الجزائر شملت باريس ومختلف مدن فرنسا ، وفي يوم واحد عقد في باريس وحدها احدى عشر مؤتمرا شعبيا كلها تحتج على محاولة الجنرال ديغول الى الحكم ، وتطالب بانهاء الحرب في الجزائر ، أصبحت فرنسا من جراء هذا الانقلاب مهددة بحروب أهلية .

وفي 15 - أيار 58 أعلن الثوار الجزائريون عن موقفهم ازاء حركة التمرد العسكري هذه على لسان مدير جبهة التحرير الدكتور الأمين الدباغين في حديث أولى به الى وكالة أنباء الشرق الأوسط بالقاهرة قال فيه : ان حركة التمرد التي يقودها الجنرال ماسو في الجزائر هي نتيجة ضعف الحكومات الفرنسية ولما رأى رئيس الجمهورية (كوتى) أن الخلاف قد نشب بين الأحزاب ، والمحروب الأهلية باتت قاب قوسين أو أدنى ، فخاف من هذه الحالة التي تنذر بشر مستطير انحاز الى مديرى الانقلاب واتفق معهم على استدعاء الجنرال الى الحكم ، واستعمل نفوذه لدى أعضاء الجمعية الوطنية لاقتناعهم بمنح الثقة الى الجنرال فما وسع حكومة فلملان الا الرضوخ للأمر الواقع ، وقبلت التنازل عن الحكم وسلمت مقاليدته الى الرئيس المعين الذى لى نداء الجيش ووعد الجميع برجوع السلم الى الجزائر في أقرب وقت ممكن ...



صعود الجنرال ديغول الى الحكم

كان المفكرون من الفرنسيين الأحرار ينظرون الى هذا الرجل الذى نادت به الأغلبية من الشعب نظرة تختلف عن نظرة الفريقين معا فكانوا يرون فيه القائد المحنك والمنقذ الوحيد لفرنسا مما تتخبط فيه من أزمات حادة ووطنية متحجرة وعقليات رجعية بغيضة زجت بالشعب الفرنسى في حروب دامية متواصلة الحلقات طويلة الأمد أودت بزهرة الشباب وبشروته المالية وبسمعته وشرفه ، وكان داهية حقا ذا وطنية عميقة وطموح كبير ، ففطن الى خطة الجيش الذى دبر الانقلاب ، وما يعتزمه من الأعمال التى لا تتفق مع الأوضاع الديمقراطية ، ولا تتلاءم مع الظروف الحالية ، وكان على علم تام لما يرمى اليه الجيش من الأهداف البعيدة ، وأدرك أن عهد الاستعمار قد انقضى وولى ، وكان عازما على اصلاح الجهاز الادارى المتعفن ، وتوسيع الاقتصاد وتطور الصناعات حتى تلتحق فرنسا بمصاف الدول العظمى ، ورسم خطة محكمة للمستعمرات التى هى تحت الحكم الفرنسى لتصبح مرتبطة بفرنسا رباطا وثيقا وتتعاون معها في جميع الشؤون ...

لهذا استجاب للنداءات المتكررة وقبل الحكم ، ولكنه اشترط أن تفوض اليه جميع الأمور ، فرضى الجميع بهذا الشرط ، وفي 2 حزيران 1958م منحت الجمعية الوطنية الثقة للجنرال ديغول بأغلبية ساحقة ، وعلى أثر اعلان هذه النتيجة طالب الجنرال الجمعية الوطنية بمنحه سلطات خاصة أكثر من التى حصل عليها أسلافه في الحكم لمعالجة الثورة الجزائرية التى مضى على نشوب الحرب فيها أكثر من ثلاثة أعوام ونصف ، وفي الثالث من هذا الشهر صادقت الجمعية الوطنية على اصلاح الدستور الذى قدمه الجنرال ديغول ...

ولما تسلم الجنرال الحكم قصد مقر رئاسة الوزراء ، فكان أول المهنيين له مجرم الحرب (لاكوست) الوزير المقيم في الجزائر ...

والآن ألقى نظرة على قصد الجنرال ديفول هل كان حقا يريد تطبيق سياسة تقرير المصير على الجزائر منذ صعوده الى الحكم ، ولم يعلن عنها الا من بعد أن واثته الظروف وقضى على المعارضة ؟ أم أنه كان يريد مثل سابقه من حكام فرنسا أن يحل القضية الجزائرية حلا عسكريا تدريجيا تحت ضغط الحوادث التي انتهت بتقرير المصير ...

وعلى كل حال فلكل من النظريتين شواهد تدل على صحتها واني أمضى مع هذا الرجل منذ توليه للحكم ومعالجته لمشكل الجزائر الى الاستقلال وأبين الحوادث التي وقعت في عهده والقارئ الكريم يحكم بصفة نظرية من هاتين النظرتين وفي اليوم التالي من توليه للحكم طار الى الجزائر ، وهناك استقبل من الفاشيشت والعسكريين استقبالا الفاتحين ، وأحاطوه بهالة كبيرة من التقديس والاحلال ، وكان متغمضا شخصية «نابليون العظيم» فألقى خطابا موجزا في المفوضية العامة قال فيه : (سأجعل جميع الجزائريين فرنسيين : وسأعمل على ايجاد جنسية فرنسية واحدة لكل سكان الجزائر : ، واعترف بشجاعة الجزائريين) ، وقال : (ان البطولة لم تكن غريبة عن أرض الجزائر) .

وفي اليوم السادس من شهر حزيران 58 - زار وهران وأكد لمستقبله أنه سيتولى بنفسه ادارة شؤون الجزائر حتى يضمن النجاح التام لأنتصار فرنسا في حربها ضد الثوار ، وزار عدة مدن وقرى ، وألقى عدة خطب كثيرة كلها تحث على ارجاع السلم والهدوء ، وكلامه على مصير الجزائر كان غامضا ومبهما ، وغلاة المعمرين كانوا يريدون منه أن يصرح بأن الجزائر فرنسية ، ولكنه امتنع ولم يتلفظ بها أبدا الا مرة واحدة في مدينة مصطفى غانم ...

علقت القيادة العليا للثورة الجزائرية على خطابه فقالت :
(ان خطاب الجنرال الذي يعد فيه بالمساواة والادماج بين الشعبين

جاء بعد أربع سنوات من الثورة الوطنية ، ولا يشكل سوى خطوة أخرى في القتال المستمر) ، ورد كذلك القادة من جيش التحرير على خطابه الذى ألقاه في مدينة وهران بـ بيان جاء فيه (سنتابع الحرب حتى النهاية ضد ديغول المتنكر في زى بيتان) .

وعاد الجنرال ديغول مرة أخرى الى الجزائر وخطب في اليوم الرابع من تموز 58 قائلا : (ستبدأ حكومتى في تقديم من المال للمصانع والمزارع ، ومشاريع الاسكان والمدارس في الجزائر وقد خصصنا مبلغ 15 مليارا فرنك قديم تصرف فورا على تعمير الجزائر اقتصاديا ، ولكن لاتنتهى هذه السنة دون ان أعلن عن المشاريع الكبرى وموارد الطاقة التى ستؤمن لادارتها واختتم كلامه قائلا بالتوجه الى العرب «سيدمج الجزائر وفرنسا كما سيعطى حقوقا متساوية في التصويت ، وستمنح نساؤهم حق التصويت» وأعلن في الدستور الجديد بأن كلا من الجزائر وفرنسا دولة واحدة ...

وكان لهذا الانقلاب الفاشى وتولى الجنرال الحكم صدى كبير ومهرجانات عظيمة في الأوساط الاستعمارية أُلقيت فيها الخطب الرنانة ، وتخللتها التصفيفات الحادة ، وتبودلت فيها التهانى بين غلاة المعمرين والجيش ...

وفي الحقيقة أنها فترة راحة من الحمى الشديدة التى تعترى المنهوك القوى ، ولذا لما تفرق المجتمعون ورفعت الستائر وأطفئت الأنوار ، وجد المعمرون أنفسهم كما كانوا قبل الانقلاب ، والثورة الجزائرية أشد مما كانت عليه من القوة والضراوة والشعب أكثر تماسكا واتحادا وأمضى عزيمة وصلابة علق الملاحظون السياسيون آمالهم على هذا القائد العظيم في حل هذه القضية الشائكة ، وجعل حدا لهذه الحرب المجرمة لأنه هو الرجل الوحيد الذى يقدر على فصل هذه القضية نظرا لشخصيته القوية ونفوذه الكبير ، وكان بعض الشخصيات عالمية وفرنسية يتمنون رجوعه الى الحكم من قبل أن يتولى ليريحهم من عناء هذه المشكلة العويصة ...

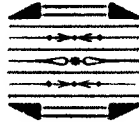
لكنه وبالألسف أذهبت هذه الآمال أدراج الرياح ، فكان يفكر منذ اللحظة الاولى التى تولى فيها الحكم كيف يقمع الثورة الجزائرية بالقوة ، أو الانتهاء منها في أسرع وقت ممكن بعد ما أحرز لنفسه على موافقات الدستور وسلطات واسعة فحشد أقصى ما يمكن من قوة حربية وجابه بها الثورة ليستأصل شأفتها ويقضى عليها تماما حتى يفرض الحل الذى يريده للشعب الجزائرى ، ولهذا لما تسلم الحكم فبدلا من أن يعترف بالاستقلال الذى تكون فيه بالطبع حقوق الجالية الأوربية مضمونة ، بالأقل يتفاوض مع قادة جبهة التحرير على خطة ما ترضى الطرفين لتكون العلائق مع فرنسا حسنة ف هذا وحده فقط يجعل للأحزان والآلام التى تسلطت على هذا الشعب منذ الاحتلال والدماء تسيل ، ولكنه قرر الاستمرار في الحرب ، وزاد في قوة الجيش ، وفرض عليه أن يسكن في قمم الجبال ، وكان يكثر الاجتماعات مع قادة الجيش لدراسة خطط الحرب دراسة دقيقة على الخرائط ودراسة طبيعة الأرض التى يدور فيها القتال ، وكان بين أونة وأخرى يأتى الى الجزائر ليتفقد الجند ، وصمم على أن يقف في وجه الثورة موقفا ايجابيا وحازما فاستعمل كلما يملك من قوة ودهاء ، وكان سلاحه ذا حدين فيبرق ويرعد عن الثورة ، ولكن هيهات أصبح الشعب لا ينخدع بالوعود الكاذبة بل ازداد ثقة بنفسه وبثورته العارمة وتمسكا بقيادته واتحادا في صفوفه ، وضاعف صبره على العذاب الذى أفرغ على أم رأسه ...

وكان هذا القائد يرى نفسه فوق أقطاب العالم سياسة ودهاء وتقدما ، ويرى فرنسا هى أم الحرية والديمقراطية في العالم ، ولهذا منع كل من أراد أن يتوسط في حل القضية من الدول المحيطة للسلام منعا باتا ، ولم يقبل أى نصيحة من أى انسان كان ، ولم يعترف بأن هذه القضية خارجة عن نطاق فرنسا ...

كان العالم ينتظر من هذا الجنرال أن يحل القضية ، ولكنه كان مشغولا بمواصلة المعارك وتخطيط البرامج ، وتجهيز الجزائر اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا لتحسين أحوال السكان وزيادة الانتاج والعتاد الحربى في فرنسا ، والحلف الاطلسى يشد أزره ويؤيده في محاربة الثوار ...

أمقت العالم هذا الادعاء بالعظمة الموهومة ، والشرف
المزعوم ، فتركه يتيه في أحلامه وأوهامه ، ولم يبق مواليا له
من الدول الا الدول الاستعمارية التى تسير على غرارها فى السيطرة
على الشعوب الضعيفة ، واتجهت شعوب العالم الثالث الى مؤازرة
الشعب الجزائرى فى كفاحه التحريرى والوقوف بجانبه ...

وأحببت الثورة الجزائرية جميع البرامج والحفط الحربية
التى ينظمها الجيش الفرنسى بأشراف الجنرال ديفول نفسه ،
وجميع المؤامرات والدسائس التى كانت تحاك فى الخفاء ، ووصلت
الثورة مرة أخرى الى تهديد الشعب الفرنسى بالانقسام والحرب
الاهلية ، وعندئذ عرف غالب الفرنسيين أن استعمال القوة
لن يجدى شيئا ، ولم يكن الجنرال أفضل من سابقه من الحكام
الذين سبقوه ، ولهذا أصبحت الأغلبية الساحقة من الفرنسيين
تنادى بحل القضية حلا عادلا ...



تجديد الدستور الفرنسى

ولما تمكن الجنرال من قبضة الحكم وضمن ثقة الشعب الى جانبه ، وخلال له الجو من المعارضة حل الجمعية الوطنية وألف لجنة من المشرعين الكبار وأرباب القانون ليحددوا له الدستور ، ووضع لهم تصميمات خاصة ، وكانت هذه اللجنة لا تقرر المواد بصفة نهائية الا بمراجعته ومشورته حتى جاء هذا الدستور الجديد مطابقا لفكرته لأن الأعمال التى يريد اعتزامها لا بد له من موافقة الدستور عليها وهذا الدستور يترك الباب مفتوحا أمام المستعمرات في افريقيا الغربية والوسطى لكى تختار بين البقاء في العائلة الفرنسية ، أو الانفصال عنها ، لأنه كان خائفا من ثورة الجزائر أن تمتد الى هذه المستعمرات ، ولم يشرك الجزائر في هذا الاختيار لأنه كان يعتبرها أرضا فرنسية ...

ولما تم الدستور قدمه الى الشعب الفرنسى ، وإلى الشعوب المستعمرة في افريقيا للمصادقة عليه ، وعين له يوم 26 سبتمبر 1958م ، وأخذ في بث الدعاية له ونشر مواده على صفحات الجرائد في فرنسا والأقطار التابعة لها وسافر الجنرال بنفسه الى افريقيا السوداء ليفهمها في هذا الدستور حتى تصادق عليه باجماع .

وكانت قوات الأمن والمنظمات الفاشية والعسكريون يضغطون على السكان المسلمين ليشاركوا في هذا الاستفتاء باعتبارهم فرنسيين ...

قابلت الثورة هذه الأعمال المنافية للمعقول والمنطق الصحيح باجراءات مضادة لها ، ففى يوم 25 من أغسطس 1958م أمرت بجهة التحرير الفدائيين أن يحطمو المنشآت الاقتصادية والعسكرية في أرض فرنسا نفسها ، فعم التخريب جميع الوطن الفرنسى كاملا ، فكانت خسائر كبيرة تعد بالمئات المليارات .

وفي يوم 26 - ايلول 1958م جرى الاستفتاء العام على هذا الدستور وقبل الاستفتاء صرح القائد الجزائرى بوصوف قائلا :

لن يشترك أى جزائرى واحد في هذا الاستفتاء الذى سيقع في هذا الشهر على دستور الجنرال ومضى يقول (ان ثورة الجزائر يمكن أن تستمر عشر سنوات أخرى ، وسيكون لدى الثوار الأسلحة الكافية التى تمكنهم من مواصلة الحرب ، ولا تستطيع فرنسا الاستمرار في الحرب بدون مساعدة أمريكا) .

امتنع المسلمون عن الاشتراك في هذا الاستفتاء مستجيبين في ذلك الى قرار قيادتهم بمقاطعته . وقام الفدائيون بتعطيم مراكز الانتخاب ...

ولما بدىء الاقتراع على هذا الدستور - انت السلطة الفرنسية المسلمين في الشاحنات وسيارات النقل ، الى مراكز الاقتراع مستعملة في ذلك القوة ، في مساء نفس اليوم اذاع السيد فرحات عباس رئيس الجمهورية الجزائرية المؤقتة أول بيان سياسى منذ اعلان الحكومة قال فيه . (ان الشعب الجزائري لن يلقى السلاح الى أن يتم الاعتراف بحقوق الجزائر في السيادة والاستقلال ، والجزائر ليست فرنسا ، والشعب الجزائري ليس فرنسيا ، وأشار الى الاستفتاء حول الدستور الفرنسي الذى بدأ اليوم في الجزائر ، هو ضغط لا يحتمل على شعب يكافح من أجل الاستقلال) .

انجلت معركة الانتخابات عن قتلى ومساجين من طريف الجزائريين الذين رفضوا المشاركة في هذا الاستفتاء .

ولأول مرة خرجت النساء المسلمات من خدورهن الى صناديق الاقتراع يسوقهن الجند أمامه ، وعد الجنرال هذا من مفاخره العظيمة وحادثا هاما في سياسته وتقدما محسوسا نحو الحرية التى ينشدها الجزائريون ...

صوتت شعوب افريقيا السوداء كلها بنعم ، واختارت البقاء في المجموعة الفرنسية الا غنيا فضلت الانفصال عن هذه المجموعة دون أن تتعرض لأى ضغط ...

وباختصار فان هذه المجموعة من الأفارقة وافقت على ما جاء في هذا الدستور من المواد ورضيت به ، وكان الدستور ينص على أن سياسة هذه الأمم وثقافتها كلها بيدي فرنسا وما بقى من

الشؤون الأخرى تتصرف فيها وحدها ، وتمتنع عن رفع علم بلادها ورمزها ، وإذا أرادت أن تكون لها شعار فتنقشه في العمود الذى يحمل العلم الفرنسى ...

ولكن هذه الأمم لم تقنع بهذه الوضعية المزرية بشرفهم فواصلت كفاحها السياسى حتى أحرزت على استقلالها ، وذلك في سنة 1960 ولكنها باقية مرتبطة مع فرنسا ورئيسها هو رئيس هذه المجموعة في جميع الميادين وعلى أثر موافقة الجزائريين المزيفة على الدستور ، فتحت أبواب المجالس النيابية الفرنسية أمام الجزائريين ، وزيد في عدد الأعضاء في مجلس النواب الى 44 نائبا والشيوخ الى 32 على ما كان عليه سابقا ، فأصبحت نسبة الجزائريين الى المستوطنين الفرنسيين الثلثين بدلا من النصف ...

وأكدت تصريحات (م. دبريه) رئيس الوزراء وجود هذا الاتجاه أى (اتجاه ادماج الجزائر في فرنسا) لدى حكومة الجنرال حينما أعلن عن نيته في توحيد النقد والميزانية والقانون المدنى بما في ذلك قانون الأحوال الشخصية اذا أراد الجزائريون ...



أول خطبة للجنرال ديغول بين فيها حل القضية الجزائرية

وفي الثالث من شهر تشرين الأول 1958م سافر الجنرال الى الجزائر وألقى خطابا في مدينة قسنطينة في أوساط المعمرين ، وبعض قوات الجيش قال فيه : (لقد أظهر الاقتراع على الدستور ثقة الجزائريين ورغبتهم في البقاء مع فرنسا) وأضاف قائلا : (ان مستقبل الجزائر ومستقبل فرنسا مرتبط أحدهما بالآخر كل الارتباط ، ثم وجه خطابه الى مستمعيه من جمهور الفرنسيين فقال : (ان الاستفتاء على الدستور يوم الأحد الماضي ، لم يعد اليوم أما منا سوى طريقين الحرب ، أو الاخوة ، وقد اختارت الجزائر الأخوة مثل كل منطقة أخرى في فرنسا ، أما المشروحات الاجتماعية فتتمثل في مشروع قسنطينة للسنوات الخمس وقد رسمه في أوائل سنة 1959م ويهدف الى فتح مجالات العمل أمام الجزائريين ، وهذا المشروع هو الذي اعتبره نهوضا بالبلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا قال الجنرال ديغول : ها أنى جئتم أيتها الجزائريات والجزائريون لأوضح لكم المستقبل الذى تدعو فرنسا اليه ، انه مستقبل ينطوى على أحدث انقلاب كلى يشمل هذه البلاد الحية الباسلة ، ولكنها جد صعبة ومتألمة ، انه انقلاب يجعل شروط حياة كل جزائرية وجزائرى في تحسين مطرد بحيث يستثمر خيرات الأرض ، وأعمال السكان وقيم الممتازين من الناس ويعمل على تنميتها فيكون أولاد الجزائريين منعمين ...

وباختصار بأن تأخذ الجزائر نصيبها مما تستطيع المدنية أن تقدمه الى الناس ، أو مما يجب عليها أن تقدمه اليهم من خير وكرامة ...

ولما كانت المشاريع الكبرى تستلزم تدابير علمية فاليكم ما قررت حكومتى بموجب الاصلاحات الدستورية الجديدة التى تتمتع بها ، وتنفيذ هذه الصلاحيات يكون في بحر السنوات الخمس الآتية .

سيدخل في بحر هذه السنوات الخمس عشر الشبان الجزائريين على الأقل الموجودين في الوطن الأم جهاز الدولة من ادارة ، وقضاء ، وجيش ، وتعليم ، ومصالح عامة ، وسيؤخذ هؤلاء الشبان من احدى الجاليات الثلاثة العربية ، والقبائلية والأباضية ، وذلك من غير أن يؤثر على المعدل المتزايد الذي سيؤخذ في نصاب الدولة من الجزائريين العاملين في الجزائر ذاتها ...

في بحر هذه السنوات الخمس سير تفع معدل الرواتب والأجور في الجزائر الى مستوى مماثل كما هي عليه في الوطن الأم ... وفي بحر هذه السنوات الخمس سيوزع مائتان وخمسون ألف هكتار من الأرض على الفلاحين المسلمين ، وقبل نهاية هذه السنوات الخمس سيتم الجزء الأول من مشروع الاثمار الزراعى والصناعى الذى ينطوى خاصة على وصول البنزين والغاز الصحراويين ، وعلى اقامة مجموعة من مؤسسات التعدين والكيمياء ، وعلى بناء منازل للمليون نسمة يضاف الى ذلك ما تحتاج اليه كل هذه الانشآت من تجهيزات صحيحة ، وتجهيز المرافق والطرق واستخدام 400 ألف عامل جديد بصفة دائمة ... وفي بحر هذه السنوات الخمس سيجد ثلث بنات وأبناء الجزائر مدارس تأويهم ...

هذا ماجاء في خطاب الجنرال ديغول ، وهذا هو الحل الذى يريد أن ينهى به المشكل الجزائرى يعتبر هذا المشروع دليلا على الاتجاه نحو التحاق الجزائر بفرنسا ، ولهذا قاومته الثورة بشدة بل انها هددت المزارعين الذين يقبلون الأراضى الموزعة عليهم من طرف السلطة الفرنسية بالعقاب الشديد ...

جند الجنرال لهذا المشروع الخبراء والفنيين وحث الدول الغربية صاحبة الأموال الطائلة التى تتهالك دائما على هذه الأقطار تقديم الاعانة اللازمة والمساعدة الفعالة لهذا المشروع الضخم ، وحصر له موارد الدولة ومجهوداتها ليعلم العالم عامة والضمب الجزائرى خاصة أن فرنسا لن تسلم في الجزائر أبدا ... وفي هذه المدة تدفق البترول والغاز وفاضا على وجه الأرض في الصحراء مما زاد في الجو تعكيرا وارتباكا .

تأسيس حكومة جزائرية في الخارج

وفي سنة 1958م خطت الثورة خطوة حاسمة من تاريخ حياتها وذلك بتأسيس جمهورية جزائرية حرة خارج الوطن ردا على مواجهة العدوان الذي يقوم به قادة فرنسا نحو الجزائر ، فكان ردا قويا على مشروع الجنرال ديغول الاندماجي ، وكان لهذا (المولود صدى كبير لدى مختلف دول العالم .

وقد تولى تشكيل هذه الحكومة السيد عباس فرحات في بيان رسم اللقاء على جموع المواطنين العرب الذين دعتهم جبهة التحرير الى الحضور ، وقد قوبل البيان بالتصفيق الحاد من طرف الحاضرين .

وفور اعلان قيام حكومة جزائرية بادرت الدول الشقيقة والصديقة بالاعتراف الكامل بها .

ولدت الحكومة الجزائرية في ظروف صعبة جدا ولم تولد على الورق ، بل ولدت في ميادين الكفاح والنضال ، وأبرزت الى الوجود على جماجم واشلاء الضحايا ، وأبصرت الثورة فوق الجثث ، والكتل البشرية المكسدة في غياهب السجون ، ودعم كيائها السلاح والعزيمة الصادقة ، فوزراؤها في بطون السجون ، ورعاياها ما بين منفى ومشرّد طريد ، ومحكوم عليه بالاعدام ينتظر الموت الزؤام ، ومجنّد يخوض المعارك الدامية ، ويقتحم ميادين القتال وفدائي يتخط خطوط النار .

حكومة أقامها الشهداء الأبرار باراقة دمائم وتقديس أنفسهم قربانا للحرية والاستقلال ، وتمركزت وترعرعت على جهاد الشعب وتعميده ، حكومة كان شعارها ونشيدها (الله أكبر) ، وصيحة المجاهدين في الجبال وزغاريد النساء ...

فباعترا ف بعض دول العالم الشقيقة والصديقة بهذه الحكومة
الجديدة أصبح لها الحق الكامل في تمثيل الشعب الجزائري تمثيلا
حقا وصدقا ، وكان لها الحق في عقد اتفاقات مع الدول لتزويد
جيشها بالسلاح والعتاد الحربي وغيره بصورة شرعية وقانونية من
أى دولة شاعت ولها الحق أيضا في أن تعقد صفقات بيع وشراء ،
وتتعامل مع من أحببت من دول العالم ...



انتخابات تشريعية في الجزائر وفي فرنسا

وفي تشرين الثاني 1958م ، أجريت انتخابات تشريعية في الجزائر وفي فرنسا ، فأصدرت جبهة التحرير أمرها الى الشعب بمقاطعة هذه الانتخابات مع التحذير الشديد الى الشخصيات التي تطلب أو تقبل الترشيح بهذه النيابات المزيفة ...

كانت الحكومة الفرنسية ترمى من وراء هذه الانتخابات الى ايجاد عناصر قوية من الشعب الجزائري التي لم تشارك في الثورة مشاركة ظاهرة لتنفاهم معها على الوضع السياسي لمستقبل البلاد لأنها لا تريد أن تتفاهم مع قادة جبهة التحرير الذين يحاربون .

ولأول مرة في تاريخ الاستعمار في هذه البلاد عامل الاكثرية من السكان بحيث جعل الثلثين من نواب المسلمين وثلثا من الجالية الأوروبية .

أصبحت حياة الشعب مهددة بالفناء وأملاكه بالتلف من جراء هذه الانتخابات ، فكل من ترشحه الحكومة الفرنسية من الشخصيات الموالية لها يخطف في الحال من طرف الثوار ويماقب ، وكذلك كل من يمتنع عن الاستجابة الى طلب الحكومة بقتل أيضا من طرف الجيش الفرنسي .

ولما رأت الحكومة أن الشعب الجزائري لا يلبي أوامرها ويترك أوامر قادة جيشه مهما كانت المعاملة القاسية ، أخذ الجيش الفرنسي يرشح ويعين ما راق له من الشخصيات التي لم تكن في يوم من الأيام لها سمعة أبدا في الأوساط الشعبية فضلا عن تمثيلها له ، بل كانت نكرات وما تزال نكرات مجهولة ولكن الجيش الفرنسي صمم على إيصالها الى الحكم بالقوة ليستر بذلك خيبته المريعة ...

وهؤلاء النواب الذين فرضوا على الأمة بعضهم أوريبيون أنابوا أنفسهم عن المسلمين ، وبعضهم من الخونة أذئاب الاستعمار

المعروفين في خدمته وطاعته وبعضهم من النساء الساقطات رشن
أنفسهن ليكن وزيرات ، والباقي من قدماء المحاربين الذين
دافعوا عن فرنسا في الماضي ، وفائقوا كلهم بفضل الجيش
الفرنسي ...

ولما رأى الجنرال ديفول أن هؤلاء النواب لا يمثلون الأمة
لامن قريب ولا من بعيد سكت ولم يتفاوض معهم ليكمل الباقي
كما يقول ...



الجنرال ديغول رئيس للجمهورية

وفي يناير 1959م - انتخب الجنرال ديغول رئيسا للجمهورية الخامسة باجماع وفوض الشعب الفرنسي له جميع السلط ومنحه كل امكانيات التنفيذ ، فله أن يفعل ما أراد ، ويعمل ما يشاء بدون استشارة المجلس الوطنى ، وأطلق له اليد في التبدیل والتغير بدون معارض ...

فأصبح يعين الوزراء ، وانعقاد دورة المجلس الوطنى ، ان احتاج اليه ، وان شاء حله ، فالدستور يخول له ذلك لأنه أعطى سلطة مطلقة لرئيس الجمهورية الا أنه حدد مدة اقامة رئاسته بسبع سنوات ، ثم يعدد انتخابه ، بفضل هذه السلطة كلها أصبح الجنرال هو الرجل الوحيد في فرنسا والمرشد لها ، فأخذ يعالج في المشاكل الداخلية والخارجية ، وأدخل على جميع أجهزة الدولة أصلاحا عاما ، وكان يضع الأسس لبناء نهضة جديدة تتمشى مع شخصيته وسمعته العالمية وتاريخ فرنسا العظيم ، وهبتها كدولة قوية في العالم لها تاريخ تليد حتى يتمكن الشعب الفرنسى من الاستقرار والهدوء ، ويسائر الدول العظام ، وهذا الاصلاح الذى أراده الجنرال لن يكتب له النجاح ، ولن ينفذ تنفيذا حقيقيا الا بازالة المشبطين من طريقه ...

وكان بعض الضباط من الجيش يعارضونه ، ولا سيما من أحزاب اليمين ، فبدأ بتصفيته من العناصر المتطرفة وأقصائها تماما عن الحكم المدنى في الجزائر لان الوزير المقيم سابقا كان قد فوض الحكم للجيش في البلاد بدون مراقب فعلم الجيش الفرنسى المدنيين الجزائريين حكما عسكريا فلما تمكن الجنرال من الحكم أراد أن يجرده من جميع السلطة المخولة له ويقصيه عن الحكم المدنى ، وعن الخوض في السياسة ، ويحصر مهمته في الحرب فقط ضد الثوار ، ويرجع الحكم الى المدنيين ... فبهذه العمليات والاصلاح والتطهير يتسنى له تطبيق برنامجه ، فأخذ في تنقية القادة الكبار وتجريدهم من الحكم المدنى ، ونقل بعضهم الى

فرنسا ، وأعطى للبعض الآخر التقاعد وكان يخلنهم بأخرين موالين له ومحبذين لسياسته ... أما ادارة الجزائر العليا فلم يسمح لأى أحد أن يتدخل في شؤونها فجميع أمورها وقضاياها يجب أن ترجع اليه وحده ، فعين موظفا ساميا حل محل الوزير السابق على القطر الجزائري ومنحه جميع السلطة العسكرية والمدنية ، وهذا المفوض السامى لا يفعل شيئا من عنده ، وانما ينفذ أوامر رئيس الجمهورية التى يتلقاها منه مباشرة .

ولما كانت الحرب تمس القطرين الشقيقين تونس والمغرب مسا مباشرا أصبحت علاقتهما سيئة مع فرنسا بسبب الاعانة التى كانا يقدمانها الى الثورة ، فأراد صاحب الجلالة محمد الخامس طيب الله ثراه أن يعرض وساطته بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير ليجعل حدا لهذه الحرب القذرة ، وكان ذلك بدافع النية الحسنة والمصالح المشتركة والصداقة التى كانت تربط بين الرجلين ، فسافر جلالة الملك الى جزيرة (مادغشقر) ، وكان القصد من هذا السفر هو أن يذهب الى جزيرة (مادغشقر) ليزور الاماكن التى كان منفيا فيها وتبع طريق منفاه ، ولهذا ذهب الى هذه الجزيرة ليتفاهم مع رئيس الجمهورية على هذه الوساطة ...

فأرسل الجنرال ديغول مندوبا عنه الى جلالة الملك محمد الخامس ليتفقا على الموعد ويحددا الزمان والمكان ، ولكن رئيس الجمهورية لم تعجبه هذه الوساطة ، لأنه لم يرفيها فائدة ، فبدأ يتلكأ ويماطل ويعتذر عن هذه الملاقاة بسبب كثرة المشاكل والحوادث ، فكان يؤخرها من حين الى آخر ، وهذا كله عن قصد وسوء نية ...

وفي صيف سنة 1959م سافر جلالة الملك الى أوروبا مع عائلته وحاشيته ففى الظاهر كانت الزيارة للاستجمام والراحة وهى فى الحقيقة يقصد بها ملاقات الجنرال فلما علم هذا الأخير بعزم جلالة الملك دبر له مكيدة عن طريق وزيره الأول فحالت هذه المكيدة بينهما ، فرجع الملك حانقا الى الرباط ...

واشتهرت هذه المحاولة فى الأوساط العالمية وكان العالم يترقب فى نتائجها .

فشل فرنسا واعترافها بتقرير المصير

منذ تسلم الجنرال ديفول الحكم ، وهو يعمل ليلا ونهارا من أجل الوصول الى أهدافه التي رسمها من أول صعوده الى منصة الرئاسة ، وهو القضاء على الثورة في أقرب وقت ممكن ولذا سن للجزائر برامج كثيرة ومشاريع واسعة من اقتصادية واجتماعية وسياسية وعمرانية والمؤتمرات الحربية التي كان يعقدها لدراسة الوضع الحربي على الخرائط وعلى طبيعة الأرض التي تدار فيها المعارك ومواصلة تدريب الجيش على تسلق الجبال ليكون قادرا على حرب العصابات ، وتنظيمه تنظيما ثوريا حتى يباغت الثوار في أماكنهم .

فعل الجنرال هذا كله وأكثر من ذلك فبذل مجهودات جبارة في ميدان الحرب لأنه علق آمالا كبيرة على العمليات الحربية وخصوصا برنامج شال ، وكان يأمل أن يكون عام 1959م نهاية الحرب ، ولكنه أصيب بخيبة كبيرة ، ولا سيما بعد فشل معركة (جوميل) فتحقق حينئذ أنه يقاتل قوة لا تقهر قوة شعب يطالب بحقه تسانده شعوب كثيرة ...

ولما تحقق عجز القوات الفرنسية عن ابادة الثورة وتحطيمها راح يفتش عن حل سياسى يضمن به حضور فرنسا في الجزائر وارتباطها بأم الوطن ارتباطا وثيقا ...

هذا الحل الذى يعتزمه الجنرال ما هو الا حل استعمارى جديد مقنع يخفى به وجهه القديم السافر ، ومع هذا كان يخشى من الجهر به خوفا من معارضة الجيش ، وغلاة المتمردين المتطرفين أصحاب اليمين الذين لا يزالون يحلمون بالامبراطورية العظيمة ...

رأى الجنرال قبل اعلانه لهذا الحل أن يستشير رجاله في الجزائر ، فطار اليهم في زيارة قصيرة ، واجتمع بقادة الجيش وبعد ما عرض عليهم مشروعه هذا قفل راجعا الى باريس ...

ولما كانت الثورة تطير من نصر الى نصر والجيوش الفرنسية في حالة انهزام أخذ الجيش الفرنسي ينتقم من المواطنين انتقاما شديدا ، فضج العالم من هذه الأعمال المنكرة فكان يضغط على الحكومة الفرنسية بواسطة المظاهرات والمجرائد لعلها تعلن الحل الصحيح لتجعل حدا لهذه الحرب المجرمة القذرة ، وتوجه الرأى العام العالمى الى هيئة الأمم المتحدة أن تتدخل في القضية الجزائرية حتى تطبق فرنسا قرارات الجمعية التى تنص على تقرير المصير لجميع الشعوب ...

خشى حلفاء فرنسا من هذا التدخل الذى تكون عاقبته سيئة الى الغاية لربما تصدر هذه الهيئة حكمها على فرنسا في دورتها المقبلة ...

كان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (المستر ازنهور) يجول في عواصم غرب أوربا ، وزار باريس واجتمع بالجنرال ديفول ، وعرض عليه هذا الاخير الحل الذى يعتزمه لإنهاء الحرب في الجزائر ، وتباحثا وتشاورا في القضايا العالمية الهامة ، ولم يصدر أى بيان عنهما في قضية الجزائر الا أن رئيس الولايات المتحدة قال بعد ما يصرح الجنرال فانى أعقب عليه .

وأحيط هذا المشروع بالكتمان التام حتى عن أقرب المقربين اليه ، وكان العالم قاطبة ينتظر هذا الحل بفارغ الصبر وكامل الاشتياق .

وفي السادس عشر من ايلول 1959م صرح الجنرال بمشروعه وأذاع تفاصيله التى تضمنت الحل لقضية الجزائر ، فقال ان الشعب الجزائرى هو الذى يقرر مصيره بنفسه بعد ما تتم التهذئة ويتوقف القتال والمعارك الحربية ، ويتلخص هذا المشروع في ثلاث نقاط .

أ - توقيف القتال فورا .

ب - أن يتوفر السلام لمدة أربع سنوات ، ويقطع هذه المدة اذا ما بلغ مجموع الضحايا والاشتبهات بين الشعب الجزائرى والشعب الفرنسى من عسكريين ومدنيين أكثر من مائة قتيل في السنة ...

ج - أن يجرى ختام السنوات الأربع استفتاء الشعب الجزائري حول اختيار المصير من ثلاث نقط .

أ - أن يندمج شعب الجزائر في الشعب الفرنسي ، وفي هذه الحالة يكون ماله مالمفرنسيين من الحقوق والواجبات .

ب - أن يكون الشعب الجزائري حكومة مشتركة مع فرنسا اى تابعة للاتحاد الفرنسي ...

ج - أن يستقل عن فرنسا استقلالا تاما ويسمى الجنرال هذا الاستقلال بالانفصال - يقول : يجب أن يرجم هذا الانفصال - لأنه شيطان ، واذا وقع فهناك الطامة الكبرى ...

وفي هذه الحالة يجب أن يقسم التراب الجزائري الى مناطق ، فالمناطق الصحراوية التى يوجد فيها البترول تكون فرنسية محظة ، وكذلك المناطق التى يريد سكانها أن يبقوا فرنسيين موالين لحكومة باريس ، وتابع كلامه قائلا : نظرا للمعطيات الجزائر ، وللقومية والدولية ، فانى أرى من الضروري أن يعلق من الآن على الالتجاء الى تقرير المصير ، فباسم فرنسا ، وباسم الجمهورية ، ونظرا للسلطة التى يخولها لى الدستور في استشارة المواطنين ، فانى أتعهد ان بقيت حيا واستمع لى أن أطلب من جهة الجزائريين في ولايتهم الاثنى عشر أن يعبروا عما يريدون عن مصيرهم في آخر الأمر ، وانى أطلب من الفرنسيين من جهة أخرى أن يصادقوا على اختيارهم . وسأحدد تاريخ تقرير المصير حينما يحين الوقت وهو لا يتجاوز على أكثر تقدير أربع سنوات بعد استتباب السلم استتبابا فعليا أى بعد أن توجد وضعية لا تتسبب فيها الاغتيالات والكمائن على أكثر من مائة قتيل في السنة ...

ويمضى في كلامه فيقول : ومن الطبيعى أن يلقي هذا السؤال على الجزائريين بصفتهم أفراد لأنه منذ أن وجد العالم لم توجد وحدة جزائرية فضلا عن وجود دولة جزائرية .

ويقول اعادة التجمع والاسكان لقسم من سكان الجزائر ممكنان ، فالجزائريون الذين يفضلون الاحتفاظ بالجنسية

الفرنسية ستنظم فرنسا تجمعهم واقامتهم ان لزم الأمر ... ومن جهة أخرى ستتخذ جميع الاحتياطات حتى يكون استثمار ونقل البترول الصحراوي الذى هو من عمل فرنسا الذى يهم الغرب أمرا مضمونا مهما تكن الأحوال ... ان انفصال الجزائر عن فرنسا سيؤدى الى بؤس مدقع وفوضى سياسية مخيفة ومجزرة شاملة ... ويمضى في كلامه ويقول : نظام داخلى للجزائر من الاتحاد يعتمد على فرنسا ويتحد معها في ميادين الاقتصاد والدفاع والتعليم والعلاقات الخارجية ...

هذا هو الحل الذى كان يخفيه رئيس الحكومة الفرنسية حتى عن أقرب المقربين اليه ...

اعترف الجنرال ديغول بحق الجزائريين في تقرير مصيرهم ، وتقرير المصير هذا الذى اعترف به رئيس الحكومة لم يغير شيئا من الحالة التى كان عليها من قبل نظرا للصعوبات التى أحاطه به ، والعراقيل التى وضعها أمامه ، والمشاكل التى خلقها في سبيله ، وهذه الصعوبات والعراقيل بعبارات لطيفة ظاهرها فيها الرحمة ، وباطنها فيها العذاب الأليم ...

وتقرير المصير بهذه الكيفية لم يكن حلا صحيحا ينهى المعركة المشتعلة الأوار ، وتنتهى معه جميع الآلام والأحزان ، لأن أعمال الجنرال وأقواله وتصريح رجال حكومته وقادة جيشه كلها تدل دلالة واضحة على أن الغاية الحقيقية من دعوى تقرير المصير بهذا الشكل المقترح انما هو كسب للوقت لينمو جيل جديد متشبع بفكر وعقل فرنسى حتى اذا ما وقع الانتخاب فاز الذين ينتمون للفرنسيين ...

وقد استطاع الجنرال أن يخدع كثيرا من رجال السياسة العالمية بسياسته هذه في تقرير المصير ، فاستبشر العالم وفرح بانتهاء الحرب ، ولكنه لم يستطع أن يخدع الجزائريين ...

لا يعترف الجنرال ديغول في حله هذا بواقع الأمة الجزائرية من قبل الاحتلال ولا بالدولة التى كانت قائمة ، ولا بوحدة القطر الجزائرى ، ويقول في كلامه منذ أن وجد العالم لم تكن هناك وحدة جزائرية بل السيادة الجزائرية ، وانما تعاقب على البلاد

القرطاجيون ، والرمانيون ، البزنطيون وعرب سوريا ، وعرب قرطبا ، والأتراك والفرنسيون من غير أن توجد في البلاد في أى وقت ، وبأى شكل من الأشكال دولة جزائرية ...

وكان الجنرال يلوح في خطابه الى تقسيم الجزائر اذا ما فشلت المحاولات ، ويقول ان انفصال الجزائر عن فرنسا سيؤدى حتما الى بؤس مدقع وفوضى سياسية مخيفة ، ومجزرة شاملة . ونحن اذا نظرنا الى المجازر البشرية الموجودة في كل مكان من القطر الجزائري منذ الاحتلال من الذى ارتكبها ؟ بدون شك هم الفرنسيون أنفسهم ، والعالم يشهد بذلك كله . ان المجازر التى وقعت في الجزائر لم يسبق لها نظير ، والقسوة التى ارتكبها غلاة الاستعمار ، وقادة الجيش الفرنسى ، وحكم الاستبداد الذى فرضته فرنسا على الشعب لم يكن معمولاً به في أى بلد من بلدان العالم ...

الجنرال يرفض المفاوضة مع من يسميهم العصاة في خطابه على مشروعه ، بل يطالب بتسليم أنفسهم بدون قيد ولا شرط ويجعل مشروعه قابلاً للمناقشة لأنه يريد الاستلاء على الجزائر بقرار ينتزعه من الجزائريين أنفسهم حبوا أم كرهوا ... ويقول في خطابه أنا شخصياً واثق من أن مخرجاً مثل هذا يكاد يكون غير متوقع ألا وهو انفصال الجزائر عن فرنسا وهى في وضعها الحاضر فيكون وبالأكثر كبراً لا يؤدى إلا للبؤس المخيف من الغرض السياسى والتذبيح ، ثم الى دكتاتورية الشيوعية العاتية ، ومثل هذا الشيطان يجب أن يطرد ، وأن يطرده الجزائريون أنفسهم الخ ... فالجنرال يريد أن يحفظ الجزائريين من الفوضى السياسية والتذبيح والاغتيالات ممن يحفظهم يا ترى ؟ أيحفظهم ممن يستमितون في الدفاع عن الوطن لينقذوا الشعب من الحرب المبيدة التى تسلكها فرنسا في هذه البلاد ؟ أو من الفناء الذى جعله قادة الجيش الفرنسى هدفاً لهم في هذه الديار ؟ أو من تكالب المعمرين على خيرات هذا الوطن ، واستثمار موارده الطبيعية وأخذهم ذلك بالقوة ؟ ...

من أين يحمى الجنرال المسلمون ؟ أيحييهم من مكائد ومؤامرات غلاة المعمرين ، أو من اليد الحمراء التي أطلق لها العنان في المعبت بالشخصيات حتى كانت تفعل ما سولت لها نفسها من المناكر والقتل الجماعي والتخريب والتهديم ؟ ...

ان هذا التمويه والتضليل ومجانبة الحق وعدم الصراحة والاعتراف بالواقع من أشنع وأقبح ما سمع به في العالم ...

ومن سخافة القول : (قول بعض المسؤولين الفرنسيين اننا لا نستطيع أن نترك الجزائر ونسلمها الى الثوار ليقتلوا أهلها ويستبيحوا خيراتها ، بل لا بد من الاطمئنان على مصيرهم) ...

انهم يتظاهرون بهذه الرحمة والشفقة الكاذبة والانسانية المنافقة وهم في كل يوم يقتلون ويحرقون المآت من النساء والأطفال والأبرياء بلا ذنب اقترفوه ، ولاجرم ارتكبوه اللهم الا أنهم يقولون اننا جزائريون .



اعتكاف الحكومة الجزائرية المؤقتة على دراسة تقرير المصير

الذى أعلنته الحكومة الفرنسية كحل للقضية الجزائرية ، وعلى دراسة احوال الثورة المحلية والدولية ، استغرقت هذه الدراسة عدة أيام أصدرت على أثرها في 28 - ايلول 1959 بيانها بالرد على مشروع الجنرال ديغول وانى أثبت هذا الرد بنصه كاملا قالت (اننا على أبواب السنة السادسة من الحرب ، وفي الوقت الذى تستعد فيه الجمعية العامة للأمم المتحدة لمناقشة القضية الجزائرية من جديد ، وفي الوقت الذى تفتح فيه مقابلات دولية كبرى لاستقرار السلم في العالم) .

وفي هذا الوقت تتجه الأنظار فيه نحو الجزائر ، وتظهر جميع الشعوب رغبتها الأكيدة في عودة السلم الى هذه الأرض الافريقية حيث ما تزال تجرى فيها حرب تسببت بعد فيما يقرب من مليون من الضحايا ...

ان الشعب الجزائري قد اضطره الاستعمار الى حمل السلاح والحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية مع تأكيدها مرة أخرى لارادتها في الكفاح الى أن يتحقق التحرير الوطنى ، تعلن أنها عازمة على ألا تهمل أية فرصة لتمكين السلم من جميع نواحيه ...

لقد اعترف رئيس الجمهورية الفرنسية باسم فرنسا - على رؤوس الملاء في بيانه يوم 16 سبتمبر 1959م بحق الجزائريين في تقرير المصير ، وهكذا قد اعترف أخيرا للشعب الجزائري في تقرير المصير بحريته ، الا أن هذا التطور لم يكن ممكنا لولا أن الشعب الجزائري ما انفك خمس سنوات يواجه بانتصار حربا من أفضع الحروب التى أراد الاستعمار أن يغزو بها بلادنا من جديد ان هذا التطور لم يكن ممكنا أيضا الا بفضل تأييد الشعوب الشقيقة والصديقة ، وبفضل مساندة الرأى العام الأسمى ...

ان حق الشعوب في تقرير مصيرها المنصوص عليه في اعلان
جبهة التحرير المؤرخ بفاتح نوفمبر 1954 كان دائما هدفا أساسيا
للثورة الجزائرية ، فهو يمثل وسيلة ديمقراطية سليمة يتوصل
بها الشعب الجزائري الى الاستقلال الوطنى ...

ان حق الشعوب في تقرير المصير المنصوص عليه في ميثاق
الأمم المتحدة أى حق الشعوب والتصرف في شؤونها بنفسها يعيد
الى الشعب الجزائري ممارسة السيادة الوطنية التى اغتصبها منه
— حينما من الدهر — احتلال عسكرى لا يمكن أن تنتج عنه أية
شرعية .

ان الذاتية القومية التى تكونها الجزائر والوحدة الاجتماعية
هى عناصر موضوعية جوهرية ، ولهذا فمن الوهم تطبيق المصير
بكيفية لا تقر حسابا لهذه الحقائق ، أو تهدف الى تمزيق هذه
الذاتية وتجزئتها الى مجموعات عنصرية ودينية ... ان الحكومة
المؤقتة للجمهورية الجزائرية تذكر — زيادة على هذا — بالمبدء
الذى لا يمكن النيل منه ، وهو وحدة التراب الوطنى ، وتعتبر
عن عزيمة الشعب الجزائري التى لا تقهر في معارضة كل محاولة
للتقسيم .

ان الحكومة الجزائرية تلفت نظر الرأى العام الدولى الى
الخطر الذى ينتج عن كل مس بهذه الوحدة التى لا تتجزأ ... ان
محاولة من هذا النوع ليست فقط بعيدة عن المساهمة في حل
المشكل الجزائري ، بل انها لا تزيده الا خطورة ، وتمثل تهديدا
للسلم والأمن في العالم ..

أما فيما يخص ثروات الصحراء فان التفقيب عنها واستغلالها
لا يمكن بأية صفة من الصفات أن يتحول ملكية شرعية ان هذه
الثروات التى هى مصدر تقدم انساني قبل كل شىء للجزائر
ولأفريقيا الشمالية لا يمكن — في سبيل الصالح العام — الا أن
تنتسب في ايجاد تعاون واسع مثمر ...

ومن جهة أخرى فان تعليق الاختيار الحر للشعب الجزائرى
عن استشارة الشعب الفرنسى ليس سوى نفى للديمقراطية
ولحق تقرير المصير ...

ان الاستقلال الذى ينتج عن استشارة الشعب الجزائرى بكيفية حرة لن يكون مصدرا للفوضى والبؤس ، بل ان هذا الاستقلال على العكس من ذلك ، يتوقف عليه كل تقدم حقيقى ، انه يضمن حرية الأفراد وأمنهم ، وهو أخيرا يسهل تشييد المغرب العربى والتعاون الحر مع جميع البلدان ...

ومن البديهى بعد التحديد الكامل لهذه المبادئ أن الألتجاء الى الاستفتاء العام لا يمكن أن يكون بغير العودة الى السلم ، لأن الحرب المتواصلة التى تزداد فتكا مع مرور الأيام لا يمكن أن ترجع السلم الى الجزائر ...

ان الشعب الجزائرى لا يمكن أن يمارس اختياره الحر تحت ضغط جيش الاحتلال يعد أكثر من نصف مليون جندى ، وما يقارب ذلك من رجال الشرطة والجندرية والميليشيا ان ممارسة الاختيار الحر لا يمكن أن تقع تحت ضغط الطائرات والدبابات والمدافع وتحت ضغط ادارى اشتهرت تقاليده بتزييف الانتخابات ان هذا الاختيار الحر لا يمكن أن يتم بصورة كاملة مادام أكثر من ربع السكان موقوفا في السجن والمحتشدات أو مرغما على الهجرة هذه كلها قضايا تتطلب المناقشة .

ان الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية التى اعترفت بها حتى الآن عدة دول هى الضامنة والمؤتمنة على مصالح الشعب الجزائرى الى أن يعبر عن اختياره بحريته ، انها تسير وتراقب مقاومة الشعب الجزائرى والكفاح التحريرى لجيش التحرير الوطنى ، اذن فلا يمكن بدون موافقتها أن يعود السلم ، هذا السلم الذى يمكن أن يتحقق حالا لأجل هذا الغرض ، فان الحكومة المؤقتة للجمهورية مستعدة للدخول في محادثات مع الحكومة الفرنسية لبحث الشروط السياسية والعسكرية لايقاف القتال ، وبحث شروط وضمانات تطبيق حق تقرير المصير ...

أوضح الدكتور أمين الدباغين وزير الخارجية للجزائر رد حكومته على مشروع الجنرال ديغول في تقرير المصير فقال : (ان مشروع الجنرال كان في حقيقته موجها للرأى العام الدولى ، وليس للجزائر نفسها ، والجزائريون شعب مسالم ، ولكن تعنت

فرنسا اضطرتهم الى حمل السلاح ليدافعوا عن بلادهم ، وبعد خمس سنوات من الثورة استطاع الشعب بصلابة جهاده أن يرغم المستعمرين الفرنسيين على الاعتراف بحقه في تقرير مصيره ، ونحن نرحب باجراء الاستفتاء شريطة ألا يخضع لضغط أو اكراه ، أو تدخل من طرف فرنسا أو غيرها ، كما أن الجزائريين متمسكون بوحدة التراب الجزائري ...

ونحن مستعدون للتفاوض ضمن هذين الشرطين ، ونحن واثقون من أن الشعب الجزائري بمجموعه سيصوت من أجل الاستقلال التام ضمن وحدة التراب الجزائري ، ولكن ما بين الاعتراف بحق تقرير المصير وتطبيقه مرحلة طويلة تتطلب جهادا مستمرا متواصلا حتى نرغم فرنسا على تفسير حق تقرير المصير كما نفهمه نحن ويفهمه الضمير الحر في العالم ، وليس كما يفهم العقل الاستعماري الذي عودنا دائما على قلب كل المفاهيم والقيم لتنماشى مع مطامعه الغير المشروعة .

وأدلى السيد عباس فرحات رئيس الحكومة الجزائرية بتصريح قال فيه : (ان اجراء الاستفتاء حول تقرير المصير في ظل وجود مليون جندي فرنسي ما بين قوات الجيش والأمن والجندرية يشرف عليه خبراء في تزوير الانتخابات لا يمكن أن يكون استفتاء ولن يخرج عن كونه تكرارا للانتخابات السابقة التي أجرتها فرنسا في الجزائر ...

ويمضى وهو يقول : نكشف للمقاريء تفاصيل المؤامرة التي رسمها ديغول لتنال فرنسا من وراء نجاحها ما عجزت عن تحقيقه بالسلاح وفيما يلي الخطوط الرئيسية للمؤامرة التي أعدت بمهارة ، وبعد دراسة التحرى تصفية الثورة وفق بنودها ، يوقف القتال فورا مقابل اعلان الاعتراف بحق سكان الجزائر في تقرير مصيرهم ...

أ - باسم توطيد السلم حين اجراء الاستفتاء حول تقرير المصير يحل جيش التحرير ويجرد من سلاحه ، ويلزم الشوار بالخضوع للقوانين والنظم الفرنسية القائمة تحت شعار فرض السلم ...

ب - تظل القوات الفرنسية المسلحة على حالها في الجزائر باعتبارها القوات الشرعية المسؤولة عن الدفاع والأمن الى حين تقرير المصير ...

ج - العمل على اطالة فترة الانتقال ما بين وقف القتال واجراء الاستفتاء ، ويراعى في الشروط الخاصة بالتمهيد للاستفتاء تمكين الحكم الفرنسي من تمديد هذه الفترة وفق ما يريد ...

د - أن يعمل الارهاب الفرنسي خلال فترة السلام على تصفية الثورة تماما والقضاء على القوة الثورية الوطنية باسم قيام الحكم الفرنسي باقرار السلام .

فان هذه التصريحات من الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ورئيسها ووزير خارجيتها لم تدع مجالا للمناورات والدسائس واللف والدوران ...

هذه التعليمات كلها على مشروع ديغول كانت في غاية الصراحة والوضوح لأن الحكومة المؤقتة تعرف جيدا مكائد الاستعمار التي سببها للشعب الجزائري في تزوير الانتخابات والديمقراطية الزائفة ، واستعملت في ردها على الحل الذي صرح به رئيس الحكومة الفرنسية ملازمة الحذر واليقظة كي لا تضيع مجهودات الشعب الجزائري الحربي التي بفضلها انتزع سيادته وتقرير مصيره من العدو ...



رئيس الحكومة الفرنسية يقول تصريح الجنرال هو تأكيد لسياسة فرنسا في الجزائر

ذهب رئيس الوزراء الفرنسي (م دو برية) يؤكده هذا المشروع الخطير على أعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية قال دو برى (ان مشروع ديغول المعلن في 16 سبتمبر يعطى الجزائر الفرصة الوحيدة لمفادرة الحلقة المجهنمية من العنف والدخول الى دائرة الحقوق ، والعودة الى الحقوق ليست في الاعتراف بسيادة جزائرية مزعومة ، ولا في اجراء مفاوضات سياسية مع المسؤولين عن حركة العصيان : ان بيان الجنرال ديغول ليس أساسا للمناقضة أو المفاوضة وانما هو تأكيد لسياسة فرنسا وتحديد لخطتها في الجزائر ، ويمضى ويقول : في بيانه موضحا شروط حكومة فرنسا لوقف اطلاق النار (على الذين بدأوا باطلاق النار في الجزائر أن يتوقفوا على ذلك ويعودوا بدون عذاب الى عائلاتهم وأعمالهم ، ولقد أعطيت التعليمات اللازمة من قبل حكومة الجمهورية حتى يمكن مناقشة كيفية وقف اطلاق النار ، وستعطى الضمانات اللازمة في هذه المناسبة الى ممثلى العصاة بعدم تعرض حريتهم للخطر واذا لم تنجح هذه المفاوضات فبإمكانهم العودة الى الخارج بكل حرية) ...

ومنذ اعلان تقرير المصير ضاعف الجيش الفرنسي والمنظمة الارهابية من نشاطهما الايبادى ، وتعذيب السكان باذن المسؤولين من الحكومة الفرنسية فكان الجيش الفرنسي يصدر الأحكام على المواطنين والمجاهدين سواء كانوا ثائرين أم ، لا يضرب الاعناق والاعدامات المختصرة ، وفي بعض الأحيان بدون محاكمة فيذبح ويمثل بالضحايا أشنع تمثيل .

أصبحت السلطة الفرنسية تعذب الفرد والجماعة على السواء كتب بعض الاوربيين من المنصفين المعتدلين عدة كتب في اقتراح المناكر التى يرتكبها جنود المظلات نذكر من بين هذه الكتب كتاب (بنواري) فانه يصف الضباط الفرنسيين كيف يتكلمون عن

التعذيب وأنواعه فقال : فلشد ما صدمنى أن الناس مدنيين وعسكريين يتحدثون عن ذلك جهارا - في غير ماحياء - حديثهم عن شيء طبيعى ، وعن فيلم سينمائى أو عن مباراة كرة القدم ...

وضباط آخرون يتولون : هذه الفضائع التى عمت في الجيش الجميع يتكلمون عنها علانية ، المدنيون في المقاهى والملاهى ، والعسكريون في كتائبهم ومطابخهم ، والجميع يستخفون بقولهم ، هناك البحر المتوسط بيننا وبين الجزائر وعلى كل حال ، فنحن أمة تعلم المدنية ...

فأين هذا من أعمال المجاهدين في معاملتهم لأسرى فرنسيين فانهم يفضلونهم على أنفسهم في المأكل والملبس ...

أصدرت الحكومة الجزائرية المؤقتة 4 - 10 - 1958 مرسوما يقضى باطلاق سراح أسرى الحرب بلا قيد أو شرط ، وكانت تأمل من وراء هذا السلوك أن ترى الجانب الفرنسى يطبق المبادئ الانسانية بصورة تدريجية على النزاع القائم ، وينص هذا المرسوم عن تفريج خمسين أسيرا فرنسيا على دفعات متتابعة ...

بعد ما وصل هؤلاء الأسرى الى ذويهم أعلنوا للعالم بأن قوانين الحرب مضمونة في الجزائر الحرة ، وأن نظام أسرى الحرب كما يعرفه القانون الدولى محترم كل الاحترام ، فالأسرى يرسلون أهلهم حتى انهم وجهوا اليهم بواسطة الصليب الأحمر الدولى رسائل مسجلة عن أشربة صوتية ، وقد بلغت عاطفة الحنان التى اشتهر بها الجزائريون فجعلتهم يقبلون في كثير من الأحوال على توزيع جرايتهم على الأسرى ، وكان الجند الجزائري يضطرون الى المشى بلا نعل بعد ما يخلعها ويقدمها الى الأسير الفرنسى ، وهو مثخن القدمين ...

هذه المعاملة الحسنة التى يعامل بها المسلمون أعدائهم ، هى من تعاليم الدين الحنيف الذى يوصى بالشفقة والرحمة على الضعفاء مهما كانت جنسياتهم وعقائدهم ، فهو دين العدل والمسامحة والانسانية الكاملة لا كما يدعى رواد المدينة الغربية

من أنهم يهذبون الانسانية ويحملون اليها المساواة والحرية والاستقلال الا ان الشواهد والتجارب تكذب هذه الادعاءات الزائفة والأقوال الباطلة ...

كان الجيش الفرنسى يعامل المقاتلين الجزائريين الواقعين في قبضته معاملة وحشية ، لم يطبق عليهم قانون أسرى الحرب ولم يكتف بذلك بل كان يتعرض للموحدات الجزائرية التى كانت تحمل أسرى الحرب الفرنسيين عبر الحدود التونسية أو المغربية ليطلقوا سراحهم ...

ومع هذا فقد وجه قادة الثورة عنايتهم بوجه خاص الى حالة الشبان الأجانب الذين كانت السلطات الفرنسية تجندهم من الأجانب عنها - المسمين بالفرقة الأجنبية - بغير رضاهم ، وقد أنشأوا عددا من المكاتب ، تتولى أمر اعادة هؤلاء الجنود الفتيان الى أوطانهم ، ففى سنة 1960م بلغ عدد المعادين الى أوطانهم عبر الحدود المغربية وحدها 3299 جنديا فرنسيا ...

قام ذووا الضمائر الحية من الفرنسيين بمعارضة الحرب في الجزائر معارضة شديدة ، وأصدروا بيانا أمضى فيه أكثر من 131 شخصا يمثلون الفكر والآداب والعدل والمساواة أمثال (بول ساتر) وسيمون دى بوفوار ، وفرانسوا ساجان وغيرهم دعو الجنود الفرنسيين الذين يقاتلون في الجزائر الى تبرئة ضمائرهم بحيث يهملون الأوامر التى تتفق مع المبادئ الانسانية ، وانضم رجال الكنيسة الى التنديد بأعمال التعذيب واستنكروها ، ودلوا بذلك على تطور موقف الكنيسة ازاء القضايا الاستعمارية .

كان قادة الجيش الفرنسى يظنون أن مشروع ديفول في تقرير مصير الجزائر لم يكن جديا ، ولهذا قال الجنرال ماسو في خطابه الذى ألقاه على جموع المعمرين بمدينة الجزائر يوم 29 من أكتوبر 1959 قال : «لقد أتيت اليكم لأؤكد لكم أنه لم يتغير شيء ، وأن عمليات التهذية مستمرة ، وسوف تستمر بنفس الوسائل ، وانى أدرك قلقكم كفرنسيين منذ أن تقدم الجنرال ديفول بمشروعه الجديد ، فاؤكد لكم علنا أنكم متمسكون بفرنسا ، والاختيار الذى سيسمح لكم وحدكم مع الجيش الذى هو بالقرب

منكم ، والذي سيبقى هنا معكم بأن تظهروا من جديد قراركم ،
ومن جهة الاختيار فانكم ستبقون الى جانب فرنسا» ...

تعرضت السياسة الفرنسية في الجزائر من بعد اعلان تقرير
المصير لهزات عنيفة وتغيرات سياسية نتيجة موقف الثورة الصلب
نلاحظ أن مبادئ جبهة التحرير ظلت قائمة دون تغيير اللهم الا
في بعض التغيرات اللفظية التي لم يتغير من مضمونها شيء
وفيما يلي برنامج الجبهة كما أعلنته بعد تكوينها في سنة 1956 ...

الهدف هو الاستقلال الوطنى بايجاد دولة جزائرية ذات
سيادة ونظام ديمقراطى اشتراكى في دائرة المبادئ الاسلامية مع
احترام جميع الحريات الأساسية بدون تمييز في الدين ، وفي
الميدان الخارجى ، تصرح بأن غايتها هو تدويل القضية الجزائرية ،
وتحقيق وحدة شمال افريقيا في نطاقها الطبيعى الذى هو نطاق
العروبة والاسلام .

وبينت أن أساس المفاوضات مع فرنسا على النحو التالى :

أ - فتح المفاوضات مع الممثلين الحقيقيين للشعب الجزائرى
على أساس الاعتراف بالسيادة الجزائرية الموحدة التى لا تتجزأ .
2 - ايجاد جو من الثقة ، وذلك باطلاق سراح المعتقلين
السياسيين ، ورفع جميع التدابير الاستثنائية والتوقف عن تتبع
فرق المقاومة ...

3 - الاعتراف بالشخصية الجزائرية في تصريح رسمى ينسخ
جميع القوانين التى صيرت الجزائر أرضا فرنسية بالرغم من
التاريخ والجغرافيا واللغة والدين والعادات التى يتصف بها
الشعب الجزائرى ، وفي مقابل ذلك يتعهد الجزائريون بما يلي ...

أ - ضمان المصالح الفرنسية الثقافية والاقتصادية التى
حصلوا عليها بطريقة شريفة ، وكذلك الأشخاص والعائلات ...

ب - جميع الفرنسيين الراغبين في البقاء بالجزائر يكون لهم
الخيار بين جنسيتهم الأصلية ، وفي هذه الحالة يعتبرون أجانب
بالنسبة للقوانين المعمول بها ، أو يأخذون الجنسية الجزائرية وفي
هذه الحالة يعتبرون جزائريين لهم مالم الجزائريين من حقوق
وواجبات ...

ج - تحديد العلاقات بين الجزائر وفرنسا تكون موضوع مفاوضات بين الدولتين على قدم المساواة والأحترام المتبادل ... كانت السلطة الفرنسية قبل مجيء الجنرال ديغول غير مستعدة للاعتراف بجهة التحرير كمفاوض شرعى متحدث باسم الجزائر ، فلما آل الامر الى الجنرال لم يتكلم على المفاوضة وانما تكلم على سلم الأبطال ، واستمر على رفضه في الدخول فيها مع جهة التحرير حتى بعد اصدار مشروعه بتقرير المصير ...

ولما كانت الحرب في تصاعد ، وجميع برامج الحرب والقوات فشلت والثوار لم يستجيبوا للنداء الذى تكلم عليه الجنرال ، ولكنه حب أن يتصل بجهة التحرير ليعرف نواياها .

وفي صيف سنة 1960 أراد الجنرال أن يجس النبض بشبه محادثة رسمية مع جبهة التحرير ، ولم يفعل ذلك الا بعد تردد شديد ، فتلقى الوفدان من الحكومتين ، وأدلى كل واحد منهما بنظريته فيما يخص القضية الجزائرية ، ولما كانت وجهة النظر متباينة ، رجع كل منهما الى بلاده ، ولم تغير هذه المحادثة من الوضعية شيئا ...

هذا مما يدل دلالة واضحة على أن الجنرال ديغول عند ما تولى السلطة لم يكن مستعدا لتقبل النهاية التى وصلت اليها الثورة الجزائرية ، ألا وهو الاستقلال التام ووحدة التراب الوطنى ، وتسليم السلطة الى الجزائريين ، ولهذا نميل الى رأى القائل بأن الجنرال لم تكن لديه سياسة محددة اتجاه الجزائر الا أن آراءه قد تطورت تحت ضغط الحوادث العالمية ، وأمام صمود الثوار على وجه الخصوص ...

وتقرير المصير الذى اعترف به ، والاستفتاء الذى يريد اجراءه في الوقت المناسب كما يقول يشكلان عقبة كأداء في وجه الثورة الزاحفة الى الأمام .

بعث الجنرال الى القوات المسلحة الفرنسية والموظفين الفرنسيين في الجزائر - بعد أسبوعين من اعلان مشروعه -

رسالة من الجنرال ديغول الى القيادة العسكرية الفرنسية في الجزائر

تبين هذه الرسالة بوضوح غرضه ، أننى أنقل نص الرسالة يقول الجنرال : « الى القوات المسلحة ، وجميع موظفى الادارات العامة في الجزائر لقد رسمت خطوط سياستنا في الجزائر ، وقررت تنفيذها على مسؤوليتى ، وأنا ملم بجميع ملاساتها ، ان المهم الآن هو تهدئة الجزائر بصورة كاملة وانسانية ، وتشجيع تنفيذ مشاريع التقدم الاقتصادى والاجتماعى ، وتهيئة الجزائريين من مختلف الهيآت ، للاتحاد مع فرنسا ، وبعد انقضاء سنوات عديدة على التهدة يمكن اجراء استفتاء حر ليقرر الجزائريون حينذاك مصيرهم بأنفسهم في ظروف يصار الى تحديدها في الوقت المناسب ومن الضرورى عندئذ أن يتم هذا الاختيار بحرية ، والا فالمشكلة الجزائرية لن تحل بصورة نهائية ، وفرنسا من جهتها ترغب في حلها حلا نهائيا ، وتقوم الحكومة الفرنسية التى تتمتع بثقتى التامة الآن بتهيئة هذه المهمة الكبرى ...

كلكم يعلم أن هذه المهمة ستكون حاسمة بالنسبة الى الجزائر وفرنسا معا ، وهى شديدة ستؤثر حتما على رسالتها الافريقية ، وعلى وحدتها الوطنية ، وعلى مركزها الدولى ، ونجاح تلك المهمة يتوقف على عملكم واتحادكم في تنفيذ الرسالة التى رسمتها بعد كل تلك الأعمال والتضحيات التى بذلتموها يتوجب عليكم خدمة فرنسا بالمحافظة على النظام» وبالتعاون في خدمة أغراض فرنسا بدون أن تتأثروا بأية خطة أخرى اعملوا فانى اعتمد عليكم ...

ولكى ينفذ الجنرال ديغول مشروعه ، ويضمه موضع التنفيذ يجب أن يضاعف من قواته في الجزائر ، ويغوض غمار حرب مدمرة شاملة لا تبقى ولا تذر ، وعلى الشعب الفرنسى أن يعانى من ويلات هذه الحرب وامتدادها الى مالا نهاية لها ، فحكاه لا يريدون أن يعترفوا بحق الشعب الجزائري في الحرية والاستقلال ولن يعترفوا الا اذا كانوا كرهين وبالقوة وحدها ...

بدأ الجنرال ديغول يلوح بمشروعه وهو يرتدى ثوب النصر ليعامل جيش التحرير بل يطلب منهم أن يلقوا سلاحهم ويتوقفوا عن القتال فوراً دون مناقشة ، وبعد أربع سنوات من الخضوع للحكم الفرنسي عندئذ يجرى الاستفتاء وكان في الفينة بعد الفينة يعلن أن مشروعه غير قابل لأية مناقشة ، ومن بعد يوضح بعض النقاط المهمة التي جاءت في تقرير المصير ...

وبين رئيس الوزراء م دوبرية في 12 أبريل 1960م بقوله :
ان في حالة اختيار الانفصال فلن يكن هناك حل سوى التقسيم ...

وكان موقف جبهة التحرير واضحاً من أول الثورة لأن مقررات مؤتمر واد الصومام لم يكن بوسع أى أحد أن يتنازل عنها لذلك كانت فرنسا هي التي تضطر الى التنازل .

بدأ الجنرال يتقارب ، فقال (ان الاستفتاء يتم على مرحلتين : المرحلة الأولى يختار الجزائريون بين الانفصال والارتباط مع فرنسا ، وإذا اختاروا الارتباط ، فان المرحلة الأخيرة يكون استفتاء على طبيعة هذا الارتباط ، وأخذ يدخل تعديلات على مشروعه ، وأهم تعديل هو ما صرح به في 4 نوفمبر 1960 فقال اننى مستعد لقبول قيام جمهورية جزائرية مادام الجزائريون يريدون في ذلك) وقال (حتى اذا بقيت الجزائر مرتبطة مع فرنسا يجب أن تكون لها أجهزتها الحكومية الخاصة ...

وقد اعتبر اليمينيون وغلاة الاستعمار من المتطرفين هذا التصريح تساهلاً جديداً يضاف الى مشروع سنة 1959م لأنه يجعل الاختيار محصوراً في أمرين : الانفصال أو الاتحادية ، ويسقط الحل الثالث وهو الاندماج ومن بعد هذا التصريح قامت موجة من الاضطرابات في صفوف اليمينين في فرنسا والجزائر ، واستقال كثير من المشاركين في حزب ديغول المعروف باسم اتحاد الجمهورية الجديدة ، فأجرى الجنرال استفتاء شعبياً على سياسته في الجزائر فكانت النتيجة 75٪ من الاصوات في فرنسا معه .

والواقع أن الجنرال ديغول واجه مشكلة الأوربيين في الجزائر وفي فرنسا حتى قبل اعلان مشروعه ، وذلك حين أمر بحل لجان الأمن العام لأنه خاف أن يكون أداة في أيدي الذين نادوا به ، ومن

بعد الاعلان عن مشروعه ازدادت العلاقة بينهما سوءا ، فصرح الجنرال ماسو قائد فرقة المظليين لصحيفة ألمانية في أول يناير 1960م بأن الجيش قد يضطر أحيانا لعدم الرضوخ لأوامر الحكومة ، لكن الجنرال ديغول أتخذ معه موقفا حاسما بحيث أخرجه من الجيش لأن تصريحه شجع المعمرين على القيام بحركة عصيان مضادة للحكومة وفي 26 يناير الى 2 فبراير سنة 1960 قام أورييو الجزائر بأول حركة تمرد واسعة واستولوا على السلطة في الجزائر ، وقامو المتاريس في الشوارع العامة ولحسن حظ الجمهورية الخامسة أطاع الجيش أوامر الحكومة المركزية ، وقضى على هذه الحركة ، وان كان بعض الضباط فعلوا ذلك على مضض ...

وحركة العصيان هذه لم تقتصر على حركة الغلاة من المعمرين في الجزائر بل شملت أحزاب اليمين في فرنسا ، وتكتل الجميع باسم جبهة التحرير الفرنسية الذي يرأسها م جورج ييدو أحد كبار السياسة في عهد الجمهورية الرابعة ، وزعيم حزب الحركة الجمهورية الشعبية ، ولكن اخطر ما تعرضت له الجمهورية الخامسة هو محاولة الانقلاب العسكري الذي قام به أربع جنرالات وهم راعول سالان ، وشال ، وزيلير ، وجوهو ، في الثاني والعشرين من أبريل الى 26 منه 1960 ولكنها قمعت في الحال مثل الحركات الأخرى ...

تشدد الجزائريون في ضمان سلامة الاستفتاء ، وصمموا على مواصلة الحرب ، وكانوا مستعدين لتحمل جميع الآلام والمشاق والمتاعب ، وفي أول يوم من السنة السادسة من القتال صرح وزير الدفاع الجزائري بقوله (اننا مصرون على مواصلة الحرب حتى النصر ، ولدينا من القوة ما يمكننا من القتال عشر سنوات أخرى) كما أبلغت القيادة العليا لجيش التحرير هذا البلاغ الى جنودها صباح يوم 4 أكتوبر 1959م بقولها : (ان تقرير المصير الذي انتزعتموه بكفاحكم والخطوة التي قطعتموها عظيمة ، وقد أصبح الاستقلال في متناول أيدينا ، ولكن لا يمكن ذلك

بحال من الأحوال أن يشكل تقرير المصير هدنة ، فالمعركة مستمرة ، وسنواصل القتال حتى النصر وشعارنا اتحاد ، عمل ، يقظة ، ثقة ...

عاد وزير الخارجية الجزائري الى تأكيد مواصلة القتال ، وذلك لتصريحه أثناء انعقاد مؤتمر حكومة الجزائر المؤقتة للدول العربية في دمشق فقال (لن يلقي الشعب الجزائري السلاح الا عندما تحصل الجزائر على حريتها واستقلالها فشبب الجزائري عاقد العزم على مواصلة الكفاح الى أن يتحقق النصر أما شعب فرنسا فهو غير مستعد ، وهذه حقيقة تعرفها حكومة فرنسا جيدا) دمشق 8 تشرين الثاني 1959م .

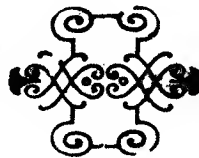
وفي الرابع من تشرين الأول 1959م - أصدرت القيادة العليا لجيش التحرير أمرا يوميا أذاعته على المجاهدين في جميع مواقعهم بجهات القتال بأن أى اقتراح بالاندماج أو الاتحاد مع فرنسا مرفوض ووصفت اعتراف الجنرال بحق تقرير المصير بأنه نصر للثورة وأكدت قيادة الثورة بقولها (ان الثورة قوية أكثر من أى وقت مضى ، وأن باب الاستقلال مفتوح للجزائر ، استطردت تقول ان هذا النصر نصركم ، وتقرير المصير انتزعتموه بكفاحكم يساندكم في ذلك شعب لم يتهرب أمام أية تضحية ، وتشدد أزركم الدول المحبة للحرية .

حاول الجنرال ديفول : أن يكون قوة ثالثة من بين النزعات القومية للجزائريين من جهة ، والمستوطنين الفرنسيين والجيش من جهة أخرى ، وراح يكرر في نهاية 1960م عبارة الجزائر الجزائرية ، وتمهيدا لهذه الخطوة أعلن أنه ليس من الضروري انتظار انتهاء القتال للشروع في تزويد الجزائر الادارية الخاصة ، أجرى انتخابات المجالس البلدية ، وظهر فيها أنصاره بأغلبية الساحقة سواء كانوا من الجزائريين أم من الفرنسيين ، وتبين أن هؤلاء قد كونوا اتجاهها متميزا عن الاندماجين ، كما أعلن ديفول عن نيته في تأسيس جيش جزائري في اطار هذه السياسة ، ولكنه أخيرا أدرك استحالة تكوين هذه القوة الثالثة الذى أراد تجمعها من المعتدلين الجزائريين والاوربيين على السواء ...

ولم يلبث أن لمس الحقيقة بنفسه وهى أن أية مفاوضة مع غير جبهة التحرير ستكون عبثا ، وحينها قام بزيارة الجزائر في العاشر من شهر ديسمبر 1960 ليشرح سياسته الجديدة انتهمز المعمرون هذه الفرصة فعبروا عن العنصرية بأفضع صورها ، فقاموا بحركة رهيبة من القتل الجماعى والتخريب في مدينة الجزائر العاصمة ووهران ، وذهب ضحية هذه البربرية خلق كثير من المسلمين ، ولما رأى الشعب الجزائري هذه الاعمال الوحشية قام بمظاهرات كبرى معاكسة حاملا الأعلام الجزائرية متحديا الموت مناديا بالشعارة الوطنية وبجبهة التحرير ...

ومن المعروف أن الصراع بين العناصر المتجاوزة تترك أثرا عميقا أكثر مما تتركه الحرب المألوفة .

هذه المظاهرات الشعبية هى التى ردت عقلية الجنرال الى الصواب ، وجعلته يشعر بأن كل اجراء يتخذ بدون اتفاق مع جبهة التحرير سيكون مآله الفشل ، وعاد الى باريس ، وهو يؤمن بعدم الحل الوسطى في هذه القضية الشائكة ، فبدأ يمهد السبيل لكى يخطو الخطوة النهائية ألا وهى المفاوضات على تقرير المصير مع جبهة التحرير لتحصل الجزائر على استقلالها التام . ومن بعد مفاوضة (ايفيا) اصبحت الجزائر دولة ذات سيادة حرة مستقلة ، وذلك بفضل الاسلام الذى دفع الشعب الى جهاد الاستعمار حتى احرز على النصر النهائي .



وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ فَرَّآنَ كَرِيمٍ



الخاتمة

الأمة الاسلامية هي أمة القرآن ، اليه يرد أصلها ، وبه يعرف نسبها ومنه نسحب وتنسج ما تلبس من حلل العزة والكرامة والسيادة ، ولن يمسك وجودها الا رعايتها للقرآن الكريم ، واجتماعها عليه ويوم تفتت عزيمتها عن المضي فيه أو تسترخى يدها عن الشد عليه والتعلق به يوم يكون - ولا كان - ردتها الى الجاهلية ، وركسها في الضلال ، ورعيها في الهمل مع السائمة والهائمة من حواش الأمم ونفايات الشعوب .

وتاريخ المسلمين مع القرآن الكريم يشهد لذلك شهادة قائمة على هذا الحساب ، مقدرة بهذا التقدير ، جارية معه طردا وعكسا فانه على قدر ما كان يقترب المسلمون من كتابهم الكريم ، وبقدر ما كانوا يرعون حقه ويؤدون أماناته ، كان نصيبهم من الخير ، وكان حظهم من السلامة في أنفسهم وأموالهم وأوطانهم .

فيأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله .

والعكس صحيح ، فانه على قدر ما كان يبتعد المسلمون عن كتابهم وبقدر ما يفرطون في حقه ويستخفون بشأنه بقدر ما كان بعدهم عن الخير وكان دنوهم من الخطر ، وتعرضهم لآفات التفكك والانحلال فمن شأن القرآن أن يقيم المتصلون به على طريق الحق .

ان الذى يستقيم على دعوة القرآن لهو انسان سليم في كيانه ومعافي في نفسه ، ثم هو قادر على أن يحمل الهدى الى غيره ، فيأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويكون خليفة الله في الأرض وخليفة الرسول في الدعوة وهداية الناس اليه .

ولكن صحبة المسلمين للقرآن لم تكن قائمة على العدل والاحسان في جميع الأحوال فكثيرا ما أساء المسلمون تلك الصحبة وأوسعوها جفاء وعقوقا حيث يعيش فيهم القرآن غريبا لا

يقفون عنده ولا يلتفتون اليه ولا يتدبرون آياته ، ولا يتلقون
بعض ما فيه من الخير والهدى .

والجفوة التي بين المسلمين وبين القرآن الكريم جفوة غليظة
مستحكمة ، قد تداعت عليها دواع كثيرة أحكمت بنيانها وثبتت
دعائمها ، فلم يعد بين المسلمين وبين القرآن طريق يصلهم به
إلا تلك الطريق الدراسة الطامسة التي تتصاعد منها أتربة وأدخنة
تعمى الناظر عن كتاب الله ووجود الخير والحق الذي فيه .

وان حظ المسلمين من القرآن اليوم هو حظهم من مخلفات
الآباء والأجداد مما تضمنه المتاحف ودور الآثار ، يزورونها الماما ،
ويطرقونها حيناً بعد حين . قد تثير فيهم تلك الزورة نشوة ...
وتبعث فيهم عزة عادية ، يقولون أننا نلم القرآن الماما ، ونلقاه
حيناً بعد حين وتذكر به في تلك اللقاءات من مواعظ وعظات ثم
لا يلبثون حتى تذهب عنهم ما علق بأذهانهم من العظات قبل أن
يضعوا المصحف من أيديهم ، والمسلمون في الصدر الأول للإسلام
أغناهم القرآن عن كل شيء لا يمدون أبصارهم الى غيره ولا
يأخذون لدينهم ودنياهم إلا بما يوحى به اليهم علمه وترمى به
اليهم آياته وطبيعي أن هذا الذي نقوله عن كتاب الله تقوله كذلك
فيها ثبت عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم القولية والفعلية ،
إذا كانت السنة المطهرة تطبيقاً شارحاً لكتاب الله وفي هذا يقول
الله تعالى : «وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا» -
سورة الحشر -

ولا يستقيم القول بأن القرآن مصدر تشريع إسلامي إلا
بفهم صحيح ولا يكون هذا الفهم الصحيح السليم إلا عن طول
تأمل وتدبر لكتاب الله وتذوق لأساليب بيانه والوقوف على بعض
أسراره .

وبهذا الفهم لكتاب الله يتحقق لنا أمران :

أولاً هما : اتصالنا به اتصالاً وثيقاً قائماً على معرفته ،
وتذوقنا لجنى طعمومه الطيبة هذا مما يجعل تلاوتنا للقرآن تلاوة
تؤثر في نفوسنا وتقع على قلوبنا برداً وسلاماً ونتجاوب مع أدايه ،

وتستجيب لندائه فيما يدعو اليه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

ثانيهما : تصور مسائل الدين تصورا واضحا محددا بلا قول ولا معلقات وبهذا يعرف المسلم الحكم قاطعا فيما أحل الله وفيما حرم ، فيكون على بينة من أمره فيما يأخذ أو يدع من أمر دينه .



5	المقدمة
16	الايمان بالله عز وجل صنع رجالا كانوا اغمارا في الجاهلية فأصبحوا سادة العالم
23	تعاليم الاسلام قوة روحية ومادية معا وعدالة اجتماعية ورحمة لجميع الناس
33	الاقتصاد في الاسلام
36	الدفاع
38	أسباب تدهور المجتمع الاسلامى الأول
49	الغزو الصليبيى المتكالب على المسلمين
57	زحف التتار على الممالك الاسلامية الشرقية
64	تركيا والغرب
68	ثورة الشعوب الاسلامية الحديثة على الاستعمار الغربى أينما كان
81	تقلص ظل الاستعمار الثقيل من بلدان المسلمين
84	لا يزال المسلمون متدهورين رغم الحوادث التى اننا بهم
90	تقليد المسلمين للغرب هو الذى صدهم عن تعاليم الاسلام السمحام
94	هل يجعل المسلمون حدا لهذه التدهورات الخطيرة أم تستمر الى ما لا نهاية لها ؟
108	الاحتلال الفرنسى للجزائر
114	فضائع الاستعمار الفرنسى ابان الاحتلال

117	عوامل ثورة الجزائر الكبرى
128	الاستعداد للثورة
131	تخطيط للثورة وتنسيقها في الداخل والخارج
137	تكوين جبهة التحرير
143	تنبيه
146	بداية الثورة في الجزائر
148	أعمال جبهة التحرير
154	موقف الحكومة الفرنسية من الثورة وصداها في الداخل والخارج
158	الحكومة الفرنسية الاشتراكية
163	خطف الزعماء الخمس من الجو
166	الهجوم المثلث على مصر
167	الاضراب العام الذي دام ثمانية أيام
171	الأسلاك الشائكة على طول حدود الجزائر شرقا وغربا «ومراقبة البواخر من ناحية البحر»
173	القانون الاطارى
174	سقوط الحكومات الفرنسية على التوالي
177	تصاعد الثورة في الداخل والخارج
183	النابالم في الفيتنام
185	النابالم في الجزائر (بقلم جان لاكنر)
187	هزائم مريعة في جبل مزى للجيش الفرنسية الجيش الفرنسي يستعمل النابالم
190	صدى الثورة في الخارج
193	تخطيط للعمليات العسكرية الفرنسية

197	عملية التطهير المعروفة بعملية (جوميل)
204	اصطدام التطرف الفرنسي بالواقع الجزائري
208	معاملة جنرالات فرنسا للشعب الجزائري ومخططاتهم الحربية
212	ثورة معمرى الجزائر مع الجيش الفرنسي على الحكومة المركزية في باريس وسقوط الجمهورية الرابعة
215	نداء الجنرال ديغول لتولى رئاسة الحكم
219	صعود الجنرال ديغول الى الحكم
224	تجديد الدستور الفرنسي
227	أول خطبة للجنرال ديغول في الجزائر
229	تأسيس حكومة جزائرية في الخارج
231	انتخابات تشريعية في الجزائر وفي فرنسا
233	الجنرال ديغول رئيس للجمهورية
235	فشل فرنسا واعترافها بتقرير المصير
241	اعتكاف الحكومة الجزائرية المؤقتة على دراسة تقرير المصير رئيس الحكومة الفرنسية يقول : تصريح الجنرال ديغول
246	هو تأكيد لسياسة فرنسا في الجزائر
251	رسالة من الجنرال ديغول الى القيادة العسكرية الفرنسية في الجزائر
257	الخاتمة

المراجع

- القرآن الكريم -
الحديث الشريف
دولة القرآن
عيون البصائر
العروة الوثقى
التاريخ الاسلامى والحضارة الاسلامية الدكتور محمد شلبى
ما يقال عن الاسلام
البداية والنهاية لابن كثير
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين لابن الحسن الندوى
تاريخ الواقدى
ليل الاستعمار
البلاغات الرسمية عن طريق الصف والاذاعات
القاضى الجوجافى
تاريخ الشعوب الاسلامية
صحيفة المجاهد
التبشير والاستعمار
الجزائر الثائرة
الجزائر فى معركة التحرير
ثورة التحرير الجزائرية
وثائق للحكومة الجزائرية المؤقتة جورج أرنو فى كتابه
على جميلة بو حيرد
الجزائر حتف الاستعمار
طه عبد الباقي سرور
الشيخ البشير الابراهيمى
الشيخ محمد عبده
عباس محمد العقاد
فرحات عباس
الدكتور محمد الاسمر
بركلمان
لسان حال الثورة الجزائرية
الدكتور محمد فروخ
سعيد زغلول عقاد
الدكتور صلاح العقاد
ادريس وعائشة

مطبعة اللغتين

A شارع صالح بومكدي - الجزائر - الهاتف ٢٤٨١-٢
M

PRIMERIE *Bilingue*

8, Bd. Salah Bouekouir - ALGER